مُؤَلَّفَات وَشُرُوح عُلوم الحَديثِ لِفَضِيلَةِ الشَّيخ

تُحفَةُ الفَالِحِين
شَرح
رِيَاضِ الصَّالِحِين

للشَّيخ الفَاضِل

أَبي مُحَمَّد عَبد الحَمِيد بن مُحيي الجُورِي الأَعظَمِي

المجلد الرابع
(٤)

تحفة الفالحين
شرح
رياض الصالحين

تحفة الفالحين

شرح

رياض الصالحين

المجلد الرابع

من (كتاب الفضائل)

إلى آخر (كتاب الدعوات)

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن محيي الجوري الزعفري

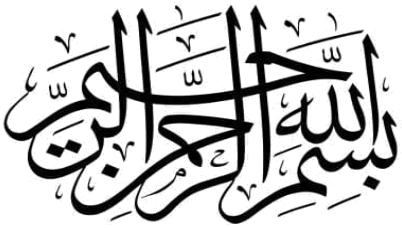

تحفة الفالحين
شرح
رياض الصالحين

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الجوري الزعكري

الطبعة الثانية مصححة

١٤٤٧هـ

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى

https://alzoukory.com.

https://t.me/A_Izoukory

A_Alzoukorys

https://www.youtube.com/channel

https://www.facebook.com/649918028352367

https://chat.whatsapp.com/FglUKZ0nwzR5EYaguQttSz

كتاب الفضائل

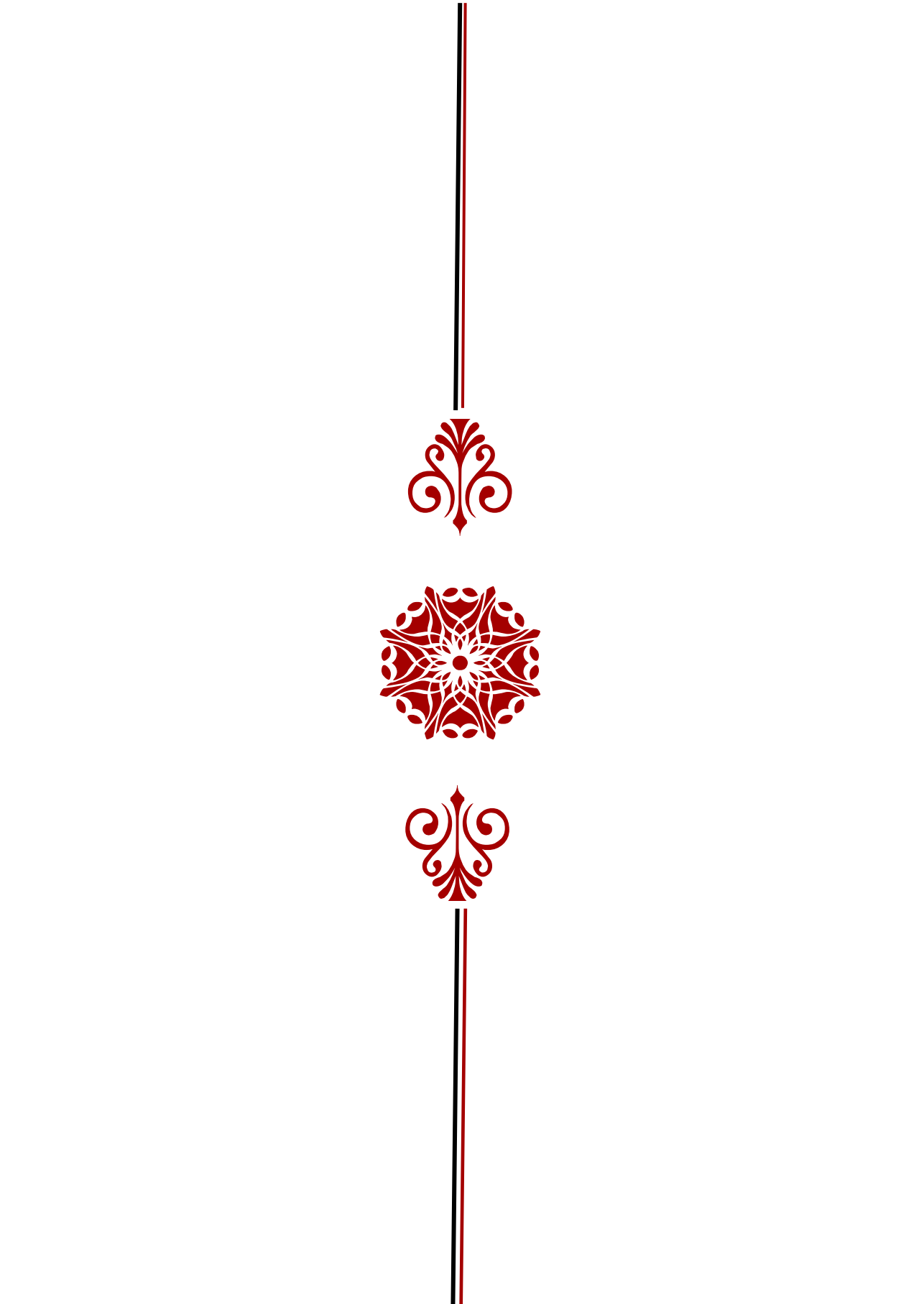

كتاب الفضائل

١٨٠ - باب فضل قراءة القرآن

القرآن كلام ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ووحيه تنزيله ونوره، هو الفرقان، وهو البرهان، وهو الضياء، وهو الرحمة، وهو تنزيل رب العالمين، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣] على قلب محمد ﷺ؛ ليكون من المرسلين، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢].

وما تُقُرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بمثل قراءة كلامه، قال جندب: ما تُقُرب الى الله عَزَّوَجَلَّ بمثل ما خرج منه.

تكلم الله به حقيقة، وسمعه منه جبريل حقيقة، ثم نزل به جبريل إلى رسول الله ﷺ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، كما أوعده الله عَزَّوَجَلَّ بسقر، فالقرآن صفة الله.

٩٩١ - عن أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

أبو أمامة هو صدي بن عجلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسيأتي أن بكل حرف حسنه، والحسنة بعشر أمثالها.

---

(١) حديث رقم: (٨٠٤).

ليس كل من حفظ القرآن من أصحاب القرآن، فمن كان حافظا للقرآن وهو يقع في الصحابة الكرام ليس من أهل القرآن، ومن كان يحفظ القرآن وهو يعظم شد الرحال إلى القبور وربما رضي الشركيات والآثام ليس من أصحاب القرآن، ومن كان يحفظ القرآن وهو يدعو إلى الحزبية والفرقة والثورة والانقلاب والاعتصام وغير ذلك من المخالفات الشرعية ليس من أصحاب القرآن.

أصحاب القرآن هم أهله الذين يعملون به في الدنيا، وفي الحديث: «**إن لله أهلين، وأهل الله هم أهل القرآن وخاصته**».

٩٩٢ - وعن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنْيَا، تَقْدُمُه سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا». رواه مسلم(١).

الشرح:

يصير المعنى عرضًا، ثواب القرآن يصير مع صاحبه، ليس معنى ذلك أن القرآن مخلوق كما ذهب المبتدعة، استدلوا بحديث: «**يؤتى بالقرآن على صورة شاحب اللون**» أن القرآن مخلوق، ليس ذلك، إنما هذا أجر القرآن وثواب القرآن هو الذي يتصور لصاحبه في ذلك اليوم.

(**وَأَهْلِهِ الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنْيَا**) يعملون به، ما يحفظه حفظا مجردا، لكن يعمل به، «**أنا الذي أسهرت ليلك، وأظمأت نهارك**»، كما في الحديث.

(**تَقْدُمُه سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ**) أفضل القرآن بعد الفاتحة.

(**تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**) «**كأنهما ظلالتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف**»، تطير فوق صاحبهما، وتدافعان، وتشفعان.

---

(١) حديث رقم: (٨٠٥).

٩٩٣ - وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وفي رواية: «أفضلكم من تعلم القرآن»: حفظه، علم معانيه، وعلمه غيره.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: هذا الذي أجلسني هذا المجلس.

هذا الحديث الذي أجلسه عند العمود لسنين طويلة وأعوام مديدة يدرس الناس القرآن، (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في (الفتح) (٩/ ٧٦): قَوْلُهُ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» كَذَا لِلْأَكْثَرِ، وَلِلسَّرَخْسِيِّ: «أَوْ عَلَّمَهُ»، وَهِيَ لِلتَّنْوِيعِ لَا لِلشَّكِّ، وَكَذَا لِأَحْمَدَ عَنْ غُنْدَرٍ عَنْ شُعْبَةَ، وَزَادَ فِي أَوَّلِهِ: «إِنَّ»، وَأَكْثَرُ الرُّوَاةِ عَنْ شُعْبَةَ يَقُولُونَهُ بِالْوَاوِ، وَكَذَا وَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ: عَنْ بَهْزٍ وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، وَكَذَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ.

وَهِيَ أَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الَّتِي بِأَوْ تَقْتَضِي إِثْبَاتَ الْخَيْرِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ لِمَنْ فَعَلَ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ، فَيَلْزَمُ أَنَّ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَلَوْ لَمْ يُعَلِّمْهُ غَيْرَهُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِمَّنْ عَمِلَ بِمَا فِيهِ مَثَلًا وَإِنْ لَمْ يَتَعَلَّمْهُ، وَلَا يُقَالُ: يَلْزَمُ عَلَى رِوَايَةِ الْوَاوِ أَيْضًا أَنَّ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ غَيْرَهُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِمَّنْ عَمِلَ بِمَا فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَلَمْ يُعَلِّمْهُ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْخَيْرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ حُصُولِ التَّعْلِيمِ بَعْدَ الْعِلْمِ، وَالَّذِي يُعَلِّمُ غَيْرَهُ يَحْصُلُ لَهُ النَّفْعُ الْمُتَعَدِّي بِخِلَافِ مَنْ يَعْمَلُ فَقَطْ بَلْ مِنْ أَشْرَفِ الْعَمَلِ تَعْلِيمُ الْغَيْرِ، فَمُعَلِّمُ غَيْرِهِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ تَعَلَّمَهُ، وَتَعْلِيمُهُ لِغَيْرِهِ عَمَلٌ وَتَحْصِيلُ نَفْعٍ مُتَعَدٍّ.

---

(١) حديث رقم: (٥٠٢٧).

وَلَا يُقَالُ: لَوْ كَانَ الْمَعْنى حُصُول النَّفْعِ الْمُتَعَدِّي لَاشْتَرَكَ كُلُّ مَنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ عِلْمًا مَا فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: الْقُرْآنُ أَشْرَفُ الْعُلُومِ، فَيَكُونُ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ لِغَيْرِهِ أشرف مِمَّن تعلم غير القرآن وَإِنْ عَلَّمَهُ فَيَثْبُتُ الْمُدَّعَى، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَامِعَ بَيْنَ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ مُكَمِّلٌ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، جَامِعٌ بَيْنَ النَّفْعِ الْقَاصِرِ وَالنَّفْعِ الْمُتَعَدِّي، وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ عَنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٣].

وَالدُّعَاءُ إِلَى اللهِ يَقَعُ بِأُمُورٍ شَتَّى، مِنْ جُمْلَتِهَا: تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ، وَهُوَ أَشْرَفُ الْجَمِيعِ، وَعَكْسُهُ الْكَافِرُ الْمَانِعُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٥٧].

فَإِنْ قِيلَ: فَيَلْزَمُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ الْمُقْرِئُ أَفْضَلَ مِنَ الْفَقِيهِ قُلْنَا: لَا؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ كَانُوا فُقَهَاءَ النُّفُوسِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ اللِّسَانِ، فَكَانُوا يَدْرُونَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ بِالسَّلِيقَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْرِيهَا مَنْ بَعْدَهُمْ بِالِاكْتِسَابِ، فَكَانَ الْفِقْهُ لَهُمْ سَجِيَّةً فَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ شَأْنِهِمْ شَارَكَهُمْ فِي ذَلِكَ لَا مَنْ كَانَ قَارِئًا أَوْ مُقْرِئًا مَحْضًا لَا يَفْهَمُ شَيْئًا مِنْ مَعَانِي مَا يَقْرَؤُهُ أَوْ يُقْرِئُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْمُقْرِئُ أَفْضَلَ مِمَّنْ هُوَ أَعْظَمُ غِنَاءً فِي الْإِسْلَامِ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالرِّبَاطِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَثَلًا قُلْنَا: حَرْفُ الْمَسْأَلَةِ يَدُورُ عَلَى النَّفْعِ الْمُتَعَدِّي، فَمَنْ كَانَ حُصُولُهُ عِنْدَهُ أَكْثَرَ كَانَ أَفْضَلَ فَلَعَلَّ مِنْ مُضْمَرَةٌ فِي الْخَبَرِ، وَلَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ مُرَاعَاةِ الْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْخَيْرِيَّةُ وَإِنْ أُطْلِقَتْ لَكِنَّهَا مُقَيَّدَةٌ بِنَاسٍ مَخْصُوصِينَ خُوطِبُوا بِذَلِكَ كَانَ اللَّائِقُ بِحَالِهِمْ ذَلِكَ، أَوِ الْمُرَادُ: خَيْرُ الْمُتَعَلِّمِينَ مَنْ يُعَلِّمُ غَيْرَهُ لَا مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى نَفْسِهِ، أَوِ الْمُرَادُ: مُرَاعَاةُ الْحَيْثِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ خَيْرُ الْكَلَامِ، فَمُتَعَلِّمُهُ خَيْرٌ مِنْ مُتَعَلِّمِ غَيْرِهِ بِالنِّسْبَةِ

إِلَى خَيْرِيَّةِ الْقُرْآنِ، وَكَيْفَمَا كَانَ فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِمَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ بِحَيْثُ يَكُونُ قَدْ عَلِمَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ عَيْنًا. انتهى.

٩٩٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ): المتقن، المجود، حسن الصوت، حسن الأداء، حسن الفهم، والسفرة الكرام البررة: ملائكة، الذين يكتبون ما يتعلق باللوح المحفوظ، كرام؛ لصفاتهم العظيمة، بررة: طائعين لربهم.

(وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ) حتى أنت أيها المتعتع، يا من لا تحسن القراءة ولا الكتابة استمر، استمر يا أخي هي عبادة، ليس بشرط أن تكون حافظ القرآن، إن لم تتمكن من حفظ القرآن اقرأ قرآنا.

له أجران: أجر القراءة، وأجر التعتعة والإرهاق الذي يلقاه.

قال: السَّفَرَةُ جَمِيعُ سَافِرٍ كَكَاتِبٍ وَكَتَبَةٍ، وَالسَّافِرُ: الرَّسُولُ، وَالسَّفَرَةُ: الرُّسُلُ، لِأَنَّهُمْ يُسْفِرُونَ إِلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِ اللهِ، وَقِيلَ: السَّفَرَةُ: الْكَتَبَةُ، وَالْبَرَرَةُ: الْمُطِيعُونَ، مِنَ الْبِرِّ وَهُوَ الطَّاعَةُ، وَالْمَاهِرُ: الْحَاذِقُ الْكَامِلُ الْحِفْظِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ بِجَوْدَةِ حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ، قَالَ الْقَاضِي: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى كَوْنِهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مَنَازِلَ يَكُونُ فِيهَا رَفِيقًا لِلْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ، لِاتِّصَافِهِ بِصِفَتِهِمْ مِنْ حَمْلِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى. قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ أَنَّهُ عَامِلٌ بِعَمَلِهِمْ وَسَالِكٌ مَسْلَكَهُمْ وَأَمَّا الَّذِي

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

يَتَتَعْتَعُ فِيهِ فَهُوَ الَّذِي يَتَرَدَّدُ فِي تِلَاوَتِهِ لِضَعْفِ حِفْظِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ: أَجْرٌ بِالْقِرَاءَةِ، وَأَجْرٌ بِتَتَعْتُعِهِ فِي تِلَاوَتِهِ وَمَشَقَّتِهِ.

قَالَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الَّذِي يَتَتَعْتَعُ عَلَيْهِ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَاهِرِ بِهِ، بَلِ الْمَاهِرُ أَفْضَلُ وَأَكْثَرُ أَجْرًا؛ لِأَنَّهُ مَعَ السَّفَرَةِ وَلَهُ أُجُورٌ كَثِيرَةٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ لِغَيْرِهِ، وَكَيْفَ يَلْحَقُ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْتَنِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَحِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ وَكَثْرَةِ تِلَاوَتِهِ وَرِوَايَتِهِ كَاعْتِنَائِهِ حَتَّى مَهَرَ فِيهِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

٩٩٥ - وعن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رسول الله** ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يقرأ القرآن كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**». **متفقٌ عَلَيْهِ**[1].

الشرح:

انظر إلى هذا المثل الذي ضربه رسول الله ﷺ للتحضيض على قراءة القرآن وتعلمه وتعليمه.

(**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ الأُتْرُجَّةِ**)، الأترجة: شجرة من فصيلة البرتقال والليمون ونحو ذلك، ريح ورقها طيب، وحجمها هكذا وربما أكثر، ولحمها من الداخل أبيض، وهي من الخارج أصفر، طعمها جميل وريحها جميل.

فهذا حال طالب العلم، حافظ القرآن العامل بالقرآن، هو في نفسه من أهل الخير والصلاح، ونفعه متعد إلى الغير.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٢٧)، ومسلم (٧٩٧).

(وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ) يعني هو في أصله طيب، لكن لا يتعدى نفعه، ولا يظهر ريحه.

(وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يقرأ القرآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةِ) منافق، مذموم، لكن لما كان يقرء القرآن مثل الريحانة، ريحها يفوح في الأرجاء.

(وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) أسوء الأمثال.

٩٩٦ - وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخرِينَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وفيه قصة، والشاهد منه: (إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا) أي: ممن علمه وعمل به، ودعا إليه.

(وَيَضَعُ بِهِ آخرِينَ) ممن أعرض عنه، وأعرض عن الدعوة إليه والعمل به.

وهذه الضعة والرفعة في الدنيا والآخرة، صاحب القرآن يُرفع في الدنيا والآخرة، وواضع القرآن والمعرض عنه موضوع في الدنيا والآخرة.

(وبهذا تعلم فضيلة طلب العلم، وعظيم منزلة حملته، والمراد بهذا الكتاب: القرآن، والمراد بالأقوام: من المسلمين، فإن الكفار لا عبرة بهم، ولا بقراءتهم، ولا بحفظهم، لو قدر أنهم حفظوا ودرسوا وقرأوا، والله المستعان). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

---

(١) حديث رقم: (٨١٧).

٩٩٧ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاء اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(والآنَاءُ): السَّاعَاتُ.

الشرح:

(لَا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ) أي: لا غبطة، ليس الحسد الذي هو تمني زوال النعمة عن الغير، الحسد هذا لا يصدر في حق مؤمن من مؤمن إلا إن كان عاصيا، أما مؤمن كامل الإيمان يحب لأخيه الخير، يحب لأخيه زيادة العلم، زيادة المال، زيادة الجاه، زيادة الأبناء، زيادة الخير في كل جهاته.

فالمراد (لَا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ) الغبطة، حيث تتمنى أن يكون لك مثل فلان، «فهما في الأجر سواء».

(فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاء اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ) يعني يصلي به، يعمل به، في صباحه ومسائه.

(وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا): دنيا، (فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ) يُرفع به الدرجات، ويُعلى به إلى أعلى المكرمات.

أنت للمال إذا أمسكته ... وإذا أنفقته فالمال لك

٩٩٨ - وعن البراءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُه يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلقُرْآنِ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

---

(١) انظر الحديث (٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١١)، ومسلم (٧٩٥).

(الشَّطَنُ) بفتحِ الشينِ المعجمة والطاءِ المهملة: الحَبْلُ.

الشرح:

(كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ) وهو أُسيد بن حضير.

بل جاء في غير هذا اللفظ أن أُسيد بن حضير جعله يخبر النبي ﷺ، وقال: يا رسول الله، بينما أنا البارحة أقرأ القرآن إذ نزلت مثل الظلة، قال: «اقرأ حضير»، قال: ثم دنت، قال: «اقرأ حضير»، قال: ثم نفرت الفرس، فخشيت على ولدي، قال: «والذي بنفسي بيده لو قرأت لأصبح الناس يرونها لا تختفي منهم الملائكة»، نزلوا من السماء لسماع قراءة أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩٩٩ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أقول: (ألم) حَرفٌ، وَلكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

وهذا فيه فضيلة قراءة القرآن، وتؤجر على حروفه، وعلى آياته، وعلى سوره، وعلى جميع ما يتعلق به، إن قرأته بدون تدبر أُجرت، وإن تدبرت أجرت أكثر.

وهذا الفضل كم يناله الذي يتحفظ في القرآن! كم يقرأ الصفحة! فعليه إلا أن يحتسب، ربما يكرر الصفحة عشرات المرات، ربما يكرر الآية عشرات المرات، وكلها في موازينه، نسأل الله أن يعيننا على طاعته ومرضاته.

وفعلًا الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب، يعشعش فيه الشيطان، وتتسلط عليه الأوهام.

---

(١) حديث رقم: (٢٩١٠)، الصحيح فيه: الوقف على ابن مسعود، وله حكم الرفع، وله شواهد كما ذكر المحقق هنا.

١٠٠١ - وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ) أي يوم القيامة.

يعني: أنت حين تقرأ القرآن في الدنيا أنت تجهز نفسك للعلو في الآخرة، (اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا)، بل قال بعضهم: إن عدد درجات الجنة بعدد آي القرآن، والله أعلم.

فكلما أكثرت من قراءة القرآن كلما كثر أجرك، وازدادت رفعتك، ورُجي أن تكون في أعالي الجنان.

قال في عون المعبود (٤/ ٢٣٧): وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْجَزَاءَ عَلَى وَفْقِ الْأَعْمَالِ كَمِّيَّةً وَكَيْفِيَّةً..

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ عَلَى عَدَدِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ دَرَجَةٌ فَالْقُرَّاءُ يَتَصَاعَدُونَ بِقَدْرِهَا.

قَالَ الدَّانِيُّ: وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ عَدَدَ آيِ الْقُرْآنِ سِتَّةُ آلَافِ آيَةٍ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا زَادَ فَقِيلَ وَمِائَتَا آيَةٍ وَأَرْبَعُ آيَاتٍ وَقِيلَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَقِيلَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَقِيلَ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ وَقِيلَ وَسِتٌّ وَثَلَاثُونَ انْتَهَى

وَيُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يُنَالُ هَذَا الثَّوَابُ الْأَعْظَمُ إِلَّا مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ وَأَتْقَنَ أَدَاءَهُ وَقِرَاءَتَهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ

(١) حديث رقم: (٢٩١٣)، في سنده قابوس بن أبي ظبيان، ضعيف.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: جَاءَ فِي الْأَثَرِ عِدَادُ آيِ الْقُرْآنِ على قدر درج الجنة يقال للقارىء اقْرَأْ وَارْتَقِ الدَّرَجَ عَلَى قَدْرِ مَا تَقْرَأُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ فَمَنِ اسْتَوْفَى قِرَاءَةَ جَمِيعِ الْقُرْآنِ اسْتَوْلَى عَلَى أَقْصَى دَرَجِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قرأ جزء مِنْهَا كَانَ رُقِيُّهُ مِنَ الدَّرَجِ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ فَيَكُونُ مُنْتَهَى الثَّوَابِ عِنْدَ مُنْتَهَى الْقِرَاءَةِ انْتَهَى. اهـ.

١٨١ - باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير عن تعريضه للنسيان

١٠٠٢ - عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «تعاهدوا هَذَا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

وهذا والله أعلم أن الحكمة فيه: حتى يستمر الناس مع القرآن؛ لأنه لو كان يُحفظ ثم يبقى في الصدر؛ لما بالى الإنسان بمراجعته، لكن يبقى يقرأ يقرأ يقرأ؛ حتى يثبته، ثم يقرأ يقرأ يقرأ؛ حتى لا يضيع منه، ثم يقرأ يقرأ يقرأ يتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

١٠٠٣ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ». متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

قلت في "شرحي على صحيح مسلم":

(إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ) الذي يحفظه.

(كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ) بعقالات في رجليها حتى لا تقوم وتشرد.

(إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا) يعني بين الحين والآخر ينظر إلى عقلها هل ما زالت مثبتة أم أنها قد تفلتت؟

فهكذا القرآن، إذا حافظ عليه صاحبه بقي معه، وإن فرط فيه صاحبه ذهب عنه والله المستعان، ويفوته خير عظيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩).

بالنسبة للإثم من عدمه سئل شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل يأثم من ينسى القرآن؟ قال: إن كان قد فرط فيه حتى نسيه نعم يأثم، وأما إن نسيه لكثرة المشاغل ونحوها فلا يلحقه الإثم. اهـ

١٨٢ - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

١٠٠٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

مَعْنَى «أَذِنَ الله»: أي اسْتَمَعَ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الرِّضَا والقَبولِ.

الشرح:

وعن البراء: «زينوا القرآن بأصواتكم»، فتزين القرآن أمر مطلوب، يتخشع الإنسان، ويتعقل ويتدبر، وإذا سمعه غيره تخشع، وأعجب بكلام الله عَزَّوَجَلَّ وما فيه من البلاغة والفصاحة، والمعاني العظيمات، والمكرمات والهبات.

(مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ): يستمع إلى نبي يقرؤ القرآن، يتغنى به، يجهر به.

(أي اسْتَمَعَ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الرِّضَا والقَبولِ) بل استمع حقيقةً، هذا تأويل باطل ذكره النووي، بل استمع بسمع يليق بجلاله، يسمع الأصوات، معنى (السميع): الذي يسمع الأصوات، ومعنى (البصير): الذي يبصر المبصَرات.

أما أن يقول: الاستماع إشارة إلى الرضا والقبول هذا تأويل باطل، تأويل الصفات لا يجوز.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

١٠٠٥ - وعن أَبي موسى الأَشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية لمسلمٍ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لَهُ: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِراءتِكَ الْبَارِحَةَ».

الشرح:

هنيئا له، بات النبي ﷺ يستمع قراءته، قال: والله يا رسول الله لو أعلم أنك تستمع؛ لحبرته لك تحبيرا، يعني عنده أعظم من هذه القراءة، هنيئا والله لمن رُزق حسن الصوت بالقرآن.

١٠٠٦ - وعن البَرَاءِ بنِ عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

قراءة النبي ﷺ عظيمة، عليه أُنزل القرآن، وهو يعلم تأويله.

"(التِّينِ وَالزَّيْتُون) وهي من قصار المفصل، فلا حرج أن يقرأ من المفصل ومن قصاره ومن وسطه، فهنيئًا لهم كانوا يتسمعون لقراءة النبي ﷺ، ويتعقلون ويتدبرون، أكرمهم الله بكرامة لا تكون لأحد بعدهم، وهي الصحبة، ومع ذلك من سار على سيرهم وأخذ بطريقهم فهو الموفق بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤).

التوبة: ١٠٠]، فهذا وعد الله أن الجنة للسابقين الأولين ومن سار على سيرهم من المتأخرين". من "شرحي على صحيح مسلم".

١٠٠٧ - وعن أَبي لُبَابَةَ بشير بن عبد المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ[1].

معنى «يَتَغَنَّى»: يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ.

الشرح:

يعني: يكلِّف نفسه التغني حتى يظهره بأحسن ما لديه من القراءة، وإذا كان الإنسان حسن الصوت ما يمل حتى لو قرأ عدة أجزاء، وإذا صلى بالناس لا يُمَل ولو قرأ عدة أجزاء.

قال في عون المعبود (٤/ ٢٤٠): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هَذَا يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا تَحْسِينُ الصَّوْتِ وَالْوَجْهُ الثَّانِي الِاسْتِغْنَاءُ بِالْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِهِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَيُقَالُ تَغَنَّى الرَّجُلُ بِمَعْنَى استغنى. اهـ

١٠٠٨ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ»، فقلتُ: يَا رسولَ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ ! قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إِلَى هذِهِ الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ٤١] قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

فيه فضيلة سماع القرآن.

---

(١) حديث رقم: (١٤٧١).

(٢) انظر الحديث (٤٤٦).

وفيه فضيلة سماع القرآن من الغير.

وفيه فضيلة تدبر القرآن.

وفيه أن النبي ﷺ كان سريع الدمعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفيه عظيم آي القرآن في الوعد والوعيد.

(﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾) يشهد على أعمالهم.

(﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾) يا محمد (﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾) بعدها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٤٢].

١٨٣ - باب الحث عَلَى سورو آيات مخصوصة

القرآن كله فضيل، وأي آية أي سورة تقرأ فيها فضيلة، لكن هناك سور مخصوصة يذكر منها هنا.

١٠٠٩ - عن أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بن الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رسولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟» فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة: ٢]، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

أعظم سورة، ولهذا فرضها الله تُقرأ في كل ركعة، يحفظها الصغير والكبير من المسلمين في الغالب، أعظم سورة؛ لاصطفاء الله عَزَّوَجَلَّ لها، ولتضمنها لمعاني بليغة بديعة، تضمنت التوحيد الثلاثة، تضمنت أركان الإيمان، تضمنت الإشارة إلى أركان الإسلام، تضمنت الثناء على الله، والحمد له، والشكر له، والتمجيد له، والاستعانة به، واللجوء إليه.

تضمنت كذلك بيان سبيل المؤمنين الموحدين، وسبيل الضالين المنحرفين.

تضمنت سؤال الهداية التي لا غنى عن أحد منها، كما تكلمت عنها بحمد الله في كتابين مستقلين: إحداهما: (مهمات في تفسير سورة الفاتحة)، والثاني: (فتح الكريم المنان في تفسير سورة الفاتحة أم القرآن).

---

(١) حديث رقم: (٤٦٤٧).

١٠١٠ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١]: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ».

وفي روايةٍ: أن رسول الله ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رسولَ الله؟ فَقَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص: ١-٢]: ثُلُثُ الْقُرْآنِ». رواه البخاري[1].

الشرح:

قيل: القرآن: قصص وأخبار وأحكام وتوحيد، وهذه تمحضت في التوحيد.

فعود نفسك إن لم تقرأ شيئًا تقرأ هذه السورة، تقرأ هذه السورة عند نومك، أو تقرؤها في غير ذلك، أهم شيء أن تتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بها.

١٠١١ - وعنه: أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ». رواه البخاري[2].

١٠١٢ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١] «إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». رواه مسلم[3].

١٠١٣ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِي أُحِبُّ هذِهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١] قَالَ: «إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، ورواه البخاري في صَحِيحِهِ تعليقًا[4].

---

(١) حديث رقم: (٥٠١٣).

(٢) انظر الحديث السابق.

(٣) حديث رقم: (٨١٢).

الشرح:

في رواية: «**إنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها**»، استُدل بها على إثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على صحيح مسلم (٦/ ٩٤-٩٥): قَالَ الْقَاضِي قَالَ الْمَازِرِيُّ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أنحاء قصص وأحكام وصفات لله تعالى و(قل هو الله أحد) متمحضة لِلصِّفَاتِ فَهِيَ ثُلُثٌ وَجُزْءٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَ قِرَاءَتِهَا يُضَاعَفُ بِقَدْرِ ثَوَابِ قِرَاءَةِ ثُلُثِ الْقُرْآنِ بِغَيْرِ تَضْعِيفٍ. اهـ

١٠١٤ - وعن عقبة بن عامِر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق: ١] **وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾** [سورة الناس: ١]». **رواه مسلم**(١).

الشرح:

وهذا من الأدلة على أن سورة الفلق والناس كان نزولها بالمدينة، وفضلها عظيم، وصلى بهما النبي ﷺ في الفجر في ركعتين، وكان يقرؤهما عند نومه.

قلت في "شرحي على صحيح مسلم":

(﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾): فألق الإصباح، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: من شر كل ذي شر، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: قيل: الليل، وقيل: القمر، والصحيح أنه الليل والقمر داخل فيه، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾: السواحر، يعقدن وينفثن فيه، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: من الرجال والنساء، شره في حسده، أما إذا لم يحسد فلا شيء عليه، والحسد: هو تمني زوال النعمة عن الغير.

---

(٤) رواه الترمذي حديث رقم: (٢٩١٠)، وأخرجه البخاري تعليقا بحديث رقم: (٧٧٤).

(١) حديث رقم: (٨١٤).

وفي المقابل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: وهو الله، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: المالك لهم المتصرف فيهم، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: إلههم ومعبودهم بحق، ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ مبين بما بعده، ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، وسبحان الله السورة الأولى تضمنت الاستعاذة من الشرور الخارجية، الشرور التي تأتي من خارج، والسورة الثانية تضمنت الاستعاذة من الشرور التي تأتي من الداخل، فإذا جمع الإنسان في الإستعاذه بين شرور النفس التي تأتيها من الخارج وبين شرور النفس التي تأتيها من الداخل واستجاب الله عَزَّوَجَلَّ له سلمه الله.

وثبت أن النبي ﷺ عند النوم كان يقرأهن مع زيادة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. اهـ

١٠١٥ - وعن أَبي سَعِيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتْ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

١٠١٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مِنَ القُرْآنِ سُورَةٌ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك: ١]». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[(٢)].

وفي رواية أَبي داود: «تَشْفَعُ».

الشرح:

تبارك فيها حكم وعظات، تشفع لصاحبها في قبره، يسلم من عذاب القبر ومن شدته، وسورة يكررها ويتدبرها ويتعقلها.

---

(١) حديث رقم: (٢٠٥٨)، وهو حديث ضعيف، فيه تدليس الجريري.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١).

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تحفة الأحوذي"(٨/ ١٦٢): وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَالَ الْبَسْمَلَةُ لَيْسَتْ مِنَ السُّورَةِ وَآيَةٌ تَامَّةٌ مِنْهَا؛ لِأَنَّ كَوْنَهَا ثَلَاثِينَ آيَةً إِنَّمَا يَصِحُّ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهَا آيَةً تَامَّةً مِنْهَا وَالْحَالُ أَنَّهَا ثَلَاثُونَ مِنْ غَيْرِ كَوْنِهَا آيَةً تَامَّةً مِنْهَا.

فَهِيَ إِمَّا لَيْسَتْ بِآيَةٍ مِنْهَا كَمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالْأَكْثَرِينَ وَإِمَّا لَيْسَتْ بِآيَةٍ تَامَّةٍ بَلْ هِيَ جُزْءٌ مِنَ الْآيَةِ الْأُولَى كَرِوَايَةٍ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. اهـ

١٠١٧ - وعن أَبي مسعودٍ البَدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قِيلَ: كَفَتَاهُ الْمَكْرُوهَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَقِيلَ: كَفَتَاهُ مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ.

الشرح:

أبو مسعود البدري هو عقبة بن عمرو البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هذا الأخير لا معنى له، قاله ابن القيم، ولكن كفتاه؛ لما فيها من الدعوات، ولما فيها من التوسلات، ولما فيها من الخير العظيم، وربما كُفِي بها من شرور الجان ونحو ذلك.

وقوله: (مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ) قد فسرتها بحمد الله في (إتحاف البررة بخواتيم سورة البقرة)، وقد قلت لكم: أن سبب تأليف هذا الكتاب: سؤال من امرأة كانت مصابة بالسرطان رَحِمَهَا ٱللَّهُ، أرسلت بسؤال كتابة إلى الواتساب وقالت: أحب أن تفسر لي هاتين الآيتين، فيسر الله عَزَّوَجَلَّ أني كنت متجها إلى الحرم، وأنا في سيارتي، لكن هو توفيق الله إذا وفق، فمسكت الواتساب وأبين بعض ما فيهما،

(١) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٨).

فإذا بها ﷺ أرسلت بها مفرغة، فعند ذلك أضفت إليها ما أضفت، وخرجت في رسالة جميلة مفيدة، والحمد لله.

١٠١٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ». رواه مسلم(١).

الشرح:

يعني: يفر ويفرق من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، تضعفه، تهلكه، بخلاف الأغاني تجلبه، وهكذا الدشوش والتلافز تأتي به، فلا سواء بين بيتين تُقرأ فيه البقرة وآخر تقرأ فيه الأغاني والموسيقى.

١٠١٩ - وعن أُبَيٍّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وقال: «لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

وهي تقرأ عند النوم، وتقرأ في أول الليل وأول النهار، وتقرأ في مواطن، ففضلها عظيم.

وأما: «من قرأها دبر كل صلاة لم يكن بينه وبين الجنة إلا أن يموت» هذا حديث الصحيح أنه ضعيف، ولا يمكن أن يصح بجميع طرقه وبجميع شواهده.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

---

(١) حديث رقم: (٧٨٠).

(٢) حديث رقم: (٨١٠).

وفي هذا دليل على فضل أبي بن كعب، وفيه تبجيل العالم، وجواز مدح الإنسان إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف فيه الإعجاب.

وآية الكرسي قد تكلم العلماء في شأنها، وبينوا ما فيها من الجمل العظيمة الدالة على التوحيد، وعلى ما يوصف الله عَزَّوَجَلَّ به، فدلالتها خاصة في بيان عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظيم شأنه.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا تَمَيَّزَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ بِكَوْنِهَا أَعْظَمَ لِمَا جَمَعَتْ مِنْ أُصُولِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَهَذِهِ السَّبْعَةُ أُصُولُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وسميت آية الكرسي؛ لذكر الكرسي فيها، وقد ذهب المبتدعة إلى أن الكرسي هو العلم، وهذا تفسير باطل، ومن ذهب إلى أن الكرسي هو العرش تفسيره أيضا غير صحيح، فقد جاءت التفرقة بين العرش وبين الكرسي، وجاء عن ابن عباس: أن الكرسي موضع القدمين، وبعضهم تكلم في هذا الأثر على أن ابن عباس أخذه من الإسرائيليات، وهذا القول لا يستقيم؛ لأن هذا في باب العقيدة، وباب العقيدة مصان عن مثل هذا، والصحابة أحرص الناس على عدم إدخال ما ليس من الدين في الدين، وقد توارد نقل العلماء لما ذكره ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. اهـ

١٠٢٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رسولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَام، فَأَخَذْتُهُ فقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسولِ الله ﷺ قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرِيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لقولِ رسول الله ﷺ.

فَرَصَدْتُهُ، فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسول الله ﷺ قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرِيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ».

فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَة، فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسولِ الله ﷺ وهذا آخِرُ ثلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ! فَقَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رسول الله، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقال لِي: لَا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ». رواه البخاري[1].

الشرح:

(لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسولِ الله ﷺ) أداء الأمانة.

(فَخَلَّيْتُ عَنْهُ) لعله مضطر، وسيستأذن النبي ﷺ بلا شك؛ لأنه مؤمن.

(أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ) هذا من دلائل نبوة النبي ﷺ.

(إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ) الشياطين الأصل فيهم الكذب، وهذا رد على أصحاب المحادثات مع الجن، يقرأ على الممسوس ثم يبقى يتحدث مع الجني، لا تصدق

(١) حديث رقم: (٢٣١١)، رواه تعليقا، وهو صحيح عند غيره.

الجني، الجني كذاب، قد يقول لك: سحرك فلان، أو: سحرك في مكان فلان، ويريد التلبيس عليك، ويؤدي إلى الشحناء والبغضاء، لا تصدق الجني ولا تستجري معه.

(إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ) أي: للنوم.

سميت آية الكرسي؛ لذكر كرسي الله فيها، والكرسي غير العرش، الكرسي: مقدمة العرش، موضع القدمين، كما قال ابن عباس، وأبو موسى.

ومن فسر الكرسي بالعلم أو فسر العرش بالعلم فقد أخطأ وأبعد، ومن فسر الكرسي والعرش بالملك فقد أخطأ وأبعد.

١٠٢١ - وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».

وفي رواية: «مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ». رواهما مسلم[1].

الشرح:

أما قوله: (مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ) شاذة، شذ بها شُعبة، والصحيح: (مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ).

وفيه فضيلة سورة الكهف، وأما ما جاء في فضيلة سورة الكهف يوم الجمعة فلا يثبت شيء عن النبي ﷺ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (٦/ ٩٣): قِيلَ: سَبَبُ ذَلِكَ مَا فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ، فَمَنْ تَدَبَّرَهَا لَمْ يُفْتَتَنْ بِالدَّجَّالِ، وَكَذَا فِي آخِرِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [سورة الكهف: ١٠٢]. اهـ

(١) حديث رقم: (٨٠٩).

١٠٢٢ - وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاعِدٌ عِنْدَ النبي ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ اليَوْمَ، فنَزَلَ منهُ مَلَكٌ، فقالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرضِ لم ينْزِلْ قطّ إلاّ اليومَ فَسَلَّمَ وقال: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلاَّ أُعْطِيتَه. رواه مسلم[1].

(النَّقِيضُ): الصَّوْتُ.

الشرح:

هذا الحديث استدل به كثير من أهل العلم على أن سورة الفاتحة نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة، والصحيح أن هذا الملك لم ينزل بسورة الفاتحة، فسورة الفاتحة قد نزل بها جبريل، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وإنما نزل هذا الملك بفضلها، يبشر بما جعل الله عَزَّوَجَلَّ على من قرأها وعمل بها.

(لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلاَّ أُعْطِيتَه) من الدعوات، والثناء الحسن، أي: لك أجر ما قرأت وما دعوت.

وفيه البشارات، وفضل ذلك.

وفيه السلام على من تنزل عليه.

وفيه أن الله أكرم هذا النبي وهذه الأمة بما لم يكرم غيرها، (أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ).

---

(١) حديث رقم: (٨٠٦).

(فَاتِحَةُ الكِتَابِ) ويقال لها: الفاتحة، ويقال لها: أم القرآن، ويقال لها: الكافية، ويقال لها: الشافية، ويقال لها: الصلاة، ويقال لها: الرقية، إلى غير ذلك من الأسماء، ويقال لها: الحمد، ويقال لها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة: ٢].

(لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ) أي بجملة مفيدة إلا أعطيتها، ويستجيب الله عَزَّوَجَلَّ دعاءها، وقد تقدم معنا حديث أبي هريرة وحديث ابن عباس في قراءتهما والله عَزَّوَجَلَّ يقول لهم: «**قد فعلت، قد فعلت**»، يقول للمسلمين حين استجابوا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، وجعلوا يدعون الله، ويقول: «**قد فعلت، قد فعلت**».

١٨٤ - باب استحباب الاجتماع عَلَى القراءة

١٠٢٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بينهم، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

ويدخل في هذا الاجتماع على العلم، على معرفة الحلال والحرام، فهذا من القرآن.

والنبي ﷺ كان يدارسه جبريل، فالتسميع مع إخوانك والمراجعة لكلام ربك فيها خير عظيم، والله المستعان.

وقلت في شرحي على صحيح مسلم:

قوله: "(وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ) مسجد، وما في حكمه من أماكن الاجتماع لطلب العلم، وتبليغه.

(يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ) سواء القرآن أو معاني القرآن، أو أحكام القرآن، فكله داخل في كتاب الله، فمثل دروسنا هذه التي نتعلم فيها العقيدة والتوحيد ونتعلم فيها الفقه هي من تلاوة كتاب الله، سواء قرأنا السنة أو قرأنا القرآن، نحن نتعلم معاني كتاب الله ونفسر كتاب الله، ونأخذ بكتاب الله.

(وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ): يقرؤونه فيما بينهم.

(إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) الطمأنينة، والراحة والهدوء.

(وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ) يرحمهم الله، ويرحمون بتكفير الذنوب، ورفع الدرجات وقضاء الحاجات، وانشراح الصدور، وسعة الأرزاق، وبركة الأوقات.

---

(١) حديث رقم: (٢٦٩٩).

(وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) على ما تقدم في حديث: «إِنَّ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ»، يحيطون بهم.

(وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) وهذه أرفع الدرجات، أن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ العبد في من عنده في الملأ الأعلى. اهـ

١٨٥ - باب فضل الوضوء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٦] **إِلَى قَوْله تَعَالَى:** ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦].

الشرح:

تتم بالوضوء الطهارتان: الحسية والمعنوية، الطهارة الحسية من الأدران، والطهارة المعنوية من الذنوب والمعاصي.

والوضوء نعمة عظيمة ومنة كريمة من الله عَزَّوَجَلَّ، كم فيه من الهبات وعظيم المكرمات! لو لم يكن إلا أن المؤمن يقوم من نومه يغسل ما به من الأذى والروائح، يرجع من عمله يغسل ما به من الأذى والروائح، ويُذهب النعاس، مع أننا نتعبد لله تعبدا بهذه الفِعلة، نتعبد لله ونتقرب إليه.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة المائدة: ٦] أي: إذا أردتم الصلاة، وقال الشافعي: إذا قمتم من النوم وأردتم الصلاة.

(﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾) وحدُّه: من منابه الشعر إلى أسفل الذقن، ومن الأذن إلى الأخرى، ولا يلزم أن يخلل اللحية، قال الإمام أحمد: أحاديث تخليل اللحية كلها ضعيفة، وإنما يكتفي بغسل الظاهر.

وهكذا يغسل يده إلى المرفقين، يبدأ بيمينه، ثم بشماله، ثم يمسح رأسه مسحا بماء فضل يده، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين، ولا بأس أن يشرع في العضد إذا غسل يديه، ويشرع في الساق إذا غسل رجليه.

" (﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾) بهذا الحكم (﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾) مشقةً كقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] فيشق عليكم

الغُسل أو البحث عن الماء أو تأخر الشفاء فالحال كما قال رسول الله ﷺ: «الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا» أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والنبي ﷺ يقول: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» متفق عليه عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾) من الأحداث والجنايات والذنوب، (﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾) بتكفير ذنوبكم، (﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾).

وفي أسباب النزول: ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْتِمَاسِهِ وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَأَتَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا: أَلَّا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِالنَّاسِ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخْذِي قَدْ نَامَ فَقَالَ: أَحَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، قَالَتْ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعَنُ بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَخْذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آيَةَ التَّيَمُّمِ: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ: مَا هَذِهِ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ.

وفي فضل الوضوء ما أخرج مسلم عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ فَالْوُضُوءَ حَدِّثْنِي عَنْهُ، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا

خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» أخرجه مسلم|". اهـ من كتابي **"القول المؤصل في تفسير الكتاب المنزل"**.

١٠٢٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ»، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

الغر في الوجه، والتحجيل في الأرجل والأيادي، وهذا هو الذي يعرف به النبي ﷺ أصحابه وأتباعه الذين جاؤوا بعده، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، أي: علامات صلاحهم في وجوههم.

(فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) هذه من زيادة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، زادها نُعيم المجمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهي من المدرجات.

قوله: (إِنَّ أُمَّتِي) أي: أمة الإجابة لا أمة الدعوة؛ لأن أمة النبي ﷺ تنقسم إلى قسمين: أمة الدعوة، وهم: من يشملهم الدخول في دينه ولم يستجيبوا له، وأمة الإجابة، وهم: الذين آمنوا به وانقادوا لشرعه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).

١٠٢٥ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ خليلي ﷺ يقول: «تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ». رواه مسلم[(١)].

الشرح:

أي: أن حلية المؤمن يوم القيامة تكون حيث يبلغ الوضوء.

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهم من هذا الحديث: أنه حيث وصل بالوضوء يكون الحلية، فلذلك كان يغسل يديه إلى الآباط، قال له بعضهم: ما هذا يا أبا هريرة؟ قال: دعوني منكم يا بني فروخ، إني سمعت النبي ﷺ يقول: (تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ)، ليس المراد أن تجاوز ما حده الشرع ويكون الحلية بقدره، وإنما تكون الحلية في أماكن الوضوء.

(وفيه: حرص الصحابة على الخير، ومع ذلك من أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد.

وفيه: أن الإنسان قد يكتم بعض العلم أو بعض الشيء؛ حتى لا يفتن به الجهلة والعامة ونحو ذلك). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

١٠٢٦ - وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

وسيأتي بيان سبيل خروجها، شيء عظيم، حتى ولو توضأت مرة مرة، كما ثبت عن ابن عباس، وتوضأت مرتين مرتين، كما ثبت عن عبد الله بن زيد، وتوضأت ثلاثا ثلاثا، كما ثبت عن عثمان بن عفان، يشملك الفضل.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٠).

(٢) حديث رقم: (٢٤٥).

(من تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ) بهذا الشرط، وإحسانه لا يكون إلا كوضوء النبي ﷺ، ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق؛ فإن النبي ﷺ لم يتوضأ إلا مع مضمضة واستنشاق، وقال ﷺ: «من توضأ فليستنثر»، والاستنثار لا يكون إلا بعد الاستنشاق، الاستنثار: إخراج الماء من الأنف، والاستنشاق: إدخال الماء إلى الأنف.

جاء في حديث لقيط بن صبرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إذا توضأت فمضمض»، بعضهم يرى شذوذ هذه اللفظة، لكن لم يترك النبي ﷺ المضمضة والاستنشاق، بل كان يتمضمض ويستنشق من كف واحد جميعا.

(خَرَجَتْ خَطَايَاهُ): ذنوبه، يريد ذنوبه، معاصيه، وهذه الصغائر، أما الكبائر لا بد لها من توبة.

(حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ) يعني: من تحت أظفار اليدين وأظفار القدمين.

١٠٢٧ - وعنه، قَالَ: رَأَيتُ رسول الله ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأ هكَذَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى المَسْجِدِ نَافِلَةً». رواه مسلم[1].

الشرح:

(رَأَيتُ رسول الله ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا) فيه التأسي بالنبي ﷺ.

(غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) الله أكبر، الوضوء كفارة للذنوب والمعاصي.

(وَكَانَتْ) أي: زيادة (صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى المَسْجِدِ نَافِلَةً) نافلة له، زيادة له، في المثوبة والأجر.

---

(١) حديث رقم: (٤٢٩).

فهنيئا لمن لازم التوبة من الكبائر، وكان ملازما لهذه الطاعات، فإنها تذهب عنه الأدران والسيئات، ثم يأتيه الخيرات والزيادات في بقية أعماله المبرات، كصلاة الجماعات، والتوجه إلى المساجد، وغير ذلك.

١٠٢٨ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ - أَو المُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ المَاءِ، أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ) هذا شك من الراوي.

الله أكبر، أين تجد هذا الفضل وهذا الخير إلا بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، الغفور الشكور.

١٠٢٩ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوانَنَا»، قالوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رسول الله؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»، قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسولَ الله؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ». رواه مسلم[2].

الشرح:

---

(١) انظر الحديث (١٢٩).

(٢) حديث رقم: (٢٤٩).

هذا حديث فيه عدة من الجمل: فيه زيارة المقابر، وسيأتي أن النبي ﷺ حث عليها ورغب؛ لما تجر إليه من العظة والذكرى.

(فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) فيه التسليم على الأموات، دعاء لهم بالسلامة، ولا يلزم أنهم يسمعون، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر: ٢٢].

(وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) فيه الاستثناء، مع أنه يعلم أنه لاحق بهم، وفي هذا الحديث وما في بابه استدل العلماء على الاستثناء في الإيمان.

(وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوانَنَا) فيه التمني الذي ليس فيه اعتراض على القدر.

(قالوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رسول الله؟) هذا معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

(قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي) وهي أخوة وزيادة، الصحبة أخوة وزيادة.

(وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ) وقد تكلم الناس في فضيلة إيماني المتأخرين من الأمة، وأثبتوا لهم خيرا عظيما؛ لأنهم آمنوا بالغيب، آمنوا بالغيب بكل ما أخبر به النبي ﷺ، لكن الصحيح أن الصحبة لا يعدلها شيء، الصحبة منقبة، وأولئك قد آمنوا بالغيب.

(قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسولَ الله؟)؛ لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل: ٦٥].

(أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيلٌ) كثيرة مثلا.

(غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ): فيها علامات في رأسها وفي أرجلها.

(بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ) يعني: لون واحد.

(وأنا فرطهم على الحوض) أي: سابقهم على الحوض، يعرفهم بسيماهم فيسقيهم.

١٠٣٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ».

رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا دلالة عظيمة.

(ألا أدلكم): أخبركم.

(على ما يمحو الله به الخطايا): يكفر به الذنوب والمعاصي والسيئات.

(ويرفع به الدرجات) أي: في الجنة.

(قالوا: بلى يا رسول الله) حرص على الخير.

(إسباغ الوضوء على المكاره) في شدة البرد أو شدة الحر، وأنت تتحمل الوضوء احتسابا للأجر من الله عَزَّوَجَلَّ.

(وكثرة الخطا إلى المساجد) وفيه ما عليه السلف كانوا يحبون البيوت البعيدة من المساجد، (ما يسرني أن بيتي قرب المسجد).

(وانتظار الصلاة بعد الصلاة) قيل: يصلي الظهر وأمله أن يصلي العصر، وقيل: أنه يصلي الصلاة ثم ينتظر في المسجد، ولا مانع أن يدخل في الفضل في الجهتين، لكن الحديث يدل على الانتظار في المسجد من باب الأولى.

---

(١) انظر الحديث (١٣١).

(فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ) أي: الرباط الحقيقي؛ لأنه رباط مستمر، ليس رباط يوم ولا ليلة، ولا شهر ولا سنه، بل يلزمه الإنسان حتى يلقى الله، همته أن يصلي جماعة، وأن يشهد الجماعة.

١٠٣١ - وعن أَبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ». رواه مسلم[1].

وَقَدْ سبق بطوله في باب الصبر، وفي البابِ حديث عمرو بن عَبَسَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق في آخر باب الرَّجَاءِ[2]، وَهُوَ حديث عظيم؛ مشتمل عَلَى جمل من الخيرات.

الشرح:

(الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ) قيل: نصفه؛ لأن الصلاة لا تُقبل إلا به، وقيل: أن الشطر لا يلزم منه أن يكون النصف.

والمراد بالإيمان هنا: الصلاة، فلا تقبل الصلاة إلا بالطهارة.

(مشتمل عَلَى جمل من الخيرات) ومنها: فضل الوضوء: «إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ - أَوِ المُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ» وهكذا، حديث عظيم.

---

(١) انظر الحديث (٢٥).

(٢) انظر الحديث (٤٣٨).

١٠٣٢ - وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الوُضُوءَ، ثُمَّ يقول: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». رواه مسلم(١).

وزاد الترمذي: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ»(٢).

الشرح:

فضيلة التوحيد، فضيلة الطهارة، فضيلة المتابعة.

وفيه أن أبواب الجنة ثمانية، بينما أبواب النار سبعة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [سورة الحجر: ٤٤].

(١) حديث رقم: (٢٣٤).

(٢) أخرجها الترمذي (٥٥)، وهذه الزيادة ضعيفة لا تثبت عن النبي ﷺ، تركها مسلم متعمدا، وقد أعله الترمذي فقال: هذا حديث في إسناده اضطراب، ولا يصح شيء عن النبي ﷺ في هذا الباب.

١٨٦ - باب فضل الأذان

١٠٣٣ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ، ولو يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(الاسْتِهَامُ): الاقْتِرَاعُ، وَ (التَّهْجِيرُ): التَّبْكِيرُ إِلَى الصَّلاةِ.

الشرح:

الأذان: هو الإعلام بدخول الصلاة ودخول الوقت.

الشرح:

(لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ): الآذان (والصَّفِ الأَوَّلِ) من الخير والفضل والمنزلة.

(ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ): يقترعوا فيما بينهم: من يأذن أو فيمن يدخل الصف الأول، (لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ)؛ لعظيم فضله، وعلو منزلته.

(ولو يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ): التبكير إلى المسجد للصلاة، ما ينتظر حتى تقام الصلاة ثم يأتي، شأنه أنه يبكر إلى المسجد، وأنت في خير، ستراجع قرآنا، ستؤدي الأذكار، ستكون مستعدا للصلاة والدخول من تكبيرة الإحرام.

يذكرون عن سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: عبد السوء الذي ينتظر حتى يُدعى.

كأنه يقول: ينبغي للإنسان أن يأتي إلى المسجد ويبكر قبل أن يُنادى له.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧).

(وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ): صلاة العشاء، وقد جاء النهي عن تسمية العشاء بالعتمة، لكن هذا من باب الإخبار عن الاسم الذي سماه بها الناس.

(وَالصُّبْحِ): صلاة الفجر.

(لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا) على ركبهم؛ لعظيم فضلهما، وعلو منزلتهما، «من صلى العشاء في جماعة كأنما صلى نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة كأنما صلى الليل أجمع»، وسيأتي.

١٠٣٤ - وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

الحديث على ظاهره: أن الله يكرمهم بطول أعناقهم، وقيل غير ذلك، لكن هذا المعنى أقرب.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم": في هذا الحديث فضل المؤذنين، وما لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ من الجزاء المبين وذلك أن المؤذن يرفع صوته ويسمع من المكان البعيد، ويعلو على ارتفاع؛ ليسمع فكان جزاؤه يوم القيامة أن يكون من أطول الناس أعناقا؛ لما يتطلع إليه من الخير العظيم والثواب الجسيم.

وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس يوم القيامة طالت أعناقهم؛ لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق، وقيل: معناه: أنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق، وقيل: معناه: أكثر أتباعا، وقيل: أكثر الناس أعمالا، وقال بعضهم: إعناقا أي: إسراعا إلى الجنة، وهو من سير العنق، وقد جاء أن النبي ﷺ قال: «الإِمَامُ ضَامِنٌ

(١) حديث رقم: (٣٨٧).

وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ»، وأخبر النبي ﷺ: «أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقد اختلف الناس أيهما أفضل الإمامة أم الأذان؟ والذي يظهر أن الإمامة أفضل؛ لقول النبي ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ»، ولأن النبي ﷺ كان إمام المسلمين، وذكر أن عمر بن الخطاب أراد أن يجمع بين الأذان والإمامة ولكنه عجز؛ للشغل ونحوه. اهـ

١٠٣٥ - وعن عبدِ الله بن عبدِ الرَّحْمانِ بن أَبي صَعصعة: أَنَّ أَبَا سَعيد الخدريَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِك - أَوْ بَادِيَتِكَ - فَأَذَّنْتَ للصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ» قَالَ أَبُو سَعيدٍ: سمعتُهُ مِنْ رَسولِ الله ﷺ. رواه البخاري[1].

الشرح:

(فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِك - أَوْ بَادِيَتِكَ - فَأَذَّنْتَ للصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ) حتى ولو كنت في صحراء، ولو كنت في بادية، ولو كنت في قرية، أين كنت حاول أن ترفع النداء بالصلاة، إذا لم يُرفع في المساجد ونحو ذلك.

(فَإِنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ) أي حتى من الأحجار والأشجار.

(إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ) وهذا دليل على فضل الأذان الذي ينبغي للإنسان أن يحافظ عليه إذا أكرمه الله به، ويحتسب الأجر من الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) حديث رقم: (٦٠٩).

١٠٣٦ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بالصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ للصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا واذكر كَذَا - لِمَا لَمْ يَذْكُر مِنْ قَبْلُ - حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(التَّثْوِيبُ): الإِقَامَةُ.

الشرح:

فيه: حرص الشيطان على أذية الإنسان.

وفيه: أن ذكر الله من التكبير والإقامة مطردة للشيطان.

وفيه: بغض الشيطان للحق، حتى أنه يمشي وله ضراط، والله أعلم كيف هذا الضراط؛ لأنه لا يريد أن يسمع الأذان، ربما يكون ضراطه في هذه الأيام أرفع من صوت مكبرات الصوت، وانظر إلى الكلاب المحيطة بالمساجد في أذان الفجر إذا سمعت الأذان تصيح كأنه - والله أعلم - مسكونة من الشياطين، يؤذيها صوت: الله أكبر الله أكبر، وهكذا كل مبطل يتأذى من الأذان.

بينما الأذان نداء الله، كلمات جميلات فيهن التوحيد والتعظيم، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

وتكرر هذه الكلمات المذكورات، فيها من عظيم المعاني ما كان سببا في اختيار الله عَزَّوَجَلَّ لها أن تكون أذانا للمسلمين.

اليهود ينفخون في قرن، النصارى يضربون في ناقوس، أصوات مزعجة، أولئك ينورون النار حتى يرون وقت عبادتهم، والمسلمون يقوم أحدهم في فجره على: الله

(١) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩).

أكبر الله أكبر، أول كلمة تطرق المسامع: الله أكبر الله أكبر، بدلا يقول لك: هيا فلان، جي يا فلان، أقبل يا فلان، افعل يا فلان، الله أكبر الله أكبر، يناديك بذكر الله، وفيها التوحيد، وفيها غير ذلك.

(فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ) أي: عاد إلى أذية الإنسان.

(حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ للصَّلاةِ) بالإقامة (أَدْبَرَ)، دليل على رفع الصوت بالإقامة، ما يبقى أحدهم يقيم في أذن نفسه، ربما لا يسمعه من بأطراف المسجد، إذا كان لا يُسمع لا بأس أن يستخدم مكبر الصوت، أما إذا كان يُسمع لا حرج.

قال النبي ﷺ: «**إذا سمعتم الإقامة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون**»، دليل على أنه يسمع الإقامة من خارج المسجد، فلذلك لا تأتي وأنت تجري إذا سمعت الإقامة، لكن ادخل بهدوء سكينة، هذا أمر يُتفطن له.

حتى أن بعض أهل المسجد مرة من المرات يقولون: أنتم تصلون بدون إقامة صلاة؛ لأن المؤذن كأنه يتحدث مع نفسه، نعم، الأذان للإعلام الخارجي، والإقامة للإعلام الداخلي، لابد أن يسمع الناس الإقامة؛ حتى يقوم ويستعد بتسوية الصفوف.

(حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ) أي: الإقامة (أَقْبَلَ).

مع أن الإنسان يقرأ قرآنا، ويسبح، ويحمد ويكبر، لكن ما هو مثل الأذان، انظر كيف الأذان يطرده، يطرده كالسارق الذليل.

(حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى) وفعلا يخرج من صلاته والله ما يعلم كم، ونسأل الله أن يعافينا ويسلمنا، كلنا ذلك المخطئ والمقصر.

١٠٣٧ - وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ النداء فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أكونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». رواه مسلم(١).

الشرح:

(إِذَا سَمِعْتُمُ النداء) أي: الأذان.

(فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ) أي: المؤذن، إلا في الحيعلتين تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله، وقال بعضهم: تجمع بين قولك: حي على الصلاة لا حول ولا قوة إلا بالله، والأول أولى.

(ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ) على النبي ﷺ: «اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

(فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا) والله لو صلى عليك ربي عَزَّوَجَلَّ صلاة واحدة لنالتك سعادة الدارين، كيف إذا صلى عليك عشر صلوات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كم فيها من الأجور؟ هذا دليل على عظيم فضل الصلاة على النبي ﷺ، إذا صلى الله عليك وصلك بالخير العظيم، إذا صلى الله عليك ذكرك، إذا صلى الله عليك أكرمك، إذا صلى الله عليك رفعك.

---

(١) حديث رقم: (٣٨٤).

فإذًا أنت حين تصلي على النبي ﷺ أنت تدعو لنفسك، ولكن أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يكرم محمدا ﷺ بصلاة أمته عليه، ثم أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يكرم أمة محمد ﷺ بصلاته عليهم؛ جزاء هذه العبادة الجليلة، **(مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)**.

(ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ) الوسيلة: القربة، يعني: تدعو الله للنبي ﷺ بالوسيلة، وهذا أيضا فيه مصلحة للعبد: أن يدعو لنبيه ﷺ، يتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ في أحسن الأوقات لاستجابة الدعوات.

حتى أن بعض العلماء استدل بهذا الحديث على أن أفضل الأوقات لاستجابة الدعوات: بين الأذان والإقامة؛ لحديث أنس: «**بين الأذان والإقامة دعوة لا ترد**».

زد على ذلك: أنك تتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، ثم تتوسل بالصلاة على النبي ﷺ، ثم تدعو لنبيك ﷺ، ثم تسأل حاجتك، كم لك من الأجر!

(فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) جاء من حديث جابر أن القائل يقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ**»، الحديث في البخاري، وبعضهم يتكلم فيه، لكنه ثابت.

حتى وإن لم تدع بالوسيلة قد تقدم حديث عمر أنه من قال: «**الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله**» في آخره يقول: «**من قلبه دخل الجنة**»، لكن مع هذا الثناء العظيم والدعاء العميم تحصل على خير عظيم.

وفيه أنها من أسباب شفاعة النبي ﷺ لك يوم القيامة، فقدم لنفسك.

١٠٣٨ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

١٠٣٩ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه البخاري(٢).

الشرح:

المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، يشفع النبي ﷺ للناس في يوم يرغب إليه الناس، بعد أن يأتوا على كثير من الأنبياء والمرسلين، وكل يقول: نفسي نفسي، نفسي، نفسي.

١٠٤٠ - وعن سعدِ بن أَبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أَنَّه قَالَ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالإِسْلامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ». رواه مسلم(٣).

الشرح:

يأتي بالتوحيد، ويُقرن معها الشهادة بالرسالة لمحمد ﷺ، ثم يخبر عن رضاه بالله وبدينه وبرسوله، تغفر له ذنوبه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على "صحيح مسلم" (٤/ ٨٩): وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَذَانَ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِعَقِيدَةِ الْإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَوْعَيْهِ مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ وَالسَّمْعِيَّاتِ فَأَوَّلُهُ إِثْبَاتُ الذَّاتِ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْكَمَالِ وَالتَّنْزِيهِ عَنْ أَضْدَادِهَا وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ اللهُ أَكْبَرُ وَهَذِهِ

(١) أخرجه البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣).

(٢) حديث رقم: (٦١٤).

(٣) حديث رقم: (٣٨٦).

اللَّفْظَةُ مَعَ اخْتِصَارِ لَفْظِهَا دَالَّةٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ثُمَّ صَرَّحَ بِإِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَنَفْيِ ضِدِّهَا مِنَ الشِّرْكَةِ الْمُسْتَحِيلَةِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَذِهِ عُمْدَةُ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ الْمُقَدَّمَةُ عَلَى كُلِّ وَظَائِفِ الدِّينِ ثُمَّ صَرَّحَ بِإِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ وَالشَّهَادَةِ بِالرِّسَالَةِ لِنَبِيِّنَا ﷺ وَهِيَ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ بَعْدَ الشَّهَادَةِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَمَوْضِعُهَا بَعْدَ التَّوْحِيدِ لِأَنَّهَا مِنْ بَابِ الْأَفْعَالِ الْجَائِزَةِ الْوُقُوعِ وَتِلْكَ الْمُقَدِّمَاتُ مِنْ بَابِ الْوَاجِبَاتِ وَبَعْدَ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ كَمُلَتِ الْعَقَائِدُ الْعَقْلِيَّاتُ فِيمَا يَجِبُ وَيَسْتَحِيلُ وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثُمَّ دَعَا إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَعَقَّبَهَا بَعْدَ إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ وُجُوبِهَا مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَا مِنْ جهة العقل ثم دعا إلى الفلاح وهوالفوز وَالْبَقَاءُ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأُمُورِ الْآخِرَةِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ وَهِيَ آخِرُ تَرَاجِمِ عَقَائِدِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ كَرَّرَ ذَلِكَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ للاعلام بالشروع فيها وهومتضمن لِتَأْكِيدِ الْإِيمَانِ وَتَكْرَارِ ذِكْرِهِ عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي الْعِبَادَةِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَلِيَدْخُلَ الْمُصَلِّي فِيهَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَبَصِيرَةٍ مِنْ إِيمَانِهِ وَيَسْتَشْعِرُ عَظِيمَ مَا دَخَلَ فِيهِ وَعَظَمَةَ حَقِّ مَنْ يَعْبُدُهُ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْقَاضِي وَهُوَ مِنَ النَّفَائِسِ الْجَلِيلَةِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ. اهـ

١٠٤١ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا رحمه الله، حديث ثابت.

١٨٧ - باب فضل الصلوات

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ **[سورة العنكبوت: ٤٥].**

الشرح:

وهذا من أعظم فضائلها، أنها تحول بين الإنسان وبين أسباب هلكته في الدنيا والآخرة.

وهذه الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر هي صلاة الخاشعين، صلاة العابدين المحسنين، وإلا كم من إنسان يصلي ولم تنهه صلاته على الفحشاء والمنكر! فمن كان هذا حاله فليراجع نفسه مع الصلاة؛ لأن الصلاة يكررها الإنسان في اليوم والليلة خمس مرات، ناهيك عن النوافل، وكم يقرأ فيها من المواعظ والأوامر والنواهي والزواجر؟ وهذه من أسباب صلاحه إن أخذ بها.

فينهاها عن الفحشاء والمنكر بلسان الحال ولسان المقال، فإذا قرأت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [سورة الإسراء: ٣٢] هذا نهي عن الفحشاء والمنكر، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء: ٣٦] أمر بالتوحيد ونهي عن الشرك والتنديد، وهكذا كونك تقول في كل ركعة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦] الصراط المستقيم هو: البعيد عن الفحشاء والمنكر، وصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

قد جاء في بعض الآثار: أن رجلا كان يصلي بالليل ويسرق بالنهار، فقيل للنبي ﷺ قال: «**ستنهاه صلاته**».

فإحسان الصلاة شأنه عظيم، وفضل الصلاة بغض النظر عن الأحاديث التي في فضلها عظيمة من وجوه:

الوجه الأول: أن الله فرضها على محمد ﷺ بغير واسطة، جميع الأوامر والنواهي ينزل بها جبريل إلى محمد ﷺ، لكن الصلاة فرضها الله على محمد وكلمه بها وأمره بها.

الأمر الثاني: أن الخمس الصلوات بخمسين صلاة.

الأمر الثالث: أنها تكرر في كل يوم، الحج في العمر مرة، الزكاة إذا تعينت فيما يحول عليه الحول في السنة مرة، الصيام في السنة شهر، بينما الصلاة في كل يوم، وهذا دليل عظيم على محبة الله عَزَّوَجَلَّ لها.

زد على ذلك: أن تارك بقية الأركان الصوم والزكاة والحج ما لم يكن جاحدا لا يكفر، بينما الصلاة الصحيح أن من تركها جاحدا أو تكاسلا أنه يكفر كفرا أكبر مخرج من الملة، فمن رجحت صلاته فاز، ومن ضعف في هذا الباب يُخشى عليه من الخسارة، والناس بين مستقل ومستكثر.

الأمر الذي يليه: أن الصلاة متعينة على كل مكلف، سواء كان قائما أو قاعدا أو مضطجعا إن عجز، بينما بقية الأركان تتعلق بأوقات معلومة، ولها شرائط مخصوصة، فالحج بالاستطاعة، والصوم بالاستطاعة، والزكاة إذا بلغ النصاب وحال حولا.

بينما الصلاة واجبة على جميع المكلفين، ما دام حيا يعقل يتعين عليه أن يصلي إن استطاع أن يقوم قائما، ما استطاع جالسا، ما استطاع على جنب، حتى ذهب بعض أهل العلم بأنه يصلي بالإشارة ونحو ذلك.

فهنيئا للمصلين، ونقصد بالمصلين الذين يأتون بها على الحقيقة التي أمر الله وشرعها، «**صلوا كما رأيتموني أصلي**».

وما أكثر تاركي الصلاة في هذا الزمان! نسأل الله السلام على العافية، قد لا تجد بيتا إلا وفيه تارك صلاة، إلا ما رحم ربي، وقد تجد بيوتا ما فيها مصلي، إلا ما رحم ربي.

أين عقول هؤلاء الناس؟ أين عقول هؤلاء الشباب والشابات والشيوخ والكهول الذين لا يصلون؟ هل أمنوا من الموت؟ الصلاة ما ترفع إلا على حائض أو نفساء، فتارك الصلاة هل عنده حيض أو نفاس حتى جاز له الترك؟ إذًا ما الذي رفع عنه هذا التكليف؟ لا يتشبه بالنساء، «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

احذر على نفسك يا تارك الصلاة أن تتشبه بامرأتك التي تترك الصلاة في أيام حيضها، وفي أيام نفاسها، أو تتشبه بالمجنون الذي رُفع عنه التكليف، نسأل الله السلامة والعافية.

ومن فضلها: أن الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا أن نعلمها أبناءنا في سن السبع، وأن يُضربوا عليها في سن العشر، كما صح عن النبي ﷺ بمجموع طرقه.

ومن فضائلها: أنها تصح في كل مكان؛ حتى لا تضيع، الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، إلى غير ذلك من الفضائل التي يأتي ذكر بعضها.

١٠٤٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قالوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا مثل ضربه النبي ﷺ للمصلي، فكما أن النهر الجاري يذهب الدرن الظاهر كذلك الصلاة تُذهب الدرن الباطن، تذهب ما في القلوب من الأحقاد والغل، وما في النفوس من المخالفات الشرعية، وهي أبلغ من أن يغتسل الإنسان بالأشنان، سيأتي: «**الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينها**».

(يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا) الصغائر، أما الكبائر لا بد من توبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

١٠٤٣ - وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ». رواه مسلم(١).

(الغَمْرُ) بفتح الغين المعجمة: الكثير.

الشرح:

لا يبقى من درنه شيء، لو كان الماء قليلًا ربما يغسل يذهب بعض ويبقى بعض، أما الماء الكثير يُذهب جميع الدرن.

وفيه: أن الصلاة من مكفرات الذنوب كما قال النبي ﷺ: «الصَّلَاةُ إِلَى الصَّلَاةِ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ».

وفيه: أن الله عَزَّوَجَلَّ كريم عظيم، قد جعل من الأعمال الصالحة ما تذهب به السيئات الطالحة، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة هود: ١١٤].

١٠٤٤ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النبيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ أَلِيَ هَذَا؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

بمعنى: أن من تعاطى ذنبا لاسيما من الصغائر ثم قام إلى الوضوء ثم قام إلى الصلاة ذهبت خطاياه، كما في بعض الروايات: قال النبي ﷺ: «أصليت معنا؟» قال: نعم، فأخبره أنها كفارة.

---

(١) حديث رقم: (٦٦٨).

(٢) انظر الحديث (٤٣٤).

لكن هذا لا يدعو الإنسان إلى الاستمرار في المعاصي والسيئات ويقول: سيغفر لي بالصلوات، هذا في حق إنسان ألمَّ بذنب ثم تاب منه حقيقة، فتُكفر عنه السيئات بالتوبة، وتكفر عنه أيضا السيئات بالحسنات، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤].

١٠٤٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغشَ الكَبَائِرُ». رواه مسلم(١).

الشرح:

(الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ) اليومية، (وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ) الأسبوعية.

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٣١]، بهذا الحديث يستدل جمهور العلماء على أن الكبائر لا بد لها من توبة، إلا أن أهل العلم يقولون: مثل هذه تكفر الصغائر، فإن لم تجد صغائر أنقصت من الكبائر.

١٠٤٦ - وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَها وَخُشُوعَها وَرُكُوعَها إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرَةٌ، وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

(مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ) شرط الإسلام لصحة العبادة، ويدخل فيه الرجال النساء.

(تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ)؛ لأنها هي المتعينة، وأما النافلة فهي نافلة.

(فَيُحْسِنُ وُضُوءَها) إحسان الوضوء كما توضأ النبي ﷺ.

---

(١) حديث رقم: (٢٣٣).

(٢) حديث رقم: (٢٢٨).

(وَخُشُوعَهَا) لو لم يكن إلا الظاهر، أما الباطن قد يقع في الإنسان من الوساوس، يأتيه الشيطان فيقول: اذكر كذا، واذكر كذا، فلا يدري كم صلى.

(وَرُكُوعَهَا) يطمئن فيه.

(إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب) إنما رسول الله ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

(مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرةٌ) والكبيرة قد تقدم بيانها: ما تُوعد عليه بنار أو حرمان من جنة، أو طرد من رحمة الله، أو براءة، أو جُعل عليها حد.

(وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ) يعني العمر كله وهي تكفر عنه هذه الذنوب والمعاصي.

١٨٨ - باب فضل صلاة الصبح والعصر

١٠٤٧ - عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

(البَرْدَانِ): الصُّبْحُ والعَصْرُ.

الشرح:

وسميا بهذا الاسم؛ لأن الفجر يكون في أشد برودة الليل، والعصر يكون في أشد برودة النهار.

وهذا وعد من رسول الله ﷺ لمن حافظ على هاتين الصلاتين في وقتيهما، أنه يُبشر من الجنة، ويوعد بالجنة.

١٠٤٨ - وعن أَبي زهير عُمارة بن رُؤَيْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يعني: الفَجْرَ والعَصْرَ. رواه مسلم[٢].

الشرح:

فانظر جاء الوعد له بالجنة وجاء الوعد له بالسلامة من النار، وهذا يحمل على أنه لن يلج النار ولوج خلود، وإلا فإن بعض المصلين قد يصاب بذنوبه ومعاصيه، لكن مثل هذا الذي يحافظ على الصلاة الفجر والعصر ربما يبادر بتوبة وإنابة، وتكفر عنه الخطايا والسيئات، ويلقى الله بذنب مغفور.

---

(١) انظر الحديث (١٣٢).

(٢) حديث رقم: (٦٣٤).

١٠٤٩ - وعن جُنْدُبِ بن سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ، لَا يَطْلُبَنَّكَ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا فيه وعيد عظيم لمن يتعرض المصلين، لا سيما من يصلي الصبح في جماعة حين تتعرضه يُخشى عليك من عذاب الله وعقابه، وربما نكبك؛ لأنك أخفرت ذمته، وفي الحديث: «لأن تخفر ذمتك أهون من أن تخفر ذمة الله وذمة رسوله ﷺ»، ومن يدركه الله عَزَّوَجَلَّ يكبه على وجهه في النار، لا يعجزه شيء.

١٠٥٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَى (يَتَعَاقَبُونَ) تَأْتِي طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ وَمِنْهُ تَعَقُّبُ الْجُيُوشِ وَهُوَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى ثَغْرِ قَوْمٍ وَيَجِيءَ آخَرُونَ وَأَمَّا اجْتِمَاعُهُمْ فِي الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ فَهُوَ مِنْ لُطْفِ اللهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْرِمَةٌ لَهُمْ أَنْ جَعَلَ اجْتِمَاعَ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَهُمْ وَمُفَارَقَتُهُمْ لَهُمْ فِي أَوْقَاتِ عِبَادَاتِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ فَيَكُونُ شَهَادَتُهُمْ لَهُمْ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْخَيْرِ. اهـ

(ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ) الذين نزلوا في العصر يعرجون في الفجر، والذين نزلوا في الفجر يعرجون بعد العصر.

---

(١) حديث رقم: (٦٥٧)، وقوله: «فانظر يا ابن آدم» عند أحمد.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ)؛ لأنه بكل شيء عليم.

(كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي) عبودية خاصة، عبودية تضرع وخشية وخوف، عبودية المؤمنين، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

وهناك عبودية عامة، لا ينتفع بها صاحبها، ﴿كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم: ٩٣].

(فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) شهادة عظيمة من ملائكة مكرمين مصدقين من ربهم، يعني يذكرون أحسن أحوالك، أتيناهم العصر وهم يصلون صلاة العصر، وتركناهم الفجر وهم يصلون، هنيئًا والله.

(وفيه: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد سخر ملائكة لكثير من الشؤون، فهؤلاء ملائكة يتعاقبون لشهود الصلاة، كما أن هناك ملائكة يتتبعون حلق الذكر، وملائكة يبلغون محمدا ﷺ من أمته السلام، وملائكة قد وكلوا بالأرحام، وملائكة قد وكلوا بالقطر، كما هو معلوم في موطنه، كما هو أيضا خزنة الجنة وخزنة النار، وما يتعلق بملائكة القبر، وملك الموت، وأتباع ملك الموت). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

١٠٥١ - وعن جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية: «فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ».

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(إِنَّكُمْ سَتَرَونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ) إثبات الرؤية لله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة يراه المؤمنون بأبصارهم، على عرشه في علوه.

(لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ) أي: لا تزدحمون على رؤيته، والحديث فيه تمثيل الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، فإن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

(لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ) أي: لا تزدحمون، أو: لا يلحقكم ضيم.

هذا الحديث ذكر وكيع: أنه لا يرده إلا جهمي.

١٠٥٢ - وعن بُرَيْدَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وحبوط العمل كليا لا يكون إلا عن كافر، أما المؤمن وإن وقع في بعض المعاصي والسيئات لا يُحبط جميع عمله.

(١) حديث رقم: (٥٥٣).

١٨٩ - باب فضل المشي إلى المساجد

المساجد بيوت الله، أحب البقاع إلى الله، ولذلك كان المشي إليها نعمة وبركة، والرجوع منها نعمة وبركة، والمكوث فيها نعمة وبركة، هل تجد بيتا على وجه الأرض يدخل في هذه الفضيلة غير المسجد؟ المشي إليه حسنات، الرجوع منه حسنات، المكوث فيه حسنات، زد على ذلك أنه تكفير للسيئات.

فهنيئا لمن تعلق قلبه بالمسجد، هنيئا، يرتاح فيه، ينشرح فيه، ذاك يتعلق قلبه بالسينما، وذاك بالمسرح، وذاك بالملعب، وذاك بمجالس القات والقيل والقال، وذاك بمجالس الألعاب والأتاريات، والشطرنج والضمنة والكيرم، وأسوأ من ذلك الببجي، ونحو ذلك.

وهذا تعلق قلبه بالمسجد، لو يذهب كل يوم خمس مرات كم خطوات؟ «**إلا كانت خطواته إحداها ترفع درجة والأخرى تخط خطيئة**»، فإذا رجع كم درجات؟ فإذا جلس في المسجد «**والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه**».

والله ربما أنت ما تدعو لنفسك بهذه الدعوات، كثير من الناس ينسى هذه الدعوات، وملائكة الله تكرر: «**اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه**»، وتستمر في هذا الدعاء، «**ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه**».

١٠٥٣ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

الغدوة في أول النهار، والروحة في آخر النهار.

ومن أعد الله له في الجنة نزلا مكرمة لا بد أن ينالها، لا بد أن ينالها يوما من الدهر، انظر كل غدوة وروحة فيها مكرمة ونزل، ونزل ممن؟ من الله، نزل من غفور رحيم.

١٠٥٤ - وعنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى إِلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خُطُوَاتُهُ، إِحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً». رواه مسلم[2].

الشرح:

(مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ): توضأ.

(ثُمَّ مَضَى إِلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ): المسجد.

(لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ): الصلاة.

والخطيئة: الذنب.

---

(١) انظر الحديث (١٤٣).

(٢) حديث رقم: (٦٦٦).

١٠٥٥ - وعن أُبيّ بن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا لِتَرْكَبَهُ في الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إلى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لكَ ذَلِكَ كُلَّه». رواه مُسلِم[1].

الشرح:

(وَكَانَتْ لا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ) التوفيق من الله، بعضهم جار المسجد ولا يحضر صلاةً، وبعضهم بعيد من المسجد ولا تخطئه صلاةٌ، هو توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(فِي الظَّلْمَاءِ): بالليل، (وَفِي الرَّمْضَاءِ): في شدة الحر بالنهار.

(قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ) يعني: أنتم تريدوني أركب حمارا، أنا ما أحب أن منزلي جنب المسجد، أحب المنزل البعيد.

(إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إلى أَهْلِي) هذا الاحتساب، هذه الثقة.

«إن لك ما احتسبت» كما في بعض الروايات، وقد قيل: نية المؤمنين خير من عمله، فعمل بدون نية محبوط على صاحبه، ونية بدون عمل فعل المتكاسلين، إلا فيما يحول بين الإنسان، قد يحال، هذا يؤجر إن شاء الله، «إنما تركها من جرائي».

وعمل مع النية هو فعل الصادقين المنيبين.

---

(١) انظر الحديث (١٣٧).

١٠٥٦ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَلَت البِقاعُ حولَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النبي ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «بَلَغَنِي أَنَّكُم تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ»، قالوا: نعم، يا رَسُول اللَّهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: «بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُم تُكْتَبْ آثارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ» فقالوا: مَا يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا. رواه مسلم، وروى البخاري معناه من رواية أنس[1].

الشرح:

(فَأَرَادَ بَنُو سَلمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ) يكونوا قريبين من النبي ﷺ، يسمعون حديثة، يصلون معه.

فيه جواز نقل الحديث للحاجة، وفيه التثبت أيضا.

(دِيَارَكُم) أي: الزموا دياركم.

(تُكْتَبْ آثارُكُمْ) يعني: أعمالكم وأجوركم.

(دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ) كررها؛ لبيان فضلها.

١٠٥٧ - وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أعظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عبد الله بن قيس.

((إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُمْ) فيه تفاوت الناس في الأجر في الصلاة، فكلما بعد مسكنه وكان صادقًا في نيته كلما ازداد أجره.

---

(١) انظر الحديث (١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥١)، ومسلم (٦٦٢).

(وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ) وإن تأخر (أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيَهَا ثُمَّ يَنَامُ) هذا إذا كان الإمام يؤخر الصلاة حتى يشق على الناس، أما إذا كان يصلي مبكرا فينتظر أحسن، وهو الواجب المتعين، ويوضح هذا: «حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَام» في جماعة.

فعليك يا عبد الله أن تكون من الحريصين على أن تكون من الخيار ومن الأفضل دائماً، لا ترض بالدون ما استطعت إلى ذلك سبيلا). اهـ من شرحي على صحيح مسلم.

١٠٥٨ - وعن بُريدَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «بَشِّرُوا المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1].

الشرح:

(بَشِّرُوا المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ): الفجر، في حال سكون الناس، ودعة الناس مع النوم.

(إلى المَسَاجِدِ): إلى بيوت الله.

(بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ) حين تُظلم على الكافرين، حين يكون الإنسان على الصراط.

١٠٥٩ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يا رَسُول اللهِ؟ قَالَ: «إِسْبَاغُ

(١) أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، من طريق إسماعيل بن سليمان الكحَّال، عن عبد الله بن أوس الخزاعي، عن بريدة به، وإسماعيل ضعيف، وعبد الله الخزاعي مجهول، وله شاهد من حديث سهل بن سعد، وله شاهد من حديث أبي درداء، وحسنه المحقق هنا.

الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». رواه مسلِم[1].

الشرح:

فيه السؤال من أجل التعليم، (ألا أدُلُّكُمْ): أعلمكم وأخبركم.

(مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا): يزيل به الذنوب والمعاصي.

(وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ) في الجنان.

(إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ) سواء كان المكروه حرا أو قرا.

(وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ) وهذا يكون كلما بعد الإنسان، وأيضا يكون كلما ذهب الإنسان إلى المسجد لصلاة، أو علم، أو نحو ذلك.

(فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) وإن كان الرباط في سبيل الله من أفضل الأربطة إلا أن هذا هو الرباط الذي يستمر عليه الإنسان في كل وقت وحين، وله أجر، والمرابط ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتان القبر.

١٠٦٠ - وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بالإِيمَانِ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [سورة التوبة: ١٨] الآية». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

الحديث ضعيف، ومعناه صحيح، فإن المنافقين المساجد عليهم ثقيلة، وأهل الإيمان المساجد إليهم مريحة.

(١) انظر الحديث (١٣١).

(٢) حديث رقم: (٣٠٩٣)، هو ضعيف، من طريق درَّاج عن أبي الهيثم، ولكن مع ذلك معناه صحيح.

١٩٠ - باب فضل انتظار الصلاة

١٠٦١ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَزَالُ أَحَدُكُمْ في صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمنَعُهُ أَنْ يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاَّ الصَّلاةُ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

هذا دليل على المعنى «انتظار الصلاة بعد الصلاة» يراد به: البقاء في المسجد حتى يأتي وقت الصلاة الأخرى، وهكذا من انتهى من صلاته وبقي يذكر الله مثلا من بعد الفجر إلى شروق الشمس هو في صلاة، من بعد العصر إلى غروب الشمس هو في صلاة، وهكذا بين مغرب وعشاء هو في صلاة، ولو كان يستمع الدروس، يعتبر من المصلين، وله أجر الصلاة.

١٠٦٢ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ». رواه البُخَارِيُّ(٢).

الشرح:

(الْمَلائِكَةُ) أي: المسخرة لهذا الأمر.

(تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ): تدعو له.

(مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ) قيل: ما دام في المسجد، لا يتعين أن يجلس في المكان الذي صلى فيه، بل ما دام في المسجد فهو في مصلاه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) حديث رقم: (٤٤٥)، بل ومسلم حديث رقم: (٦٤٩).

(مَا لَـمْ يُحْدِثْ) يعني: يقع منه الحدث من فساء أو ضراط ونحو ذلك؛ لأنها الأحداث التي تقع في المسجد، وقيل: ما لم تقع منه البدعة.

(تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) في رواية: «اللهم تب عليه».

١٠٦٣ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَّرَ لَيْلَةً صَلَاةَ العِشَاءِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَمَا صَلَّى، فَقَالَ: «صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا». رواه البُخَارِيُّ[1].

الشرح:

(إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ): ثلث الليل ونحو ذلك.

(ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَمَا صَلَّى) يبشرهم ويخطبهم.

يعني: لهم أجر عظيم، والناس ناموا وهم في صلاة.

قال الحافظ في الفتح (٢/ ٤٨): وَاسْتُدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى فَضْلِ تَأْخِيرِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ فَضِيلَةَ أَوَّلِ الْوَقْتِ لِمَا فِي الِانْتِظَارِ مِنَ الْفَضْلِ، لَكِن قَالَ بن بَطَّالٍ: وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ الْآنَ لِلْأَئِمَّةِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِالتَّخْفِيفِ وَقَالَ: "إِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ" فَتَرْكُ التَّطْوِيلِ عَلَيْهِمْ فِي الِانْتِظَارِ أَوْلَى. اهـ

(١) حديث رقم: (٦٦١)، ومسلم أيضا حديث رقم: (٦٤٩).

١٩١ - باب فضل صلاة الجماعة

١٠٦٤ - عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَة أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

قد جاء في بعضها: «خمسا وعشرين درجة»، وجاء في بعضها: «بضعا وعشرين درجة»، وجُمع بينها قيل: بأن الأقل يدخل تحت الأكثر.

وقيل: بأن الناس يتفاوتون، منهم من يكون له سبع وعشرون درجة، ومنهم من يكون له خمس وعشرون درجة.

وقيل: يعود إلى كثرة الناس وقلتهم في الجماعة.

وقيل: بأن النبي ﷺ أوحي إليه بخمسة وعشرين، ثم أوحي إليه بسبع وعشرين.

وهكذا عدة أقوال ذكرها في العلم، ومنهم ابن الملقن في كتابه (الإعلام).

قوله: (صَلَاةُ الْجَمَاعَة أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ) أي: الواحد.

١٠٦٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ في جَمَاعةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وفي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ، مَا لَمْ يُحْدِث، تقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ». متفقٌ عَلَيهِ، وهذا لفظ البخاري(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

الشرح:

(فِي بَيْتِهِ وفِي سُوقِهِ) هذا دليل على صحة الصلاة في السوق، وصحة الصلاة في البيت، خلافا لمن زعم أن الجماعة شرط في صحة الصلاة، فأبطل صلاة من لم يصل جماعة، وهذا قول ضعيف، يخالف قول جماهير العلماء، فالصلاة صحيحة، وهو آثم في تخلفه من غير عذر.

(وَذلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ) هذا بيان لسبب الدرجات التي يحصل عليها.

(ثُمَّ خَرَجَ إِلى المَسْجِدِ، لا يُخرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاةُ) فيه النية، اشتراط النية.

النيـــة شـــرط لـ صالح العمـــل بهـــا الـ صلاح والفســـاد للعمـــل

(لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً) إلى المسجد.

(فَإِذَا صَلَّى) مع الناس جماعة، أو لم يجد جماعة صلى في المسجد بمفرده.

(تقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ) تدعو له، والصلاة من الله: أن يذكره في الملأ الأعلى.

(اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) هذا دليل على أن الصلاة غير الرحمة؛ لأن بعضهم فسر الصلاة بالرحمة، والله عَزَّوَجَلَّ قد فرق بينهما: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [سورة البقرة: ١٥٧].

١٠٦٦ - وعنه، قَالَ: أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى، فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَجِبْ». رواه مُسلِم[1].

الشرح:

(فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ) مع وجود الزَّمَانة والعاهة.

(١) حديث رقم: (٦٥٣).

(فَأجِبْ) في رواية: «لا أجد لك رخصة».

والجمع بين هذا الحديث وحديث: أن النبي ﷺ رخص لعتبان: لعل هذا كان أقوى حالا من عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالناس يتفاوتون في العمى، بعضهم أعمى ويستطيع يمشي، ويعلم الطرق، ويسهل عليه التمييز، وبعضهم أعمى يتعب مسكين.

فإذا كان النبي ﷺ لم يرخص لهذا الأعمى فما الرخصة لمن يترك الجماعة مع قدرته واستطاعته؟

وفيه: أن شهود الجماعة واجب، من قوله: (فَأجِبْ)، ومن كونه ترخص من النبي ﷺ، لو كان شهودها مستحبا؛ ما احتاج إلى أن يترخص.

وقوله: (هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟) ليس معناه: أنه اشترط السمع، لكن معناه: أن المسجد الوصول إليه متيسر.

١٠٦٧ - وعن عبدِ الله - وقيل: عَمْرو بن قَيسٍ - المعروف بابن أُمّ مكتوم المؤذن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: يا رَسُول اللهِ، إنَّ المَدينَةَ كَثيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ. فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فَحَيَّهلًا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن[1].

ومعنى (حَيَّهلًا): تعال.

الشرح:

(فَحَيَّهلًا) يعني: عجل بالحضور.

وهذا موافق للحديث الذي قبله.

---

(١) حديث رقم: (٥٥٣).

١٠٦٨ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحْتَطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ». متفقٌ عَلَيهِ[1].

الشرح:

بهذا الحديث استدل من استدل من أهل العلم على وجوب الجماعة؛ لأن النبي ﷺ ما همَّ أن يحرقهم بالنار إلا لتركهم لأمر واجب.

وقيل: هذا قبل أن يوحى إليه: «**لا يعذب بالنار إلا رب النار**».

وقيل: بأنه لا يريد أن يحرقهم هم، وإنما يحرق بيوتهم؛ تنكيلا بهم، وتأديبا لمثلهم.

وفيه جواز الإنابة في الصلاة ونحو ذلك.

قال النووي: وأجابوا عن هذا الحديث بأن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين وسياق الحديث يقتضيه، فإنه لا يظن بالمؤمن من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع رسول الله ﷺ في مسجده، ولأنه لم يحرق بل هم به ثم تركه، ولو كانت فرض عين لما تركه، قال بعضهم: في هذا الحديث دليل على أن العقوبة كانت في أول الأمر بالمال؛ لأن تحريق البيوت عقوبة مالية، وقال غيره: أجمع العلماء على منع العقوبة بالتحريق في غير المتخلف عن الصلاة والغال من الغنيمة، واختلف السلف فيهما، والجمهور على منع تحريق متاعهما، ومعنى «**أخالف إلى رجال**»: أن يذهب إليهم، ثم إنه جاء في رواية أن هذه الصلاة التي هم بتحريقهم للتخلف عنها هي العشاء، وفي رواية: أنها الجمعة، وفي رواية: يتخلفون عن الصلاة مطلقًا، وكله صحيح، ولا منافاة في ذلك. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١).

١٠٦٩ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى غدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكم ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُم لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ في الصَّفِّ. رَوَاهُ مُسلِم[1].

وفي رواية لَهُ قَالَ: إنّ رَسُول اللهِ ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى؛ وإنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى الصَّلَاةَ في المَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ.

الشرح:

(فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ) أي: في المساجد.

(سُنَنَ الهُدَى): طرق الهدى.

(وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى) أي: الصلوات.

(وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ) إنكار المنكر، وأن الصلاة لا يتخلف عنها إلا من في قلبه مرض، نسأل الله السلامة والعافية.

(وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُم لَضَلَلْتُمْ): انحرفتم، ومن ضل هلك.

(وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا) أي: معاشر الصحابة رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

(وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ في الصَّفِّ) يعني لحرصهم على الصلاة ومحبتهم لها.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٦).

١٠٧٠ - وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُول اللهِ ﷺ يقول: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيةٍ، وَلَا بَدْوٍ، لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إلاَّ قَد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَة» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن[1].

الشرح:

أبو الدردار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عويمر.

فينبغي للإنسان أن يحافظ على الجماعة، حتى وإن كان في بادية، ينظر إذا وجد له من يصلي معه أمر طيب، وإن لم يجد شيئا يُعذر، لكن إن كان يجد فالأمر أحسن من ألا يبقى، وأيضا إن استطاع ألا يبقى في البادية أحسن له، يجلس بين الناس، يشهد الجمع والجماعات؛ لأن «من بدا جفا».

(١) حديث رقم: (٥٤٧).

١٩٢ - باب الحث عَلَى حضور الجماعة في الصبح والعشاء

١٠٧١ - عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». رواه مُسلِم.

وفي رواية الترمذي عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفَ لَيلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ وَالفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ». قَالَ الترمذي: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ) الله أكبر، يعني بصلاتك للعشاء في جماعة كأنك تقيم نصف الليل، أجر عظيم، كيف إذا كنت تصلي العشاء في جماعة وتقيم الليل وتصلي الفجر في جماعة؟ لك أجور عظيمة.

١٠٧٢ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». متفقٌ عَلَيهِ. وقد سبق بِطولِهِ[2].

الشرح:

أي: لو يعلمون ما في صلاة العشاء والفجر من الأجور؛ لأتوهما ولو حبوا، وقد نها النبي ﷺ عن تسمية العشاء بالعتمة، ولكن هذا من باب الإخبار.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٦)، والترمذي (٢٢١).

(٢) انظر الحديث (١٠٣٣).

١٠٧٣ - وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». متفقٌ عَلَيهِ(١).

الشرح:

لأنهم يستترون، أما صلاة الظهر والعصر وصلاة المغرب يخرجون؛ من أجل يراهم الناس؛ لأنهم يعملون للناس أصلا، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [سورة النساء: ١٤٢]، لكن الفجر والعشاء، يقولون: ما سيرانا أحد.

(وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا): ما فيهما من الأجر والمثوبة والمكرمة.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

١٩٣ - باب الأمر بالمحافظة عَلَى الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهنّ

قال الله تَعَالَى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [سورة التوبة: ٥].

الشرح:

(﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾) هي صلاة العصر على القول الصحيح من أقوال أهل العلم، وقد جاء النص بذلك، ففي حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر**»، وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وصلاة العصر.

والمراد بالصلوات المكتوبات المفروضات الخمس: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، فإن ترك هذه الصلوات كفر أكبر مخرج من الملة؛ لما يأتي: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**».

وبالنسبة للصلاة الوسطى يصلح في كل صلاة أن تسمى وسطى، لكن النص جاء بالعصر.

(﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾) مفهومه: أنهم إذا لم يؤتوا الصلاة لا يُخلى سبيلهم، وهكذا الآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [سورة التوبة: ١١]، مفهومه: أنهم إذا لم يصلوا ليس بإخوة لنا في ديننا، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

١٠٧٤ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رَسُول اللهِ ﷺ أيُّ الأعْمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ»، قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ». متفقٌ عَلَيهِ[1].

الشرح:

جاء في رواية: «ولو استزدته لزادني».

(سألت رَسُول اللهِ ﷺ) فيه سؤال أهل العلم، والعودة إليهم؛ لأن ذلك من أسباب السلامة الدينية والدنيوية، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل: ٤٣].

(أيُّ الأعْمَالِ أفْضَلُ؟) فيه أن الأعمال فيها أفضل ومفضول، ومنها الفرض والنفل، ومنها الواجب الحتم، ومنها المستحب.

(الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا) أي: في وقتها، سواء كان في أول وقتها أو في آخر وقتها، ما دام يصلي في الوقت هو داخل في هذه الفضيلة، قد جاء في بعض الروايات: «الصلاة في أول وقتها»، شذ بها علي بن عبد الله البارقي، وبعض أهل العلم يثبتها.

إلا أنه عند جماهير العلماء أفضل الوقت للصلاة: أن يُصلى في أول الوقت، إلا الظهر في الحر، والعشاء يستحب أن تؤخر إلى ثلث الليل.

(بِرُّ الوَالِدَيْنِ) قد تقدم الكلام على برهما وفضل ذلك، ومما يدل على فضيلته: أنه قُرن بالصلاة.

(الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ) وسيأتي بيانه في الكتاب أن: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

---

(١) انظر الحديث (٣١٢).

١٠٧٥ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». متفقٌ عَلَيهِ[1].

الشرح:

(بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ) أي: على خمس أُسُس وقواعد ودعائم.

(شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ) التوحيد؛ لأنه جاء في بعض الروايات: «على أن يوحدوا الله»، وفي حديث معاذ: «أن يعبدوا الله»، فلا إله إلا الله معناها: أن يُوحد الله وأن يعبد الله.

(وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ): يشهد لمحمد ﷺ بالعبودية، ردا على الغلاة، وبالرسالة ردا على الجفاة.

(وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) المفروضة، كما جاء مصرحا به في غير ما حديث.

(وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) المكتوبة.

(وَحَجِّ البَيْتِ) بقيد: «لمن استطاع إليه سبيلا»، والاستطاعة: الزاد، والراحلة، وأمن الطريق.

(وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي: صوم شهر رمضان، ويأتي فضله ومنزلته في بابه.

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

١٠٧٦ - وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ». متفقٌ عَلَيهِ[1].

الشرح:

قال: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ) ولم يقل: أن أقتل؛ لأن هناك فرق بين القتل والمقاتلة، فلا يلزم من المقاتلة القتل، وهل يقاتل الكفار على حرابهم أم على كفرهم؟ الذي رجحه شيخ الإسلام ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية قبل ذلك: أنهم يقاتلون على حرابتهم لا على كفرهم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد جوز أخذ الجزية منهم، ولو كانوا يقاتلون على الكفر ما قُبل منهم غير الإيمان.

وإنما يكفي منهم الانقياد لشرع الإسلام فيهم، ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٩].

(حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ): يفردوه بالعبادة، ومعنى شهادة لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

(وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ): يفردوه بالمتابعة، (فيجب أن يجمعوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله، شهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وإلا فإنهم إذ لم يعتقدوا صدق رسالة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فليسوا بمؤمنين ولا تغني عنهم لا إله إلا الله.

ومعنى شهادة أن محمدًا: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع). اهـ من "شرحي على الأربعين النووية".

(وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) أي: المكتوبة كما شرعها الله عَزَّوَجَلَّ، في أوقاتها المعلومة.

---

(١) انظر الحديث (٣٩٠).

وَرأى حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يُصَلِّي ولَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: (يَا فُلَان مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا) [١].

(وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) أي: المفروضة، (وقد جمع الله عَزَّوَجَلَّ بين الصلاة، والزكاة، في كثيرٍ من آيات القرآن، وذلك لأن الصلاة حق الله عَزَّوَجَلَّ، والزكاة حق المال حق لله، لكن هي في المال والصلاة في البدن، ولذلك قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ)** [٢]، لأن الله عَزَّوَجَلَّ جمع بينهما، فكيف هو يُفَرِّق بينهما). من "شرحي على الأربعين النووية".

(فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) **قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»**.

ومعنى: «**عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**» أي: منعوها حتى لا تؤخَذ منهم أما أموال الكفار الحربيين ودماء الكفار الحربيين فليست بمعصومة، وأما الكافر المستأمَن أو الكافر الذِمي، أو المسلم فعِرضه ودَمُه، وماله معصوم: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُم هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»[٣].

(إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلَامِ) حق الإسلام ما جاء في حديث ابن مسعود وجاء عن عائشة وعن عثمان: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**».

وهناك طوائف أخرى يجوز قتلهم، إما حدًا وإما تعزيرًا.

---

[١] أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٩١).

[٢] أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣٩٩، ١٤٠٠).

[٣] أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٧٩)، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه.

(وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ) أي: فيما فعلوه من المعاصي ونحوها.

(وفي هذا دليل، على أن المنافقين كذلك يُعَامَلون بالظاهر ولم يُعلَم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل المنافقين أو أمر بقتالِهم، وإنما يُجَاهَدون باللسان ويُبَيَن عَوَارُهم وتُبَيَن بدعتهم، ويُبَيَن ضلالهم، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان مجاهدًا لهم بذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]، ومعلوم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يجاهد المنافقين بالسيف، وإنما جاهدهم باللسان وفَضَح ما هم عليه). اهـ من "شرح على الأربعين النووية".

١٠٧٧ - وعن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعثني رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى اليَمَنِ، فَقَالَ: «إنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لَا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإنْ هُمْ أطاعُوا لِذلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإنَّهُ لَيْسَ بَينَهَا وبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». متفقٌ عَلَيهِ[1].

الشرح:

(بَعثني رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى اليَمَنِ) بعثه إلى الجَنَد، من مخاليف تعز، فكان معاذ على ذلك المخلاف، الجَنَد، وإب، وما إليها من المناطق، وكان باذان على صنعاء وما إليها من المناطق، وكان أبو موسى الأشعري على زبيد، وعدن، وما إليها من المناطق، وكان أبو عبيدة بن الجراح على نجران، ثم بُعث علي بن أبي طالب وخالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا.

---

(١) انظر الحديث (٤٠٨).

(إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ): اليهود؛ لأن اليمن كانت مليئة باليهود في ذلك الوقت، وفيها نصارى، إلا أن اليهود كانوا يتوزعون أكثر.

وفيه توطين الداعي على الاستعداد لمن ينزل إليهم.

(فَادْعُهُمْ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ): التدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالأهم، جاء في رواية البخاري: «فادعهم إلى التوحيد»، «فليكن أول ما تدعوهم إليه: أن يوحدوا الله»: أن يعبدوا الله.

وهذا هو تفسير شهادة لا إله إلا الله، كما بوب الإمام المجدد في كتابه التوحيد: باب تفسير التوحيد، وبين أن التوحيد هو: شهادة أن لا إله إلا الله، وما تضمنته وما دلت عليه.

(وأَنِّي رَسُولُ اللهِ)؛ لأنهم كانوا يؤمنون بالله في الجملة، إلا أنهم يشركون ويندون، ويكفرون بمحمد ﷺ.

(فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ) وهذا هو الشاهد.

(فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) المراد بها: الزكاة المفروضة، وقد يدخل فيها الصدقة المندوبة، وهذا الحديث وما في بابه استدل على وجوب الزكاة في عروض التجارة؛ لأن النبي ﷺ قال: (افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) ومعلوم أن أصحاب عروض التجارة عندهم من الغنى بقدر أموالهم التي يتاجرون فيها، فبعضهم ربما عنده تجارب بمئات الملايين، فكيف يقال: ليس في عروض التجارة زكاة؟

بل أبو عبيد يدعي الإجماع على الزكاة في عروض التجارة، وإن لم يكن إجماعا كما يقول بعض العلماء سيكون قول الجماهير، دلت عليه الأدلة: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام: ١٤١]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣].

ويُخرج في عروض التجارة ربع العشر، بشرط: حولان الحول على أصل التجارة، وأما الأرباح فلا يلزم فيها الحولان، لو كان رأس ماله قبل الحولان بأسبوع تسعة وثلاثين مليونا ثم كان بعدها أربعين مليونا؛ للزمه إخراج مليون ريال، ربع العشر.

وشيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يذهب الى عدم الزكاة في عروض التجارة، لكن الذي يظهر أن هذا القول مرجوح، فإن عمر بن الخطاب لما بعثه النبي ﷺ لجمع الصدقات قال: منع خالد، قال النبي ﷺ: «**أما خالد فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدرعه وعتاده في سبيل الله**»، الشاهد من الحديث: أنه لو لم يكن قد سبَّلها وكانت للتجارة؛ لتعين عليه أداء الزكاة فيها.

وقد جعل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الصحيح بابين لهذه المسألة، الزكاة في عروض التجارة، وذكر آثارا عن بعض الصحابة، وما يُستدل به في الباب من الآيات والأحاديث الدالة على عموم تعين إخراج الزكاة، سواء كان في النقديات، أو كان في الغراس، أو كان في الحبوب التي عُلم فيها الزكاة، أو كان في عروض التجارة.

«**وليس على العبد في عبده وفرسه صدقة**» إذا كان في غير عروض التجارة، أما إذا كانت قد اتخذها لعروض التجارة ففيها الزكاة.

وبهذا الحديث استدل على أن الصدقة يؤخذ من بلد الفقراء وترد إلى بلدهم، وهو فعل عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مع أنه يجوز نقل الزكاة للحاجة.

وبهذا الحديث استُدل على أنه لا يجوز دفع الزكاة للكافر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**».

(فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ) يعني: أحسنها وأزكاها، لا تأخذ الكريمة؛ فتضر بصاحب المال، ولا تأخذ الرديئة؛ فتضر بالفقير، ولكن بين ذلك.

(واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ) وهذا تحذير لجُبات الأموال أنه ينبغي لهم أن يراعوا ما يتعلق بأصحاب الأموال والفقراء؛ حتى لا تؤخذ الأموال على غير الوجه الشرعي.

والدليل العام: أن دعوة المظلوم مستجابة، سواء في الأموال أو في الأعراض، أو في غير ذلك، ترفع فوق الغمام، «**ثلاثة لا ترد دعوتهم**»، وذكر منهم: «**المظلوم**».

١٠٧٨ - وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُول اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ». رواه مُسلِم[1].

الشرح:

ذِكْر الرجل خرج مخرج الغالب، وإلا حتى المرأة: إن بين المرأة وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.

وبهذا الحديث استدل بعض أهل العلم على أن الشرك والكفر شيء واحد، وقد يكون بينهما عموم وخصوص، فكل شرك أكبر كفر، وربما يكفر بغير شرك، كَسَبِّ الله، وسب رسوله، وسب الصحابة، وامتهان القرآن، ونحو ذلك.

(تَرْكَ الصَّلَاةِ) أي: المفروضة.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

(استدل بهذا الحديث على كفر تارك الصلاة من وجوه:

---

(١) حديث رقم: (٨٢).

الأول: التوكيد: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ».

الثاني: دخول الألف واللام على الشرك والكفر التي تفيد العهد.

الثالث: أنه قد صرح بكفر تارك الصلاة، وقد جاء في معناه حديث بريدة عند الترمذي قال رسول الله ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»، وفي بابه عدة أحاديث.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة، مع اتفاق متقدميهم فيما يظهر على كفر تارك الصلاة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿* فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [سورة مريم:٥٩] ، ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾ [سورة المدثر:٤٢-٤٣]، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [سورة الماعون:٤-٥]، وفي حديث عبادة قال رسول الله ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وضُوءَهُنَّ وصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وسُجُودَهُنَّ وخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، ومَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وإِنْ شَاءَ عَذَّبَه**»، أخرجه أحمد.

والعجيب أن هذا الحديث: استدل به من لا يرى كفر تارك الصلاة، وليس له فيه دلالة؛ لأن الحديث ذكر لنا حال رجلين: أحدهما أتى بالصلاة بأركانها وشروطها وآدابها والآخر أتى بالصلاة مع تقصير فيها، فالأول مصل على الوجه المشروع والثاني قد صلى لكنه أساء، فكان للأول عهد عند الله والثاني ليس له عهد.

فالحديث فيه مصلي محسن ومصلي غير محسن، فهم استدلوا به على مصلي محسن وغير مصلي، وقد بين هذا الوجه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذهب من قال بكفر تارك الصلاة إلى الاستدلال بالإجماع، وهو قول عمر: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وكان خليفة للمسلمين ولم يعارض.

وأحاديث الشفاعة قاضية بكفر تارك الصلاة، مع أن كثيرًا من الناس يستدلون بعمومها على عدم كفره، وذلك أنه بالنظر إلى مجموع أحاديث الشفاعة قال: «فَيَأْتِيهِمْ فَيَعْرِفُهُمْ بِمَوَاطِنِ السُّجُودِ»، معناه إذا لم يكونوا على صلاة لم يعرفوا، والله أعلم.

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن شقيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: لم يكن الصحابة على شيء من العمل تركه كفر غير الصلاة.

زد على ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [سورة التوبة:١١] ، مفهومه: أن تارك الصلاة ليس بأخ لنا، ومنه حديث أبي أمامة قال رسول الله ﷺ: «لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»، إلى غير ذلك، والله أعلم). اهـ

١٠٧٩ - وعن بُرَيْدَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ». رواه التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح[1].

الشرح:

العهد والميثاق الذي بيننا وبين غيرنا من الناس الصلاة، من أقر بها وجاء بها فهو المؤمن، له مالنا وعليه ما علينا، قال النبي ﷺ: «نُهيت عن ضرب أهل الصلاة».

(فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) كفر أكبر عن الصحيح.

---

(١) حديث رقم: (٢٦١).

١٠٨٠ - وعن شقِيق بن عبدِ الله التَّابِعيِّ المتفق عَلَى جَلَالَتِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ في كِتابِ الإيمان بإسنادٍ صحيحٍ[1].

الشرح:

قد جاء مرفوعا عن أبي هريرة ولا يثبت.

وهذا الأثر يستدل به على إجماع الصحابة على تكفير تارك الصلاة، زد على ذلك: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين طُعن قال: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، استدل به على الإجماع على كفر تارك الصلاة.

وقوله: (كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ) أي: من الأعمال المشهورة، مثل الزكاة، لا يكفر إلا جاحدها، الصيام لا يكفر إلا الجاحد، الحج لا يكفر إلا الجاحد.

وأما الصلاة يكفر تاركها جاحدا كان أو متكاسلا على الصحيح من أقوال أهل العلم، وقد ألف الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في هذا الباب، مفيدة مع اختصارها.

١٠٨١ - وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ؛ فَقَدْ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ؛ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُ عَزَّوَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبدي من تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلُ مِنْهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ عَلَى هَذَا». رواه التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[2].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٢٦٢٢).

(٢) حديث رقم: (٤١٣).

(إنَّ أوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ) قد جاء عن رجل من أصحاب النبي ﷺ بهذا اللفظ.

(أوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ) الذكر والأنثى، الجني والأنسي.

(مِنْ عَمَلِهِ) الكثير (صَلَاتُهُ) ما يحاسب على غيرها، ابتداء يُسأل عنها.

(فَإنْ صَلَحَتْ؛ فَقَدْ أفْلَحَ وأَنْجَحَ) صلح سائر عمله.

(وَإنْ فَسَدَتْ؛ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) فسد سائر عمله.

(انْظُرُوا هَلْ لِعَبدي من تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلُ مِنْهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟) ولهذا جعل الله عَزَّوَجَلَّ النوافل تتمة للفرائض وحماية للفرائض، فمن حافظ على النوافل كان حفاظه على الفرائض أولى، ومن فرط في النوافل يوشك أن يفرط في الفرائض.

انظروا الذي يحرص على صلاة أربع قبل الظهر ربما ما يأتي الأذان إلا وهو في المسجد، أو بعد الأذان، بحيث تدركه تكبيرة الإحرام، وهكذا يحرص على ركعتين قبل المغرب، وركعتين بعد المغرب، وركعتين قبل العشاء، وركعتين بعد العشاء.

قبل العشا وقبل المغرب هو من النوافل المطلقة، «بين كل أذانين صلاة»، «صلوا قبل المغرب»، ونحو ذلك.

١٩٤ - باب فضل الصف الأول والأمر بإتمام الصفوف الأُوَل وتسويتها والتراصّ فِيهَا

الصف الأول هو الأفضل، ومع ذلك ينبغي العناية بجميع الصفوف الأول.

١٠٨٢ - عن جابر بن سَمُرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا» فَقُلْنَا: يَا رَسُول اللهِ، وَكَيفَ تُصَفُّ المَلَائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ». رواه مُسلِم[1].

الشرح:

العناية بالتأسي بمن أمر الله بالتأسي به، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]، ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

وهنا يقول: (أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا) فيه أن شأن أهل الإيمان واحد.

(فَقُلْنَا: يَا رَسُول اللهِ، وَكَيفَ تُصَفُّ المَلَائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟) علم غيب.

(قَالَ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ) الأول فالأول.

(وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ) لا يجعلون فرجة للشيطان.

١٠٨٣ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا». متفقٌ عَلَيهِ[2].

الشرح:

يعني: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ) من الفضل والمثوبة.

(ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ) على النداء الأول، وعلى الصف الأول.

---

(١) حديث رقم: (٤٣٠).

(٢) انظر الحديث (١٠٣٣).

(لاسْتَهَمُوا) عليه، مسارعة ومسابقة إلى الخير، هذا في حال إذا دخلوا دفعة، أما إذا لم يدخلوا دفعة فمن سبق إلى أن مباح فهو أحق به من غيره، «لا يقيمن الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يقعد فيه، ولكن تفسحوا».

١٠٨٤ - وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا». رواه مُسلِم[1].

الشرح:

أي: أن الصفوف تتفاضل، فكلما كان الصف قريبا من الإمام كان أفضل ممن بعده.

(خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا)؛ لدنوهم من الإمام، وتأسيهم به.

(وَشَرُّهَا آخِرُهَا)؛ لبعدهم عنه، وعدم سماعهم لقراءته، ولتخلفهم عن المبادرة.

(وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا)؛ لبعدها عن الفتنة بالرجال.

(وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا)؛ لقربها من الرجال، لأن المرأة إذا قربت من الرجال؛ تأثرت بهم وفُتِنت بهم، وهكذا الرجال إذا قربوا من النساء.

وهذا إذا ما كان صفوف النساء خلف صفوف الرجال، أما إذا كانت منفصلات على حدتهن فلا بأس أن يقربن ويتسابقن إلى الصفوف الأول.

١٠٨٥ - وعن أبي سعيد الخدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ رأى في أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ». رواه مُسلِم[2].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٤٤٠).

(٢) حديث رقم: (٤٣٨).

فيه موعظة من حصل منه نوع فتور، يوعظ بالخير، بل ربما يُغلظ له؛ حتى يستفيد، وحتى يفيق من الغفلة التي هو فيها، فبعض الناس يتسلط عليه الشيطان ويغفل عما هو فيه من الخير، فلذلك قد يتعين أن يُنصح، وأن يُغلظ له، انظر إلى هذا الحديث: **(تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي)** والأمر قد يكون للوجوب بقرائنه.

(وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ): ليتأسى بكم من جاء بعدكم من الصفوف.

ثم قال: **(لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله)** هذا هو الشاهد من الحديث، لا يزال قوم يتأخرون عن الخير حتى يؤخرهم الله عنه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [سورة الصف: ٥]، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [سورة التوبة: ٦٧].

فأنت لا تشعر بحجم الزيغ وحجم التفريط؛ لأن الزيغ والتفريط يأتي على تدرج، اليوم قد تفوتك تكبيرة الإحرام، وغدا تفوتك الركعة الأولى، بعد غد تفوتك الركعتان، بعد غد تفوتك ثلاث، بعدها تفوتك الأربع، بعدها تصلي في الجماعة الثانية.

وهكذا في باب العلم، اليوم يفوتك درس، وغدا يفوتك درسان، وهكذا في باب المجالسة للصالحين اليوم تفتر عن بعضهم وغدا تفتر عنهم جميعا.

فالحديث فيه موعظة لنا: أن الإنسان لا يتأخر عن الخير، وأن يلازم الخير، وإذا رأى من نفسه نُفْرة؛ فليستغفر ربه، وليدع ربه، ولعالج نفسه، قبل أن يفوت، ويتمنى بعد ذلك الرجوع إلى ما كان عليه، ما يستطيع، ما يستطيع.

١٠٨٦ - وعن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا ولَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رَوَاهُ مُسلِم(١).

الشرح:

(اسْتَوُوا) في صلاتكم، تراصوا بين الصفوف، لا تدعوا فرجات للشيطان، هذا أمر مهم يدل على أن تسوية الصفوف واجب، وربما كثير من فساد القلوب بسبب عدم تسوية الصفوف.

(ولَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ): اختلاف الظاهر قد يؤدي إلى اختلاف الباطن، واختلاف الباطن سبب لاختلاف الظاهر.

(لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى): أولو العقول السليمة والفِطَر المستقيمة، الذين يحسنون الصلاة، ويحسنون العبادة، حتى إذا طرأ على الإمام شيء نبهوه، وحصل منهم الإنابة له.

١٠٨٧ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ». متفقٌ عَلَيهِ(٢).

وفي رواية للبخاري: «فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ».

الشرح:

(سَوُّوا صُفُوفَكُمْ) أي: في الصلاة.

(فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ) في حال الصلاة (مِنْ تَمَامِ) وكمال (الصَّلَاةِ).

(مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ) الإقامة الشرعية، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣].

---

(١) انظر الحديث (٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣)، ومسلم (٤٣٣).

١٠٨٨ - وعنه، قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي». رواه البُخَارِيُّ بلفظه، ومسلم بمعناه[1].

وفي رواية للبخاري: وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ.

الشرح:

(فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ) يعني: مذكرا لهم، وناصحا لهم، ومعلما لهم.

وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ أنه يرى من خلف الظهر، ولا يجوز لغيره أن يقول: أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري، إنما يقول: أقيموا صفوفكم وتراصوا؛ لأن بعضهم قد يجمد على بعض الألفاظ وهي لا تصلح له.

(وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ) هذا موقوف على أنس، بعضهم يرى أن له حكما الرفع؛ لأن النبي ﷺ ربما قد اطلع على هذا.

وما جرى في عصره أو اطلع ... عليه إن أقره فليُتَّبع

١٠٨٩ - وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سمعت رَسُول اللهِ ﷺ يقول: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ». متفقٌ عَلَيهِ[2].

وفي رواية لمسلم: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ كَانَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا القِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَومًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: «عِبَادَ اللهِ، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أو لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٧١٩) و (٧٢٥)، ومسلم (٤٣٤).

(٢) انظر الحديث (١٦٠).

(لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ) هذا مؤكد بعدة مؤكدات: القسم، واللام والنون، والله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم، ومخالفة الوجوه تكون بعد مخالفة القلوب، كما تقدم.

(عِبَادَ اللهِ) أي: يا عباد الله.

١٠٩٠ - وعن البراءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إلى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: «لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»، وكانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن[1].

الشرح:

وفيه رفق النبي ﷺ بأصحابه، والعناية بهم، والتألف لهم.

وفيه أن الصحابة في صلاتهم كانوا كالبنيان المرصوص.

جاء بلفظ: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف»، لكن هذه اللفظة انتُقدت، والثابت: «إن الله وملائكته يصلون على الصفوف الأول».

١٠٩١ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينوا بِأَيْدِي إِخْوانِكُمْ، ولَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسناد صحيح[2].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٦٦٤).

(٢) حديث رقم: (٦٦٦).

(وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ) المنكب: هو هذا الموطن، العاتق، ويليه المنكب، ويليه الكتف.

بعضهم يرى أن المحاذاة لا يلزم منها الالتصاق والاتصال، والصحيح أن التراص مطلوب.

(وَسُدُّوا الخَلَلَ) الذي يكون بين أرجلكم وبين أجسامكم.

وبهذا تعلم أن الإساءة حصلت في أيام كورونا في عدم التراص، والله المستعان.

قال بعضهم: لماذا أُمرنا بسد الخلل والشيطان ربما يستطيع أن يأتي من فوقهم وربما استطاع أن يدخل من أمامهم؟ فقال له بعضهم: إنما غاية الشيطان أن يفرق بين القلوب والأبدان، هو ما يريد يدخل على الناس وإلا يدخل، لكن هو يريد يفرق بينهم؛ حتى يؤذيهم في صلاتهم، ويشغلهم في صلاتهم.

(وَلِينوا بِأَيْدِي إِخْوانِكُمْ) يعني: إذا جاء رجل إلى الصف وذهب يدخل فيه ينبغي أن يُلين له كل رجل منكبيه حتى يدخل في الصف، وهذا إذا كان الصف مزحوما، وربما لم يجد من يصلي معه في الصف الثاني.

(ولَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشَّيْطَانِ) أي: لا تدعوا فرجات يدخل منها الشيطان.

(وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ) يعني وصله الله بهداه، وصله الله برزقه، وصله الله بخيره، وصله الله بتوفيقه، وصله الله بتسديده، إلى غير ذلك.

(وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ) نسأل الله السلامة والعافية، هذا دليل على أن صلة الصفوف واجبة، وأن قطع الصفوف كبيرة.

١٠٩٢ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ». حديث صحيح رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم(١).

(الحَذَفُ) بحاء مهملةٍ وذالٍ معجمة مفتوحتين ثُمَّ فاء وهي: غَنَمٌ سُودٌ صِغَارٌ تَكُونُ بِاليَمَنِ.

الشرح:

يعني: أن الشيطان يدخل بين الصفوف، يسعى في إفساد الإنسان، وفي وسوسته، وفي صرفه عن صلاته، فالإنسان من الفقه أن يضيق مداخل الشيطان.

١٠٩٣ - وعنه: أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتِمُّوا الصَّفَّ المُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن(٢).

الشرح:

وهذا دليل على تعين إتمام الصفوف المقدمة.

١٠٩٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم، وفيه رجل مُخْتَلَفٌ فِي تَوثِيقِهِ(٣).

الشرح:

كما تقدم أن هذا الحديث شاذ، وإنما المحفوظ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف».

---

(١) حديث رقم: (٦٦٧).

(٢) حديث رقم: (٦٧١).

(٣) حديث رقم: (٦٧٦).

١٠٩٥ - وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أو تَجْمَعُ - عِبَادَكَ». رواه مُسلِمٌ[1].

الشرح:

هذا الحديث كما ترى في مسلم، وسنده صحيح، لكن قد جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه من أذكار الليل، والله أعلم.

١٠٩٦ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَسِّطُوا الإِمَامَ، وَسُدُّوا الخَلَلَ». رواه أَبُو دَاوُد[2].

الشرح:

بمعنى: أنك ما تجعل الإمام في شق والناس كلهم مرتصون في شق آخر، بل يتوسط الإمام، ويُبدء في تسوية الصفوف من بعد الإمام، هذه هي السنة، أن تبدأ في تسوية الصفوف من خلف الإمام، ما تبدأ من الطرف؛ لأنك إذا بدأت من الطرف ربما ما تصل إلى الطرف الثاني إلا وقد اعوج الصف، لكن من خلف الإمام بحيث يثبت، ومن هاهنا يصفون عليه، ومن هاهنا يصفون عليه.

(١) حديث رقم: (٧٠٩).

(٢) حديث رقم: (٦٨١).

١٩٥ - باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما

١٠٩٧ - وعن أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ رملة بِنْتِ أبي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالت: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ تَعَالى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيرَ الفَرِيضَةِ إلاَّ بَنَى الله لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ»، أو: «إلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ». رواه مُسلِمٌ[(١)].

الشرح:

(هذه النوافل تسمى بالنوافل القبلية والبعدية للصلاة، وقد اختلف أيهما أفضل هذه النوافل أم قيام الليل؟ فذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه النوافل أفضل وأكمل؛ لأنهن مقدمات بين الصلاة المفروضة أو بعد الصلاة المفروضة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن قيام الليل أفضل؛ لقول رسول الله ﷺ: «أفضل الصلاة بعد المفروضة قيام الليل». وعلى كلٍ فالمحافظة والمداومة عليهن هو فعل النبي ﷺ في الحضر، وأما في السفر فإنه لم يكن يصليهن إلا ما كان من ركعتي الفجر). من "شرحي على صحيح مسلم".

وقد جاء تحديدها عند الترمذي وغيره: ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، ركعتان بعد الظهر، ركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء.

١٠٩٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعدَ العِشَاءِ. متفقٌ عَلَيهِ[(٢)].

---

(١) حديث رقم: (٧٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١٧٢)، ومسلم (٧٢٩).

الشرح:

(رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ) هذا على التنوع، قد جاء أربع وقد جاء ركعتان.

جاء في رواية: أما الجمعة والعشاء كان يصليهما في بيته، والظهر.

١٠٩٩ - وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ» قال في الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ». متفقٌ عَلَيهِ[1].

المُرَادُ بِالأَذَانَيْنِ: الأَذَانُ وَالإِقَامَةُ.

الشرح:

وجاء أيضا: «صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب»، قال في الثالثة: «لمن شاء».

وفي حديث عائشة في (صحيح مسلم): أن النبي ﷺ كان إذا أذن المؤذن للظهر صلى أربع ركعات، ثم خرج فصلى بالناس، ثم دخل فصلى ركعتين، ثم يخرج يصلى بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلي ركعتين، ثم يخرج فيصلي بالناس العشاء، ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان إذا أذن المؤذن لصلاة الفجر صلى ركعتين، ثم خرج وصلى بالناس.

وقد اختلف العلماء في هذا (بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ) هل كل يوم يبنى بيت أم بالمواظبة عليها والاستمرار عليها يبنى له بيت واحد؟ بكلاهما قد جاءت الأحاديث، وفضل الله عَزَّوَجَلَّ واسع.

قوله: (لِمَنْ شَاءَ) دليل على أن الأمر ليس للوجوب، وإنما هو للاستحباب.

والمراد بالأذانين: الأذان والإقامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧)، ومسلم (٨٣٨).

١٩٦ - باب تأكيد ركعتي سنّةِ الصبح

١١٠٠ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[(١)].

١١٠١ - وعنها، قالت: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنهُ عَلَى رَكْعَتَي الفَجْرِ. متفقٌ عَلَيهِ[(٢)].

الشرح:

حتى في السفر.

وفي هذا دليل على أن النوافل تتفاضل.

١١٠٢ - وعنها، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا». رواه مُسلِمٌ[(٣)].

وفي رواية: «هُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا».

الشرح:

أي عبادة خير من الدنيا وما فيها؛ لأنك ستجد أجرها وثمرتها يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].

---

(١) حديث رقم: (١١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٩)، ومسلم (٧٢٤).

(٣) حديث رقم: (٧٢٥).

١١٠٣ - وعن أبي عبد الله بلالِ بن رَبَاح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُؤَذِّن رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ أَتَى رَسُول اللهِ ﷺ لِيُؤْذِنَه بِصَلاةِ الغَدَاةِ، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالًا بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ، حَتَّى أَصْبَحَ جِدًّا، فَقَامَ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، وَتَابَعَ أَذَانَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى بِالنَّاسِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ شَغَلَتْهُ بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحَ جِدًّا، وَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ، فَقَالَ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ-: «إِنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ» فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ أَصْبَحْتَ جِدًّا، فقَالَ: «لَوْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأَحْسَنْتُهُمَا وَأَجْمَلْتُهُمَا». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن[1].

الشرح:

(فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالًا بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ) فيه أن كلام المرأة مع الرجل مع أمن الفتنة وبغير خضوع بالقول لا بأس به، إنما المحظور الاختلاط والخلوة والخضوع في القول.

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (١٢٥٧)، وهو حديث منقطع بين عبد الله بن العلاء، وكذلك عن أبي زياد عبيد الله بن زياد الكندي عن بلال.

١٩٧ - باب تخفيف ركعتي الفجر وبيان مَا يقرأ فيهما وبيان وقتهما

١١٠٤ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ. متفقٌ عَلَيهِ(١).

وفي روايَةٍ لَهُمَا: يُصَلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أَقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهما بِأُمِّ القُرْآنِ.

وفي رواية لمسلم: كَانَ يُصلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ إِذَا سَمِعَ الأَذَانَ وَيُخَفِّفُهُمَا.

وفي رواية: إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ.

الشرح:

ما يقوم يصليهما كأنه يقيم الليل، يقرأ فيهما بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: ١]، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١]، أو بما يأتي من حديث ابن عباس، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لا أدري أقرأ فيهما بفاتحة الكتاب أم لا.

١١٠٥ - وعن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلصُّبْحِ وَبَدَا الصُّبْحُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. متفقٌ عَلَيهِ(٢).

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ لا يُصَلِّي إِلاَّ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ.

الشرح:

(وَبَدَا الصُّبْحُ) أي: أنه يصلي بعد تيقن دخول الفجر.

وبعضه يأتيه الشيطان كأنه حريص على الخير يقول: أصلي ركعتين تحية المسجد، وأرجع أقوم أصلي ركعتين سنة الفجر، يا أخي ما أنت أحرص على الخير

(١) أخرجه البخاري (٦١٩)، ومسلم (٧٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٨)، ومسلم (٧٢٣).

من الصحابة، وقبل ذلك من رسول الله ﷺ، تحية المسجد تسقط بصلاة فريضة، أو بصلاة نافلة أخرى، أو بدخول على غير طهارة، أو بدخول الإمام على المنبر.

١١٠٦ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ، وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ. متفقٌ عَلَيهِ(١).

الشرح:

يعني: يستعجل فيهما، لكن استعجال مع طمأنينة، ما تنقرهما نقر الغراب.

١١٠٧ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [سورة البقرة: ١٣٦] الآية الَّتي في البقرة، وفي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٢].

وفي رواية: وفي الآخِرَةِ الَّتي في آل عِمْران: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]. رواه مسلم(٢).

الشرح:

لا محظور أن يقرأ تارة بـ (﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾) أو: (﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾)، كلاهما سياقتهما متقاربة.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٥)، ومسلم (٧٤٩).

(٢) حديث رقم: (٧٤٧).

١١٠٨ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قرأ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: ١] وَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١]. رَوَاهُ مُسلِمٌ(١).

الشرح:

وثبت قراءة هاتين السورتين أيضا في ركعتي الطواف، وكذلك في ركعتي الوتر، وأما في ركعتي المغرب فأخرجه النسائي، وهو حديث مُعل.

١١٠٩ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ شَهْرًا فَكَانَ يَقْرَأُ في الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: ١] وَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(٢).

الشرح:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: ١]: إخلاص العبادة لله، وَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١]: إخلاص الأسماء والصفات لله، ولذلك تسمى سورة الكافرون وسورة الإخلاص بسورتَي الإخلاص.

(١) حديث رقم: (٧٢٦).

(٢) حديث رقم: (٤١٧).

١٩٨ - باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر عَلَى جنبه الأيمن والحث عليه سواءٌ كَانَ تَهَجَّدَ بِاللَّيْلِ أمْ لا

لكن هذا الاضطجاع لا يكون في المسجد، قد جاء عن السلف أنهم كرهوه في المسجد، لا سيما عن عبد الله بن مسعود، وإنما اضطجع النبي ﷺ في بيته، وهذه الضجعة سنة.

وهناك ضجعتان: ضجعة بعد الوتر، وضجعة بعد ركعتي الفجر، على ما جاءت به الروايات.

وقد جاء بلفظ الأمر: «**فليضطجع على شقه الأيمن**»، ولفظ الأمر لم يثبت، إنما جاء من فعله، وأفعال النبي ﷺ تدل على الاستحباب فيما من شأنه العبادة.

١١١٠ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ إذَا صَلَّى ركعتي الفجر، اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن. رَوَاهُ البُخَارِي[1].

الشرح:

أي: ضجعة خفيفة، ليست هي بالطويلة، يريح الإنسان نفسه وينشطها، والحديث في الصحيح.

١١١١ - وعنها، قالت: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاةِ العِشَاءِ إِلَى الفَجْرِ إِحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَإِذَا سَكَتَ المُؤَذِّنُ مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الفَجْرُ، وَجَاءهُ المُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، هكَذَا حَتَّى يأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ لِلإِقَامَةِ. رَوَاهُ مُسلِم[2].

قَوْلُهَا: (يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ) هكَذَا هو في مسلمٍ ومعناه: بَعْدَ كُلِّ رَكْعَتَيْن.

---

(١) حديث رقم: (١١٦٠).

(٢) حديث رقم: (٧٣٦).

الشرح:

(إِحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً) وقد قالت: ما زاد رسول الله ﷺ في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة.

(يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ) «**صلاة الليل مثنى مثنى**».

(وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ) وجاء أيضا: أنه يوتر بثلاث، لا يفصل بينهما بتشهد ولا بجلوس، كما في حديث أبي بن كعب: كان يقرأ في الوتر: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى: ١]، و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: ١]، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١].

(فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ)؛ لأنه يردد بعد المؤذن، ما تصلي النافلة والمؤذن يؤذن، يفوتك فضل الترديد، إلا يوم الجمعة فإنه يصلي تحية المسجد والمؤذن يؤذن حتى يستعد لسماع الخطبة.

(وَتَبَيَّنَ لَهُ الفَجْرُ): توكيد لما تقدم؛ لأن المؤذن إنما يؤذن إذا طلع الفجر وتبين.

(وَجَاءهُ الْمُؤَذِّنُ) يخبره بأنه قد أذن، لا سيما إذا كان بيته بعيدا من المسجد ربما لا يسمع الأذان.

(قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) وهما ركعتا الفجر.

(ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ) وإن اضطجع على شقه الأيسر أساء، ولا إثم عليه.

١١١٢ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: «إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ بأسانيد صحيحة، قال الترمذي: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في (الزاد): وسمعت ابن تيمية يقول: هذا باطل، وإنما الصحيح عنه الفعل، لا الأمر بها، والأمر تفرد به عبد الواحد بن زياد، وغلط فيه، وأما ابن حزم ومن تابعه فإنهم يوجبون هذه الضجعة، ويبطل ابن حزم صلاة من لم يضطجعها بهذا الحديث، وهذا مما تفرد به عن الأمة، ورأيت مجلدا لبعض أصحابه قد نصر فيه هذا المذهب. انتهى.

هذا قول باطل، القول بأن الصلاة تبطل إذ لم يأت بهذه الضجة قول باطل، ما نقول: قول مرجوح.

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦١)، والترمذي (٤٢٠)، لكنه من طريق عبد الواحد بن زياد عن الأعمش، وقد أُنكر عليه هذا الحديث.

١٩٩ - باب سنة الظهر

سواء القبلية أو البعدية؛ لأن الظهر الصلاة الوحيدة الذي جاء في شأنها تأكيد القبلية والبعدية، سنة راتبة، نعم المغرب «**بين كل أذانين صلاة**»، العشاء «**بين كل أذانين صلاة**»، لكن لم يؤثر عن النبي ﷺ أنه كان يصلي هذه الصلوات، وأيضا ليست هي الداخلة في حديث: «**من صلى اثنتي عشر ركعة تطوعا غير فريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة**».

فإذًا صلاة الظهر هي الصلاة التي خُصت بقبلية وبعدية، وصلاة العصر لم تُخَص بقبلية ولا بعدية، وصلاة المغرب والعشاء بعدية ولا قبلية، إلا من باب التطوع المطلق، وصلاة الفجر قبلية لا بعدية، والمسألة على التوقف.

١١١٣ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا. متفقٌ عَلَيهِ[(١)].

الشرح:

وجاء عن عائشة: أنه كان يصلي قبل الظهر أربعا، وبعدها ركعتين.

١١١٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[(٢)].

١١١٥ - وعنها، قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ المَغْرِبَ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ العِشَاءِ وَيَدْخُلُ بَيتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسلِم[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧٣)، ومسلم (٧٢٩).

(٢) حديث رقم: (١١٨٢)، ومسلم أيضا.

(٣) حديث رقم: (٧٣٠).

الشرح:

والصلاة في البيت لا سيما النافلة فضلها عظيم، «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا**».

وما جاء عن النبي ﷺ أنه كان يصلي ركعتين ويصلي أربعا فعلى التنوع، فتارة يصلي أربعا، وتارة يصلي ركعتين، والأظهر أن أكثرها الأربع.

١١١٦ - وعن أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح[1].

الشرح:

أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي رملة بنت أبي سفيان.

هكذا هو، لكن يضعفه شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ، كما سمعناه منه، ويحسنه الشيخ الألباني ومن إليه من العلماء، أما الأربع قبلها فثابتة بلا شك، وأما الأربع بعدها فجاء عن حفصة: إذا لم يصل قبل الظهر صلى بعدها أربعا.

١١١٧ - وعن عبد الله بن السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وقَالَ: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيها أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ». رواه التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[2].

الشرح:

(كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ) يعني: يصلي قبل الظهر بعد الأذان، لا يصلي قبل الزوال.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦٩)، والترمذي (٤٢٧).

(٢) حديث رقم: (٤٧٨)، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفيه فضيلة الصلاة قبل الظهر وبعد الزوال، وهو وقت مبارك، تُرفع فيه الأعمال، والله المستعان.

وهكذا تجد الأوقات المباركة، صلاة العصر في وقت مبارك، تجتمع فيه ملائكة الليل وملائكة النهار، صلاة الفجر وقت مبارك، تجتمع فيه ملائكة الليل وملائكة النهار، صلاة الظهر وقت مبارك، تفتح أبواب السماء، والله عَزَّوَجَلَّ يخلق ما يشاء ويختار.

فهنيئا للأمة المحمدية هذه الصلوات المفروضات، وهذه السنن المؤكدات، التي هي من أسباب رفع درجاتهم، وتكفير سيئاتهم، وعظيم عطاء ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم.

وهذه المندوبات هي في الأصل حاجز وحضيرة للمحافظة على المفروضات، فالمحافظ على هذه الصلوات المندوبات قلَّ أن تفوته تكبيرة الإحرام، ويتوضأ ويستعد قبل أو مع الأذان، بينما الذي لا يحافظ على هذه قد تفوته حتى الركعة الأولى، والركعة الثانية، والركعة الثالثة، وربما وصل في التشهد الأخير، نسأل الله السلامة والعافية، وربما جاء في الجماعة الثانية.

هذا في الدنيا، هذه الركعات حضيرة للمفروضات، وفي الآخرة إذا حوسب فإن وقع نقص في صلاته أُتمت من المندوبات، وأُكملت، فيحصل على صلاة تامة كاملة، لو لم يأت بهذه الصلوات لكان في صلاته نقص وغير تمام.

ففي هذا حث لنا جميعا على المحافظة على هذه النوافل القبلية والبعدية، وأنت إذ تحافظ عليها تشتري نفسك من الله، وإلا فإن الله غني عن العالمين، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [سورة الحج: ٣٧].

فحافظ عليها أخي المسلم، وتقرب إلى الله بها، «**وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به،**

ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

وأعظم النوافل النوافل القبلية والبعدية، لا تحتاج منك تأشيرة، ولا تحتاج منك ركوب طائرة ولا سيارة، ولا تحتاج منك كلفة مالية ولا بدنية، ركعات، ربما تصليها جالسا، إذا كسلت صلها جالسا، وجزاك الله خيرا، والنبي ﷺ يقول: «**صلاة الجالس على النصف من صلاة القائم**»، هذا إذا كان يصلي جالسا لغير ما بأس، أما كان يصلي جالسا لمرض أو تعب ألم به فهي الصلاة الكاملة، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

زد على ذلك: أن المحافظة على هذه الصلوات: «**من صلى لله ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة**»، انظر الى هذه الفضائل العظيمة، وهذه المكرمات التي أكرم الله بها هذه الأمة الكريمة، نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

١١١٨ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذا لَمْ يُصَلِّ أَربَعًا قَبلَ الظُّهْرِ، صَلاَّهُنَّ بَعْدَهَا. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[1].

(١) حديث رقم: (٤٢٦)، وهو حديث ثابت بطرقه.

٢٠٠ - باب سنة العصر

سنة العصر قبلية، ليس له سنة، فالأحاديث فيها ضعيفة، لم يثبت حديث في الصلاة قبل العصر، إلا ما كان «**بين كل أذانين صلاة**» فهو عام في المغرب وغيرها، أما حديث بعينه في فضيلة التنفل قبل العصر لم يثبت شيء، وما يأتي من الحديث المشهور عند الناس الذي يحفظونه ويتناقلونه: «**رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعا**» فهو حديث ضعيف لا يثبت، وقد أُنكر عليه، وأُعل به، كما في (زاد المعاد)، وفي غيره من الكتب المؤلفة.

١١١٩ - عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

١١٢٠ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرءًا صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(٢).

١١٢١ - وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بإسناد صحيح(٣).

---

(١) حديث رقم: (٤٢٩)، قال الترمذي عقبه: وروي عن عبد الله بن مبارك أنه كان يضعِّف في هذا الحديث، وإنما ضعفه عندنا والله أعلم؛ لأنه لا يروى مثل هذا عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه عن عاصم بن ضمرة عن علي، وعاصم بن ضمرة هو ثقة عند أهل العلم، قال علي بن المديني: قال يحيى بن سعيد القطان: قال سفيان: كنا نعرف فضل حديث عاصم بن ضمرة على حديث الحارث. انتهى.

وأنكر الحديث على عاصم بن ضمرة الجوزجاني وغيره من العلماء، وهو في (ميزان الاعتدال) للذهبي أيضا، ومما أُنكر عليه. وأفاد هذا المحقق.

(٢) حديث رقم: (٤٣٠)، وهو حديث ضعيف، محمد بن مسلم نسبه لجده، ومحمد بن إبراهيم بن مسلم بن مهران المؤذن الكوفي صدوق يخطئ، كما في (تقريب التهذيب).

(٣) حديث رقم: (١٤٧٤)، بل منكر، من طريق عاصم، وقد تقدم.

٢٠١ - باب سنة المغرب بعدها وقبلها

تقدم في هذه الأبواب حديثُ ابن عمر وحديث عائشة، وهما صحيحان: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بَعدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ(١).

الشرح:

ولم يثبت أنه كان يقرأ فيهما بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: ١]، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١]، مع أنه جاءت في رواية عند النسائي، لكنها رواية غير ثابتة، يُتفطن لهذا.

١١٢٢ - وعن عبد الله بن مُغَفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ» قال في الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ». رواه البُخَارِيُّ(٢).

الشرح:

هذا دليل على أن الحديث قد صُرف من الوجوب إلى الاستحباب.

١١٢٣ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِندَ المَغْرِبِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ(٣).

الشرح:

أي: يبتدرون السواري يتخذونها سترة؛ لعلمهم أن النبي ﷺ يقول: «لا تصل إلا إلى سترة»، فيصلون حتى أن الداخل يظن أن النبي ﷺ قد صلى المغرب، وأن هذه الصلاة صلاة النافلة البعدية.

---

(١) انظر الحديثين: (١٠٩٨) و (١١١٥).

(٢) حديث رقم: (١١٨٣).

(٣) حديث رقم: (٥٠٣).

١١٢٤ - وعنه، قَالَ: كُنَّا نصلِّي عَلَى عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ المَغْرِبِ، فَقِيلَ: أَكَانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهما؟ قَالَ: كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا. رواه مسلم[1].

الشرح:

(بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ المَغْرِبِ) أي: بين الأذان والإقامة.

وإقرار النبي ﷺ وحي وشرع.

١١٢٥ - وعنه، قَالَ: كُنَّا بِالمَدِينَةِ فَإِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ المَغْرِبِ، ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ الغَرِيبَ لَيَدْخُلُ المَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلَاةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا. رواه مسلم[2].

الشرح:

والآن هذه السنة تكاد تكون مهجورة عند كثير من عوام المسلمين، الحمد لله في دور الحديث أهل السنة وفي مساجد أهل السنة الذين يعتنون بالسنن والآثار يأتون بها، لكن كثير من الناس لا يبالون بها.

(١) حديث رقم: (٨٣٦).

(٢) حديث رقم: (٨٣٧).

٢٠٢ - باب سنة العشاء بعدها وقبلها

فِيهِ حديث ابن عمر السابق: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ» متفق عَلَيْهِ، كما سبق[١].

الشرح:

وأيضا حديث عائشة: كان يصلي العشاء ثم يدخل فيصلي ركعتين.

٢٠٣ - باب سنة الجمعة

فِيهِ حَديث ابن عمر السابق أَنَّه صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمعَةِ، متفقٌ عَلَيْهِ.

١١٢٦ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبعًا». رواه مسلم[٢].

١١٢٧ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ في بَيْتِهِ. رواه مسلم[٣].

الشرح:

قال العلماء: إذا صلى في المسجد صلى أربعا، وإذا صلى في البيت صلى ركعتين.

وقال بعض العلماء: بل يصلي ستا: أربعا في المسجد، وركعتين في البيت.

---

(١) انظر الحديثين (١٠٩٨) و (١٠٩٩).

(٢) حديث رقم: (٨٨١).

(٣) حديث رقم: (٨٨٢).

وقال بعض العلماء: هو على التخيير إن شاء صلى ركعتين وإن شاء صلى أربعا.

وإذا أتينا إلى التحقيق فإن حديث ابن عمر من فعل النبي ﷺ، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قول النبي ﷺ، والمنطوق مقدم على المفهوم، أو قل: المنطوق مقدم على الفعل؛ لأن المنطوق أمره وإرشاده ودلالته.

وأما فعله لعله اكتفى بالركعتين؛ حتى لا يشق على الناس أن يأتوا بأربع ركعات، فربما ترك النبي ﷺ العبادة؛ رحمة ورفقا بأمته.

٢٠٤ - باب استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

لا توصل صلاة بصلاة.

١١٢٨ - عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

هذا الحديث استدل به من يرى أن صلاة القيام في البيت أفضل، سواء في رمضان أو في غير رمضان؛ لأن هذا الحديث أصله في قيام رمضان، الناس صلوا خلف النبي ﷺ في المسجد فانصرف إليهم وقال: «صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ».

وهذا صحيح، إلا إذا كان الإنسان بصلاته في المسجد يقيم الشعيرة ويظهر الشعيرة أو كان ربما تكاسل في بيته فيصلي مع الجماعة أفضل له وأحسن له، أما من كان نشيطا ربما يصلي بالجزئين بالثلاثة بالأربعة إن كان في بيته فهو شأن حسن.

١١٢٩ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا». متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

هذا الحديث استدل به على استحباب الصلاة في البيت، لا سيما النافلة، وهي المقصودة هنا، أما الفريضة فيجب فيها الخروج، وعلى أن القبور لا يُصلى فيها، ولا يصلى إليها؛ لأنه ليس بموطن صلاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).

ومُنع من الصلاة عند القبور؛ سدا لذريعة الشرك، لا لنجاسة المقبرة كما يقول بعضهم، فإن المقابر لا تأكل أجساد الأنبياء، ومع ذلك تُمنع الصلاة عند قبورهم، ولأن القبور بعيد عن سطح الأرض، ولأن القول بنجاسة ما يتحلل من الآدمي أيضا غير مستقيم مطلقا، وهكذا.

١١٣٠ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا». رواه مسلم[1].

الشرح:

(فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ) أي: الصلوات التي لها نوافل بعدية.

(فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا) يعني: بيت يُذكر فيه الله ويتلى فيه القرآن بيت خير، يتعلم أيضا الأبناء، تتعلم النساء.

١١٣١ - وعن عمر بن عطاءٍ: أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أَرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ ابن أُخْتِ نَمِرٍ يَسأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: نَعَمْ، صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ فِي المَقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإِمَامُ قُمْتُ فِي مَقَامِي فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: لَا تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ، إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ فَلَا تَصِلْهَا بِصَلاةٍ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ؛ فَإِنَّ رسولَ الله ﷺ أَمَرَنَا بِذلِكَ، أن لَا نُوصِلَ صَلَاةً بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ. رواه مسلم[2].

الشرح:

(صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ فِي المَقْصُورَةِ) أي: مكان يعملونه في مقدمة المسجد يكون الخليفة فيه؛ حتى لا يُضرب بسيف، أن يرمى بسهم، أو يعتدى عليه، هو كالسواتر

(١) حديث رقم: (٧٧٨).

(٢) حديث رقم: (٨٨٣).

الزجاجية التي يعملوها الآن للرؤساء والمسؤولين التي هي ضد الرصاص، لكن كانت تعمل من الخشب؛ للاتقاء ضرب السيوف.

(فَلَمَّا سَلَّمَ الإِمَامُ، قُمْتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ) أي: تطوعا بعد الصلاة بدون فاصل.

(لَا تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ) إنكار المنكر، وفيه ما عليه الأمراء السابقون من العلم والعمل، وفيه أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من فقهاء المسلمين وعلمائهم، حتى قال ابن عباس: معاوية فقيه.

(حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ) يعني: تتكلم؛ حتى يُفرق بين الجماعة والنافذة، أو تخرج من مكانك.

وفيه أيضًا: ما يتعلق بذكر الدليل على المسألة؛ لأن الإنسان إذا لم تذكر له الدليل ربما تشكك واضطرب وتأخر، لكن إذا جيء بالدليل كما قيل: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، ما عاد يصلح يقول لك: لعله أو لعله، أمر رسول الله ﷺ بهذا، فطاعة لرسول الله ﷺ نمتثل.

٢٠٥ - باب الحث عَلَى صلاة الوتر وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته

سمي وترا؛ لأنه ليس بشفع، الله عَزَّوَجَلَّ وتر يحب الوتر.

الوتر ليس بحتم كالصلاة المكتوبة، لأن بعض أهل العلم ذهب إلى وجوبه، والصحيح أنه ليس بواجب، وإنما هو مستحب، والإمام أحمد كان يرى أن الذي لا يصلي الوتر رجل سوء، وربما ردوا شهادته.

١١٣٢ - عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: الوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلَاةِ المَكْتُوبَةِ، وَلَكِنْ سَنَّ رسولُ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ القُرْآنِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

وقد روي هذا الحديث أيضا عن علي من قوله، وله حكم رفع.

وقوله: (يَا أَهْلَ القُرْآنِ) اعملوا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [سورة المزمل: ١-٤]، ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [سورة المزمل: ٢٠].

١١٣٣ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله ﷺ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

قال الراوي عنها: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، يعني: أن شئت أن توتر أول الليل، أن شئت أن توتر وسط الليل، أن شئت أن توتر آخر الليل، رحمة من الله،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥).

الإنسان المحب لله المتابع لرسول الله ﷺ المحب الخير لنفسه عنده وقت واسع، لو ضُيق وقته لربما شق على الناس، لكن الوقت واسع.

وصلاة آخر الليل أفضل، كما سيأتي من حديث جابر.

١١٣٤ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا». متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

بعضهم استدل بهذا الحديث على أنه لا يجوز الزيادة على الوتر إذا قد انتهى منه، وقد صح عن النبي ﷺ أنه ربما صلى ركعتين بعد الوتر، ولذلك ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي يوتر ثم أراد أن يصلي يأتي أولا بركعة تشفع الوتر الأول، ثم يصلي، ثم يوتر، كم عنده أوتار الآن؟ الوتر الأول، ثم الوتر الذي شفع به الأول، ثم الوتر الثالث.

ما هكذا أمر الله، ولا هكذا أمر رسول الله ﷺ، بل له أن يصلي بدون أن يشفع أو غير ذلك، وإن اكتفى بالركعتين كما يصح عن النبي ﷺ حسن.

١١٣٥ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

أي: عاجلوا بالوتر صلاة الصبح، ومع ذلك من كان في صلاته واستمر في الصلاة وأذن المؤذن يوتر ولو بعد الأذان، أو من نام ولم يقم إلا مع الأذان الثاني يوتر ولو بعد الأذان، ومن صلاه من النهار شفعا جاز ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١).

(٢) حديث رقم: (٧٥٤).

١١٣٦ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي صَلَاتَهُ بِاللَّيْلِ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أَيْقَظَهَا فَأَوْتَرَتْ. رواه مسلم(١).

وفي روايةٍ لَهُ: فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، قَالَ: «قُومِي فَأَوتِرِي يَا عائِشَةُ».

الشرح:

فيه أن الوتر حتى على النساء، يأتين به، يحرصن عليه، وأن وتر النساء ليس كوتر الرجال، انظر النبي ﷺ يقوم ليلا طويلا، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شأنها أنها تقوم تصلي الوتر.

١١٣٧ - وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا الصُّبْحَ بِالوِتْرِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(٢).

١١٣٨ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيلِ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وذَلِكَ أَفْضَلُ». رواه مسلم(٣).

الشرح:

مشهودة من الله، حين ينزل إلى السماء الدنيا يقول: «من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟»، وهكذا مشهودة من ملائكة الله، فأنت تسمع كثرة صياح الديكة في آخر الليل، والنبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكا»، أو كما قال ﷺ.

(١) حديث رقم: (٧٤٤).

(٢) بل رواه مسلم (٧٥٠)، وأخرجه أبو داود (١٤٣٦)، والترمذي (٤٦٧).

(٣) حديث رقم: (٧٥٥).

٢٠٦ - باب فضل صلاة الضحى وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث عَلَى المحافظة عَلَيْهَا

صلاة الضحى الناس فيها مذاهب:

الأول: من يراها بدعة مطلقة، وهذا مروي عن ابن عمر، أو أنه أراد بها صيغة بعينها وصورة بعينها.

الثاني: من يراها سنة مطلقة، وهذا أدلة كثيرة: «**ويجزئ عن ذلك ركعتين يركعهما من الضحى**»، هذا يدل على أنها تصلى كل يوم.

والثالث: من يقول: تارة، وتارة؛ لأن هذا قد عمل به كثير من العلماء والصالحين والصحابة.

ووقتها: من خروج وقت الكراهة بعد طلوع الشمس إلى وقت الكراهة عند زوال الشمس، يعني قل: بعد طلوع الشمس بعشر دقائق ربع ساعة إلى قبل الزوال بعشر دقائق ربع ساعة، وهي داخلة في مسمى صلاة الإشراق وصلاة الأوابين.

١١٣٩ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وَالإِيتَارُ قَبْلَ النَّوْمِ إِنَّمَا يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَا يَثِقُ بِالاسْتِيقَاظِ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنْ وَثِقَ فَآخِرُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ.

الشرح:

هذا الحديث جاء عن ثلاثة: عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، كلهم أوصاهم النبي ﷺ بهذه الوصية العظيمة؛ لفضلها وبركتها.

(**صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**) كصيام الدهر.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).

(وَرَكْعَتَي الضُّحَى) لو زاد زاد الله له الخير، لكن أقل الضحى ركعتان.

(وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ) لا يتعارض مع أن الفضل في قيام آخر الليل، لكن لعل النبي صلى الله عليه وسلم علم من حالهم أنهم يضعفون عن قيام آخر الليل، فأوصاهم بالوتر في أوله، فكل سنة، توتر قبل أن ترقد، أو توتر في آخر الليل، أو توتر في وسط الليل.

١١٤٠ - وعن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى». رواه مسلم[1].

الشرح:

أبو ذر هو جندب بن جنادة.

قوله: (يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى) أي: كل مفصل، والإنسان خلق على ثلاثمائة وستين مفصلا، كما سيأتي من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) من الرجال أو النساء، ومع ذلك لا يظن الظان أن الصدقات مالية؛ لأن الصدقات المالية ثقيلة على النفس، لو قيل لك: تصدق بثلاثمائة وستين ريال ستراها ثقيلة، لو قيل لك: تصدق كل يوم ثلاثمائة وستين فلسا ربما تراها ثقيلة؛ لأن طبيعة النفس المال إليها محبوب.

فكثير من أصحاب الأموال ربما ما يتصدق بمثل هذه الصدقة، لكن كل تحميدة صدقة ما شاء الله أنت لما تسلم من صلاة الفجر تأتي بكم تحميدات؟ ثلاثا وثلاثين، وتسبيحات ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين، ولا إله إلا الله مرة، صارت معك

(١) انظر الحديث (١١٨).

مائة صدقة، كيف إذا انضافت إلى هذه: سبحان الله وبحمده مائة مرة؟ صارت عندك مائتا صدقة.

ثم بعد ذلك لو جئت بلا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث مائة مرة ثلاثمائة صدقة، ترد السلام على هذا، تصافح هذا، تأمر بمعروف، تنه عن منكر، وإذا به قد تجمعت ثلاثمائة وستون صدقة، وبدون كلفة، هذا من فضل الله.

(فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ) وربما ضاعفها الله، سبحان الله، كيف إذا قال: سبحان الله وبحمده؟ كيف إذا أضاف إليها: سبحان الله بحمده سبحان الله العظيم؟

(وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ) كيف إذا قال: الحمد لله رب العالمين؟ الحمد لله حمدا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كيف إذا قال: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضى نفسه، ومداد كلماته؟

(وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ): لا إله إلا الله، كيف إذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؟

(وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ) كيف إذا كان أمرك بالمعروف دلالة على التوحيد دلالة على السنة دلالة على الصلاة؟

(وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ) كيف إذا كان نهيك عن الزنا عن الواط عن الشرك عن الخمر عن هذه الأمور؟

(وَيُجْزِئ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى) يعني قد يعجز الإنسان، يشغل الإنسان، يخاف الإنسان، صل ركعتين يجعل الله فيها بركة.

١١٤١ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ الله. رواه مسلم[1].

---

(١) حديث رقم: (٧١٩).

الشرح:

بعضهم يرى أن صلاة الضحى ثمان ركعات، وبعضهم يرى إلى أنها اثني عشر ركعة، ما ثبت شيء، لكن يزيد ما شاء.

١١٤٢ - وعن أُمِّ هَانِىءٍ فاختة بنت أَبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ذَهَبْتُ إِلَى رَسولِ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، وَذَلِكَ ضُحىً. متفقٌ عَلَيْهِ. وهذا مختصرُ لفظِ إحدى روايات مسلم[1].

الشرح:

فاختة بنت أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعضهم يرى أنها فاطمة.

بعضهم جعلها صلاة الفتح، ولم يثبت عن النبي ﷺ صلاة خاصة بالفتح، لكن تحفظ على أنها ضحى.

❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦).

٢٠٧ - باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إلَى زوالها والأفضل أن تُصلَّى عِنْدَ اشتداد الحروارتفاع الضحى

لأن بعد شروق الشمس يكون قد تجهز أصلا من الليل، ربما تجهز بالوضوء لصلاة الفجر وبقي متوضئا وجالسا في المسجد مستعدا لها، له أجر، لكن ليس مثل أجر الذي يستعد لها في وقت قد غفل الناس عنها.

وهكذا قبل الظهر ليس كل الناس إنما يدخل الظهر بعد الأذان، ربما يتوضأ قبل الأذان بربع ساعة بنصف ساعة، يقول: أصلي الضحى، فيكون قد جمع بين صلاة الضحى وبين صلاة قد تعينت عليه، لكن هذا الذي يصلي حين ترمض الفصال توضأ قاصدا لها، قام متجها لصلاتها، فلذلك كان أجره أعظم من أجر غيره.

١١٤٣ - عن زيد بن أَرْقَم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى، فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ، إِنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الأَوَّابِينَ حِيْنَ تَرْمَضُ الفِصَالُ». رواه مسلم[1].

(تَرْمَضُ) بفتح التاء والميم وبالضاد المعجمة، يعني: شدة الحر.

وَ(الفِصَالُ) جَمْعُ فَصِيلٍ وَهُوَ: الصَّغِيرُ مِنَ الإِبِلِ.

الشرح:

يعني: لما يشتد الحر والصغير من الإبل يستظل تحت أمه، يبحث عن شجرة، ربما ما يستطيع يطأ برجله في الأرض؛ لشدة حرارتها، يعني قل: من بعد الساعة التاسعة إلى الساعة العاشرة، أو إلى قريب الزوال، في هذا الوقت الحار، في الوقت الوسط.

---

(١) حديث رقم: (٧٤٨).

٢٠٨ - باب الحث عَلَى صلاة تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلَّى ركعتين بنية التَّحِيَّةِ أَوْ صلاة فريضة أَوْ سنة راتبة أَوْ غيرها

*** من باب الفائدة: تسقط تحية المسجد في ثلاث حالات:**

الحالة الأولى: أن يدخل خطيبا، ليس عليه تحية المسجد.

الحالة الثانية: أن يدخل بغير وضوء، ليس عليه تحية مسجد، ولا يجب عليه الوضوء لقصدها.

الثالث: أن يدخل لصلاة أخرى، صلى الظهر وجلس، ما يحتاج تحية مسجد، أو صلى سنة قبلية أو بعدية، أو صلى استخارة، أو صلى ضحى، كل هذه الصلوات تجزئ عن تحية المسجد، وتسقط بها تحية المسجد.

ومتى دخل صلى، هذا الانتظار بعضهم يقول لك: الآن وقت كراهة انتظر، ما تنتظر، النبي ﷺ قد صلى بعد العصر، والنبي ﷺ قال: «**يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت أو صلى أي ساعة من ليل أو نهار**».

فأحاديث النهي عن الصلاة في وقت الكراهة قد دخلها التخصيص، والتخصيص إذا دخل في النص كان الباقي على عمومه مقدما عليه.

وهذا الحديث جاء بروايتين: بأمر ونهي: «**فليصل ركعتين قبل أن يجلس**»، هذا أمر، «**إذا دخل أحدكم مسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**»، هذا نهي عن الجلوس بدون ركعتين.

جمهور أهل العلم على أن تحية المسجد مستحبة لا واجبة، وذهب جمع من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين على وجوبها.

١١٤٤ - عن أَبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

بعضهم يقول لك: أنا خرجت إلى الحمام ورجعت، النص يقول: «إذا دخل أحدكم المسجد»، أنت دخلت أو ما دخلت؟ إن قال: دخلت قلنا: صلِّ ركعتين، وإن قال: ما دخلت قلنا: شأنك، إذا كنت ترى أن المسجد ما دخلت فيه.

١١٤٥ - وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «صَلِّ رَكْعَتَيْنِ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

الحديث طويل.

الذين يرون عدم الوجوب قالوا: أولئك النفر الثلاثة الذين دخلوا: أما أحدهم فآوى فآواه الله، وأما الثاني فوجد فرجة فجلس فيها، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه، قالوا: إذًا هذا.

لكن استدل عليهم بحديث: أن النبي ﷺ كان يخطب، فجاء سليك فجلس، قال له: «قم فصل ركعتين، وتجوز فيهما».

❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤)، ومسلم (٧١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣)، ومسلم (٧١٥).

٢٠٩ - باب استحباب ركعتين بعد الوضوء

١١٤٦ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ: «يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ»، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ. متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري[1].

(الدَّفُّ) بالفاءِ: صَوْتُ النَّعْلِ وَحَرَكَتُهُ عَلَى الأَرْضِ، واللهُ أعْلَم.

الشرح:

(حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ) أي: بعد الإسلام، بعد التوحيد، بعد الفرائض، بعد الواجبات، ما يستدل مستدل بهذا الحديث ويبقى محافظا على ركعتي الوضوء ومضيعا لصلاة الفجر في جماعة، أو مضيعا لصلاة الظهر في جماعة، أو ربما مضيعا للصلاة بالكل، يقول: يكفيني ركعتي الوضوء، هذا فهم سقيم.

هذا فيه إقرار النبي ﷺ.

وما جرى في عصره ثم اطلع ... عليه إن أقره فليتبع

ما يستدل به مستدل على فعل أعمال ليس عليها دليل من الكتاب والسنة، باب العبادات توقيفي، باب العادات الأصل فيه الإباحة.

وفيه ثمرة الإخلاص، وفيه فضل الصلاة وفضل الطهور.

وفيه أن بلالا لم يكن يكتفي بركعتين، يصلي ما كُتب له، والصلاة من أحبها وتعلق قلبه بها سعد، وارتاح وانشرح، وكان النبي ﷺ إذا أهمه أمر وحزبه أمر فزع إلى الصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

٢١٠ - باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لَهَا والطّيب والتبكير إِلَيْهَا والدعاء يوم الجمعة والصلاة عَلَى النبي ﷺ، وفِيهِ بيان ساعة الإجابة، واستحباب إكثار ذكر الله تعالى بعد الجمعة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الجمعة: ١٠].

الشرح:

جاء بفوائد كثيرة:

(فضل يوم الجمعة) فضل اليوم على سائر الأيام.

(ووجوبها): وجوب صلاة الجمعة على الرجال المقيمين، «**الجمعة حق واجب، إلا على أربعة: المرأة، والمسافر، والعبد، والمريض**».

(والاغتسال لَهَا) واجب على الصحيح، سيأتي.

(والطّيب والتبكير إِلَيْهَا) من المستحبات.

(والدعاء يوم الجمعة) وقت إجابة من الصباح إلى الليل كله وقت إجابة، إنما الساعة الأخيرة من الجمعة أفضل من غيرها.

(والصلاة عَلَى النبي ﷺ) يعني حديث أوس بن أوس: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»، و «**من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا**».

(وفِيهِ بيان ساعة الإجابة) في آخر ساعة على الصحيح، وقيل: في وسط النهار، وقيل غير ذلك.

(واستحباب إكثار ذكر الله تعالى بعد الجمعة) ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: ٩].

(﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾) هذا للإباحة وليس للوجوب، لا تقول: أنا أخرج إلى البحر أشتغل، أو: أخرج إلى المزرعة أشتغل بعد صلاة الجمعة، إنما أمرهم أن يبكروا للصلاة، فإذا انتهوا منها رجعوا إلى شأنهم.

(﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾) إن أدى الأذكار هو في خير، لكن إن زاد إلى ذلك غير ذلك مما هو فيه فهو حسن.

١١٤٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يَومٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا». رواه مسلم[1].

الشرح:

وفي الحديث الآخر، قال رسول الله ﷺ: «**ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**».

وسبحان الله! اليهود قبلنا والنصارى قبلنا، وعرضها الله عليهم كلهم يردها، كلهم يأباها، وادخرها الله لأهل الإسلام، فلما عُرضت عليهم قبلوها، فصاروا قبلهم في الأيام، ويكونون قبلهم في القضاء يوم القيامة.

قلت في "شرحي على صحيح مسلم":

(**قال القاضي عياض**: الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته؛ لأن إخراج آدم وقيام الساعة لا يعد فضيلة، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام وما سيقع؛ ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ودفع نقمته، هذا كلام القاضي.

وقال أبو بكر بن العربي في كتابه (الأحوذي في شرح الترمذي): الجميع من الفضائل، وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية وهذا النسل العظيم ووجود

(١) حديث رقم: (٨٥٤).

الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، ولم يخرج منها طردا بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وغيرهم، وإظهار كرامتهم وشرفهم، وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ومزيته على سائر الأيام). اهـ

١١٤٨ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا اللفظ قد يستدل به على عدم وجوب غسل الجمعة، لكن سيأتي الأدلة على الوجوب، ثم هذا اللفظ أحد ألفاظ صحيح مسلم، وإلا هناك لفظ آخر: «من اغتسل».

(ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وأَنْصَتَ) يعني: بكَّر، واستمع للخطبة، وأنصت لها.

(وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا) يعني: فعل فعلا لا قيمة له، لغو.

١١٤٩ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ». رواه مسلم[2].

الشرح:

(الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ) اليومية: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

(وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ) الأسبوعية، (وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ) السنوية.

(مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ) ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [سورة النساء: ٣١]، سبحان

(١) حديث رقم: (٨٥٧).

(٢) حديث رقم: (٢٣٣).

الله! جعل الله عَزَّوَجَلَّ مكفرات يومية، ومكفرات أسبوعية، ومكفرات شهرية، ومكفرات سنوية، ما على الإنسان إلا أن يكون مبادرا إلى طاعة الرحمن.

١١٥٠ - وعنه، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أنهما سَمِعَا رسولَ الله ﷺ يقولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ». رواه مسلم(١).

الشرح:

(لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ) ممن تجب عليهم الجمعة.

(عَنْ وَدْعِهِمُ): تركهم، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [سورة الضحى: ٣] أي: ما تركك.

(الجُمُعَاتِ) جمع جمعة.

(أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) ربما أُصيب بالضلال والانحراف، وقسى قلبه.

(ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ) لا يستفيد من المواعظ ولا الذكرى، نسأل الله السلامة والعافية.

وقلت في شرحي على "صحيح مسلم": (وهذا إذا تخلف عن ثلاث جمع قاصدا عامدا بغير عذر كما جاء في الرواية الأخرى، وهذا من إنذار الله له حتى ينتبه لنفسه، وهذا دليل على أن الأعمال تنقص بالمعاصي وترك الطاعات، فالمعصية قد تكون بترك المأمور وتكون بفعل المحظور، كما أن الطاعة تكون بفعل المأمور وترك المحظور كما جاء في الحديث: «**فإنما تركها من جرائي**».

وفي هذا الحديث أنه لا يجب على الله فعل الأصلح للعبد كما تقول المعتزلة ومن إليهم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يهدي من يشاء فضلا ويضل من يشاء عدلا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

(١) حديث رقم: (٨٦٥).

لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، فمن أعانه الله ووفقه وسدده على الطاعة تفضل عليه وأنعم عليه، ومن خذله الله وصرفه عن الطاعة لم يمنعه حقه.

مـــا للعبـــاد عليـــه حـــق واجـــب كـــلا ولا ســـعي لديـــه ضـــائع

إن عـــذبوا فبعدلـــه أو نعمـــوا فبفضـــله وهـــو الكـــريم الواســـع

والغفلة إذا تسلطت على العبد فسد حاله ومآله، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩] الكفار أشد الناس غفلة، فلذلك ينبغي للإنسان أن يعالج نفسه قبل أن تتسلط عليه الغفلة الإنسان قد يغفل ساعة، قد يغفل يوم، لكن أن تستمر عليه الغفلة هذا سبيل هلكة، النبي ﷺ يقول: «**إنه ليغان على قلبي**»، في فترة وجيزة، ربما يجهز جيش، يسعى في مصلحة مسلمين، يقضي حاجة محتاج، ومع ذلك يقول: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة**»، فكيف بنا ونحن وفي هذا الزمن المتأخر الذي كثر شره وقل خيره؟، نسأل الله السلامة والعافية). اهـ بتصرف

١١٥١ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وجاء هذا اللفظ أيضا عن عمر، وجاء عن أم حبيبة أو حفصة، على كل محتلم رواح الجمع، وعلى كل من راح الجمعة الغسل.

(**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ**) عام في الرجال والنساء، حتى المرأة ما تجب عليها الجمعة لكن إذا حضرت الجمعة تغتسل، المسافر لا تجب عليه الجمعة، لكن إذا حضر

(١) أخرجه البخاري (٨٧٧)، ومسلم (٨٤٤).

الجمعة يغتسل، العبد لا تجب عليه الجمعة، لكن إذا حضر الجمعة يغتسل، المريض لا تجب عليه الجمعة، إذا استطاع أن يغتسل وحضر يغتسل.

١١٥٢ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

المراد بِالمُحْتَلِمِ: البَالِغُ. وَالمُرادُ بِالوَاجِبِ: وُجُوبُ اخْتِيارٍ، كَقولِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: حَقُّكَ وَاجِبٌ عَلَيَّ. واللهُ أعلم.

الشرح:

لفظ صريح في الوجوب، فكيف نصرفه إلى الاستحباب؟ والاغتسال إنما هو للصلاة ليس لليوم، لو كان الاغتسال لليوم يجوز لك أن تغتسل بعد الصلاة، أو يجب الاغتسال على المرأة في البيت، لكن الاغتسال للصلاة.

ويكون الاغتسال من بعد الفجر يوم الجمعة، لا يجزئ من الليل، ومن صلى بغير اغتسال صحت صلاته وصحت جمعته، لكن ترك واجبا عليه.

(وَالمُرادُ بِالوَاجِبِ: وُجُوبُ اخْتِيارٍ) هذا الترجيح غيره أولى منه.

١١٥٣ - وعن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبِها وَنِعْمَتْ وَمَن اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أَفْضَلُ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[2].

١١٥٤ - وعن سَلمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول اللهِ ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَومَ الجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِن طُهْرٍ وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ

(١) أخرجه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧)، الصحيح أنه من مراسيل الحسن، منقطع بين الحسن وبين سمرة، ويحسنه بعض أهل العلم، لكن كما ترى هذا هو المعهود.

فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى». رواه البخاري[1].

الشرح:

سلمان هو الفارسي.

(لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يومَ الجُمُعَةِ) بل وامرأة إذا حضرت إلى المسجد.

(وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِن طُهْرٍ) يعني: يعتني بالغسل، ليس فقط رشـ يحاول يدلك جسمه؛ لأن أصلا غسل الجمعة لماذا شُرع؟ لأن النبي ﷺ كان يصلي بالناس فشم رائحة كريهة من الناس، كانوا ينتابون من العوالي، فتطلع منهم روائح، قال: «لو اغتسلتم ليومكم هذا».

(وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ) فإن لم يجد إلا من طيب زوجته.

(أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ)؛ حتى يغير رائحته.

(ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ) يعني شأنهم واحد من حيث الحديث، أو كذا.

(ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ) ليس هناك سنة قبلية للجمعة، لكن يصلي تطوعا مطلقا.

(ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ) أي: خطب.

(إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى) وقد تقدم: «وزيادة ثلاثة أيام»، فالأقل يدخل تحت الأكثر.

---

(١) انظر الحديث (٨٤٧).

١١٥٥ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأولى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ في الساعة الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَوْله: (غُسْلُ الجَنَابَةِ) أيْ غُسلًا كغُسْلِ الجَنَابَةِ في الصِّفَةِ.

الشرح:

قوله: (مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ) أي: كغسل الجنابة، بحيث يعمم جسده، ولو بدأ بمواطن الوضوء أفضل.

(ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأولى) يعني: في أول النهار.

(فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً): بعيرا، كأنما أهداه قربة إلى الله.

(وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً) ولا شك أن البعير أفضل، ولهذا اختلف: أيهما أفضل في الهدي؟ فذهب قوم إلى أنه البعير؛ لهذا الحديث.

(وَمَنْ رَاحَ في الساعة الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ)؛ لأنه أكمل من غيره من الكباش، وأكمل من التيوس.

(وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً) بهذا اللفظ استدل ابن حزم على جواز الديك وغيره في الهدي، وليس بصحيح، فالدجاجة لا مدخل لها في الهدي، ولا في العقيقة، ولا في الأضحية، هذا الباب بابه بهيمة الأنعام، الإبل والبقر والغنم.

(وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً) جاء عند النسائي: «فكأنما قرب عصفورا» أيضا.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

(فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ) هؤلاء الملائكة وكلهم الله بشأن كتابة ما يتعلق بأهل الجمعة.

١١٥٦ - وعنه أنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فِيهَا سَاعَةٌ لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيّاهُ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

قد جاء في حديث جابر خارج الصحيح: أنها آخر ساعة في الجمعة، وهو اختيار عبد الله بن سلام حين ناظر أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما سمعت النبي ﷺ يقول: (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي) وهذا الوقت ليس بوقت صلاة؟ فقال: أما قال النبي ﷺ: «من دخل المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة»، فكانت الحجة مع عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وليس معنى (إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيّاهُ): يتحقق بعينه، قد تقول: اللهم اقض ديني ولا يقضى دينك، اللهم أصلح ولدي ولا يصلح ولدك، اللهم افعل لي كذا كذا ولا يتحقق، لكن يستجيب الله، يكتب لك أجرا، أو يدفع عنك شرا، أو يتحقق لك ما طلبت.

١١٥٧ - وعن أَبي بُرْدَةَ بن أَبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رسول الله ﷺ في شأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاةُ». رواه مسلم[2].

الشرح:

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).

(٢) حديث رقم: (٨٥٣).

لكن هذا الحديث أعله الدارقطني برواية مخرمة عن أبيه، عن أبي بردة، وهو مقطوع من قول أبي بردة.

١١٥٨ - وعن أوس بن أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

يعني له ملائكة تبلغه، ليس معنى ذلك أنه يسمع صلاة المصلين، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر: ٢٢]، لكن هنالك ملائكة تبلغه، قالوا: يا رسول الله كيف تسمع وقد أرمت؟ قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

فالحديث ثابت، لكن بالمعنى الأول: أن هناك ملائكة تبلغه من أمته السلام، ليس معنى أنه يسمع؛ لأن هذه الشبهة قد أخذ بها بعض المتصوفة ومن إليهم وزعموا أن النبي ﷺ يسمع، ويبقى أحدهم: يا رسول الله اشفع لي، يا رسول الله افعل لي، يا رسول الله ارزقني، والأمراء يكتبون: يا رسول الله انصرني، ونحو ذلك.

هذا شرك أكبر مخرج من الملة، الاستغاثة بالنبي ﷺ في حال موته، وفيما لا يقدر عليه.

والصلاة على النبي ﷺ مستحبة في كل يوم وفي كل حال، لكنها في هذا الوقت أفضل، يوم الجمعة أفضل، يوم عيد المسلمين، لأن أعياد المسلمين: أسبوعي يوم الجمعة، وسنوي يوم الفطر، ويوم الأضحى، وما لحقه وقبله.

(فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ) على الاستحباب لا الوجوب؛ لأنه أمر إرشاد.

(١) حديث رقم: (١٥٣١).

٢١١ - باب استحباب سجود الشكر عِنْدَ حصول نعمة ظاهرة أَو اندفاع بلية ظاهرة

سجود الشكر، ويجوز بدون وضوء، يجوز إلى غير القبلة، لكن الأكمل أن يكون مع طهارة، وأن يكون إلى القبلة.

بعض الأخوة أخذ الفتوى على أن سجود التلاوة وسجود الشكر لا يلزم له القبلة، وتراه إلا وقت ما يتجه شرقا ويسجد، أو جنوبا ويسجد، إذا كان الأمر سهلا عليك توجه إلى القبلة.

هكذا أيضا مسألة الذبح، أخذوا على أن الفتوى: يجوز أن تذبح إلى غير القبلة، لكن تسمي الله، الواجب هو التسمية لا التوجه إلى القبلة، لكن قد جاء في بعض الروايات: وجه، فحتى وإن لم يكن واجبا الاستحباب طيب، والتأسي بالنبي ﷺ.

وأيضا لا تجعل الناس يدوكون، لا سيما في البوادي، يقولون: والله ذبح إلى غير القبلة، ويبقى أحدهم متشككا: هل يأكل منها أو لا يأكل منها؟ فينتبه لمثل هذه الأشياء.

مثل قراءة القرآن تجوز بغير طهارة على الصحيح من أقوال أهل العلم، لكن إذا تطهر أليس أفضل؟ أفضل، قد يقوم يصلي ركعتين، قد يفعل شيئا من الأعمال، وسيكون على أكمل الهيئات.

١١٥٩ - عن سعد بن أَبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ مِنْ مَكّةَ نُرِيدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَاءَ نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا الله سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَمَكَثَ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَعَلَهُ ثَلاثًا، وقال: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخَرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي». رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

لكن قد جاءت أدلة في سجود الشكر، سجد داوود شكرا حين تاب الله عليه، وهكذا جاء حديث: أن النبي ﷺ لما جاءه إسلام أهل اليمن سجد، والحديث له طرق، ذكر البخاري أصله، وذكر البيهقي الموطن، وفيه كلام في بعض رواته، لكن له طرق.

(١) حديث رقم: (٢٧٧٥)، في سنده يحيى بن الحسن بن عثمان، مجهول، وشيخه أشعث بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص مجهول، وضعفه الألباني في (ضعيف أبي داود).

٢١٢ - باب فضل قيام الليل

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ **[سورة الإسراء: ٧٩].**

وقال تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ **[سورة السجدة: ١٦] الآية.**

وقال تَعَالَى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ **[سورة الذاريات: ١٧].**

الشرح:

ومن كل الليل يجوز القيام، من أوله ووسطه وآخره، كما صح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾) في حق النبي صلى الله عليه وسلم نافلة، وفي حق غير النبي ﷺ قربة وكفارة، أما النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلذلك كانت له زيادة.

(﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾) نزلت في الصلاة التي يصلونها بين مغرب وعشاء، ولا بأس بالاستدلال بها على قيام الليل.

(﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾) والمعنى: كان هجوعهم في الليل قليل، أو كان نومهم في الليل كثير، ويقومون بعض الليل، وكله حسن أن الإنسان يأخذ من الليل ما تيسر، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [سورة المزمل: ٦].

وأفضل قيام الليل ما يكون في آخره، حين ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا يقول: «**من يسألني؟ من يستغفرني؟ من يدعوني؟**».

وقيام الليل هو دأب الصالحين، وسبيل المخبتين المنيبين، وطريق المشمرين إلى جنات النعيم، ما كل إنسان مع الليل كالجلد البالي، يُلقى به ما يقوم إلا الفجر أيضا بصعوبة، هذا كالحلس البالي، لكن الإنسان يجعل لنفسه حظًّا.

جماعة التبليغ مرة من المرات قالوا: عندنا منبه قرآني، قلنا: ما هو هذا المنبه؟ قالوا: تقرأ أواخر سورة الكهف، مع النية أن تقوم في الساعة كذا كذا من الليل، قلنا: هذا لم يأت به دليل عن النبي ﷺ، لكن الإنسان إذا نيته القيام لصلاة الفجر وكان صادقا سيقوم، والله لو ينام قبل الصلاة بساعة، إلا إذا إن شاء الله، وإلا الأصل أن الذي قلبه مشغول على العبادة حتى وإن نام سيقوم، فإذا نمت من أول الليل وأنت تطمع أن تقوم آخر الليل ستقوم.

لكن احذر أن تقوم ثم تقول: أرتاح قليلا وأعود إلى القيام، هذا مدخل للشيطان، في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت في وصف النبي ﷺ: فإذا سمع النداء ذكرت أنه قام سريعا، ما ينتظر يمسح الوجه، ولا ينتظر يعمل مدا للأيادي ونحو ذلك، أو أعمل لي نعسة قليلة، يقفز، ثم يأخذ الماء يرش على نفسه ﷺ إن كان عليه غسل، ثم يقبل على ما هو عليه.

وإذا تعودت أيام خلاص لا تحتاج منبها، لا تحتاج ساعة، لا تحتاج من يوقظك، يصير هذا الأمر طبيعي عندك، واستعن بالله ولا تعجز، قيام الليل عبادة بينك وبين الله، ربما زوجتك بجانبك نائمة ما تدري بحالك، صاحبك ما يدري بحالك، وأنت تناجي الله أن يغفر ذنبك، وأن يستر عيبك، وأن ييسر أمرك، وأن يعلمك، وأن يوفقك، وأن يثبتك، وأن يسددك.

قلَّ أن تجد في تراجم السلف إلا: وكان يقيم الليل، كان يصلي من الليل، وسترى الأحاديث الكثيرة.

النبي ﷺ لازم قيام الليل حتى فوق بعيره وهو يسافر، وابن عمر كان يصلي فوق حماره وهو مسافر، وأنس بن مالك كان يصلي فوق حماره وهو يسافر، وهكذا ما زال المسلمون يصلون قيام الليل، إلا من كسل منهم، وزهد في هذه العبادة الجليلة.

١١٦٠ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يَقومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا!». متفقٌ عَلَيْهِ.

وَعَن المُغِيرَةِ بن شُعبة نَحْوهُ متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

يعني: لم يتركه النبي ﷺ مع أنه قد غُفر له، أنت ما عندك يقين أنه قد غفر لك، إذًا بحاجة إلى أن تقوم قيام الليل، وأن تحافظ عليه، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر لك ذنبك، وأن ييسر لك أمرك، وأن يصلح لك شأنك.

أما أن الإنسان يريد أن يشبع نوم خذوها فائدة ما يشبع، أنت إذا كنت تنام سبع ساعات سيقول لك الجسم وستقول لك نفسك: زد ساعة، إذا نمت ثمان ساعات تحتاج إلى تسع، إذا نمت تسع ساعات تحتاج إلى عشر، ويمضي ليلك ونهارك في سبات ونوم، لكن خذ لك راحة الجسم، ثم قم، تجد أن الجسم بعد ذلك سيتأقلم على الواقع الذي أنت عليه، وتنتعش.

١١٦١ - وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلًا، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

(طَرَقَهُ): أَتَاهُ لَيْلًا.

الشرح:

انظر وعلي من علي وفاطمة من فاطمة؟ ومع ذلك يأمرهما بالصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) عن عائشة، وأخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) عن المغيرة.

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥).

قَالَ بن بَطَّالٍ: فِيهِ فَضِيلَةُ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَإِيقَاظُ النَّائِمِينَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ لِذَلِكَ.

١١٦٢ - وعن سالم بن عبدِ الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن أبيهِ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ».

قَالَ سالِمٌ: فَكَانَ عَبدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إِلاَّ قَلِيلًا. متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

وهذا الحديث له سبب، وذلك: أن عبد الله بن عمر رأى أن الملائكة تأخذه إلى النار، ورأى النار، وسمع أصوات بعضها، وعرفهم، وإذا بملك يأتيه ويقول له: لن تراع، إنك لست من أهلها، فكان فيها بشارة ونذارة، النذارة أنه كان ما يصلي من الليل، والبشارة أنه ليس من أهل النار، ففسر له النبي ﷺ، وقال له: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ»، فعند ذلك كان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا.

نحن ما نقول: لا تنم من الليل إلا قليلا، نحن نقول: اسهر من الليل قليلا مصليا مناجيا لربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يا أخي إذا عجزت عن القيام صل جالسا، إذا عجزت عن القراءة بالسور الطويلة اقرأ من قصار الصور، إذا عجزت عن قراءة بالسور اقرأ الفاتحة، جزاك الله خير، وأنت إن شاء الله مأجور غير مأزور.

١١٦٣ - وعن عبد الله بن عَمرو بن العاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا عَبدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيلِ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

انظر النبي ﷺ كيف يحضض عبد الله بن عمر: (لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ)، إياك أن تكون محافظا على قيام الليل وتترك، كثير منا يصلي الليل في رمضان، ويجتهد، وما

(١) أخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) انظر الحديث (١٥٤).

شاء الله، انتهى رمضان ما يقوم إلا في رمضان القادم، هذا ما هو صحيح، إما أن تصلي أول الليل، وإما وسط الليل، وإما آخر الليل، الوقت الذي يناسب جسمك، ويناسب عملك، ويناسب شأنك.

١١٦٤ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ فِي أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

إذًا الثُّقل الذي تجده حال نومك هو بسبب الشيطان، إما أن يبول في أذنيك، وإما أن ينام على خياشيمك، وإما أن يلعب بقفاك على ما يأتي في الحديث.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ فَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَعْنَاهُ: أَفْسَدَهُ، يُقَالُ: بَالَ فِي كَذَا إِذَا أَفْسَدَهُ، وَقَالَ الْمُهَلَّبُ وَالطَّحَاوِيُّ وَآخَرُونَ: هُوَ اسْتِعَارَةٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى انْقِيَادِهِ لِلشَّيْطَانِ وَتَحَكُّمِهِ فِيهِ وَعَقْدِهِ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِهِ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ وَإِذْلَالُهُ لَه، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ اسْتَخَفَّ بِهِ وَاحْتَقَرَهُ وَاسْتَعْلَى عَلَيْهِ، يُقَالُ لِمَنِ اسْتَخَفَّ بِإِنْسَانٍ وَخَدَعَهُ: بَالَ فِي أُذُنِهِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي دَابَّةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِالْأَسَدِ إِذْلَالًا لَهُ، وَقَالَ الْحَرْبِيُّ: مَعْنَاهُ ظَهَرَ عَلَيْهِ، وَسَخِرَ مِنْهُ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ قَالَ: وَخَصَّ الْأُذُنَ؛ لِأَنَّهَا حَاسَّةُ الِانْتِبَاهِ. اهـ

(١) أخرجه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤).

١١٦٥ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإن اسْتَيقَظَ فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإنْ تَوَضّأ انْحَلّتْ عُقدَةٌ، فَإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلاَّ أصْبحَ خَبيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

(قافية الرَّأس): آخِرُهُ.

الشرح:

والحديث على ظاهره، وإن قال أحدهم: أنا لا أحس بهذا العقد نقول: الحديث عن ظاهره، الله عَزَّوَجَلَّ يقول عن نبيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم: ٣-٤].

وربما يُراد بالشيطان هنا: القرين، ليس بالشرط أن يكون الشيطان الأكبر.

وقوله: (أَحَدِكُمْ) داخل فيه الرجال والنساء.

(إِذَا هُوَ نَامَ) هذا في نوم الليل.

(ثَلَاثَ عُقَدٍ) حتى يتمكن من الإنسان؛ لأنها لو كانت عقدة واحدة سيتخلص منها، لكن ثلاث عقد، ويضرب على كل عقدة: أمامك ليل طويل فارقد، قام نظر الساعة: زد لك قليلا، ما زال الوقت مبكرا، تستعين بهذه النصف الساعة على النهار، وهو كذاب، يريدك أن تنام، بل ربما تسمع الأذان الأول يقول لك: زد لك قليلا، وتسمع الأذان الثاني يقول: خليك لما تسمع الإقامة، تسمع الإقامة أو ضرب على أذنك ما تقوم إلا وقد انتهت الصلاة، نسأل الله السلامة والعافية.

الشيطان له مداخل على الإنسان، لا يرضى منه العبادة، ولا يرضى منه الطاعة.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(فَإِن اسْتَيقَظَ فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انحَلَّتْ عُقْدَةٌ) نعمة، أول ما تقوم: بسم الله، أو الحمد لله، أو غير ذلك من الذكر، تنحل عقدة.

(فَأَصْبَحَ نَشِيطًا) انظروا إلى طلاب العلم، أحدهم ربما يسهر مع العلم أو يسهر مع غيره وإذا به يصبح نشيطا، بينما العامي إلا ما رحم ربي يأتي عندك في الصلاة وإذا به يضرب تثاؤبا بعد تثاؤب، ما أن ينتهي من الصلاة إلا ويسرع إلى الفراش للنوم مرة أخرى، وهذا يبقى مسبحا، مستغفرا، قارئا، تاليا، مراجعا، متعبدا لله عَزَّوَجَلَّ.

زد على ذلك أنه طيب النفس، أما ذاك خبيث النفس، يغضب من لا شيء، ويتذمر من لا شيء، ونفسه تأنبه ما يدري بسبب غضبه، والسبب الغضب المعصية وعدم ذكر الله، أما هذا أتى بالأذكار، وصلى قبل الفجر، صلى الفجر، ذكر الله بعد الفجر، صلى الضحى، انشراح صدر طول اليوم.

١١٦٦ - وعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(أَفْشُوا السَّلامَ): السلام عليكم ورحمة الله، على من عرفتم ومن لم تعرفوا.

(وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ): الصدقة على المساكين والمحتاجين والأقارب، ونحو ذلك.

(وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ) قيام الليل، أما صلاة العشاء واجبة، صلاة الفجر واجبة، لا يجوز أن يتخلف عنها متخلف من الرجال إلا لعذر شرعي.

(تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ) يعني: بغير عذاب ولا حساب بإذن الله لمن صدق وداوم وأخلص.

---

(١) حديث رقم: (٢٤٨٥).

١١٦٧ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ». رواه مسلم(١).

الشرح:

من أي الليل كان، من أوله أو من آخره أومن وسطه.

بهذا الحديث استدل بعضهم على تفضيل قيام الليل على صلاة النوافل القبلية والبعدية.

١١٦٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

هذا الحديث يقيده بعض أهل العلم بحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما زاد رسول الله ﷺ في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشر ركعة، لكن يصلي ركعتين ثم يسلم، ركعتين ثم يسلم، ركعتين ثم يسلم، ثم يوتر بواحدة.

وهناك كيفيات أخرى كلها صحيحة ثابتة: أربعا ثم يسلم، وأربعا ثم يسلم، ثم يؤثر بثلاث، وتسع بتسليمة واحدة لا يجلس إلا في الثامنة، وسبع بتسليمة واحدة لا يجلس إلا في السادسة، وثمان مثنى مثنى ويوتر بخمس.

---

(١) حديث رقم: (١١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١٣٧)، ومسلم (٧٤٩).

١١٦٩ - وعنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

١١٧٠ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيلِ مُصَلِّيًا إِلاَّ رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلاَّ رَأَيْتَهُ. رواه البخاري[٢].

الشرح:

يعني: كان يأخذ حظه من النوم، ويأخذ حظه من القيام، وهديه خير الهدي، وسنته خير الطرق.

١١٧١ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً - تَعْنِي فِي اللَّيلِ - يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ المُنَادِي للصَلَاةِ. رواه البخاري[٣].

الشرح:

يلازم قيام الليل، ويكثر من الدعاء في سجوده.

والاضطجاعة هذه سنة إذا كان في البيت، أما في المسجد فلا يضطجع.

---

(١) انظر الحديث (١١٠٦).

(٢) حديث رقم: (١١٤١).

(٣) حديث رقم: (١١٤٣).

١١٧٢ - وعنها، قالت: مَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزِيدُ - فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ - عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا، فَقُلتُ: يَا رسولَ اللهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَة، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

بمعنى أنه يقوم ويصلي، ولا يعارض هذا ذاك الحديث أنه نام حتى ضربته الشمس في سفره، فإن الشمس تتعلق بالنظر لا تتعلق بالقلب.

١١٧٣ - وعنها: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أَوّلَ اللَّيلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي. متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

من كل الليل قد أوتر النبي ﷺ، حتى انتهى وتره إلى السحر.

١١٧٤ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سوءٍ! قيلَ: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجلِسَ وَأَدَعَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ(٣).

الشرح:

يعني أمير نفسه، المتطوع أمير نفسه، وإذا صلى بالناس فليخفف.

(وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا شَقَّ عَلَى الْمُقْتَدِي فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ الْقِيَامُ وَعَجَزَ عَنْهُ جَازَ لَهُ الْقُعُودُ، وَإِنَّمَا لَمْ يَقْعُدِه ابْنُ مَسْعُودٍ لِلتَّأَدُّبِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ: جَوَازُ الِاقْتِدَاءِ فِي غَيْرِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَفِيهِ: اسْتِحْبَابُ تَطْوِيلِ صَلَاةِ اللَّيْلِ). أفاده النووي.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩).

(٣) انظر الحديث (١٠٣).

١١٧٥ - وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فقلتُ: يُصَلِّي بِهَا في رَكْعَةٍ فَمَضَى، فقلتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يقرأُ مُتَرَسِّلًا: إِذَا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»، فَكَانَ سجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا في النافلة، هذه الأدعية التي يأتي بها مع صلاته في النافلة، وأما الفريضة فتسمع القرآن، ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٤].

وهذه الصلاة لمن أراد أن يصلي ركعة، أما أن يصلي ثمان ركعات بهذه الكيفية الذي يظهر فيه نظر.

١١٧٦ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ القُنُوتِ». رواه مسلم[2].

المراد بـ(القنوتِ): القِيام.

الشرح:

كلما أطلت القيام زاد أجرك، وبهذا استدل على أن حديث: لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا - على صحته - أي: يطيل الصلاة، ليس معناه يقنت: يمسي يرفع يديه ويدعو، فإن هذا لم يثبت عن النبي ﷺ.

---

(١) انظر الحديث (١٠٢).

(٢) حديث رقم: (٧٥٦).

١١٧٧ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَومًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

كان ينام نومتين: نومة قبل منتصف الليل، ونومة قبل الفجر، وهذا أحب القيام، ومن صلى دون ذلك صحت صلاته، أما قيام الليل أجمع لم يثبت عن النبي ﷺ إلا ما كان في بعض رمضان.

وفيه أن الأعمال تتفاضل.

١١٧٨ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

وهذه الساعة لم تُحدد، لكن أرجاها أن تكون في آخر الليل، فانظر إلى هذا الفضل العظيم، ربما يستجيب الله دعوتك، ويفك كربتك، ويصلح حالك، ويصلح أبنائك بدعائك لهم، ويصرف عنك الشر والضير.

وشأن قيام الليل عظيم، جاء في بعض الأحاديث: «إن الله أمدكم بصلاة بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر هي خير لكم من حمر النعم»، هذه صلاة جعلها الله للمؤمنين المسابقين إلى الخيرات، سيأتي أن زينب كانت تصلي حتى تتعب، ثم تتعلق بالحبال.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٠)، ومسلم (١١٩٥).

(٢) حديث رقم: (٧٥٧).

(وفيه أن المسلم يحرص على سؤال ما يكون به صلاح الدنيا والآخرة، لا يعلق قلبه فقط بالدنيا ولكن ليسأل أيضا الآخرة: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، اللهم أسألك لذة النظر إلى وجهك، وهذ الأدعية النافعة التي سيجد بركتها في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم). من "شرحي على صحيح مسلم".

١١٧٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلَاةَ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ». رواه مسلم[١].

١١٨٠ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رواه مسلم[٢].

الشرح:

هذا على الاستحباب.

١١٨١ - وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِن اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً. رواه مسلم[٣].

الشرح:

ولو صلى دون ذلك أجزأه، لكن النبي ﷺ كان يحب الكمال في جميع شأنه، ومن قام قبل الإقامة له أن يصلي الوتر، كما هو فتوى ابن مسعود، وفعل ابن مسعود، وفتوى عائشة، وفعل عائشة رضي الله عنهم، قمت وقد أذن الأذان الثاني للفجر قبل أن تقام الصلاة لك أن تصلي الوتر، من نام عن وتره فليصله إذا ذكره.

---

(١) حديث رقم: (٧٦٨)، ضعيف بلفظ الأمر، وثابت من فعل النبي ﷺ، قد أُعل بلفظ الأمر.

(٢) حديث رقم: (٧٦٧).

(٣) انظر الحديث (١٥٥).

١١٨٢ - وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فيما بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وصلاة الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ». رواه مسلم(١).

١١٨٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِن أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح(٢).

الشرح:

هذا إذا كانت راغبة في القيام، والرجل راغب في القيام، أما تقوم تنضح في وجه الماء ويناولها طلقة هذا ما هو فقه، أو هكذا الزوج ينضح في وجهها الماء وربما قام يتخارش معها، ويؤدي الأمر إلى ذهابها إلى أهلها، لكن يبدأ بإقناعها بقيام الليل.

وإلا النبي ﷺ كان ينام ويصلي وعائشة بجانبه، إذا سجد غمزها حتى ترفع رجليها، وإذا قام مدت رجليها، فإذا كان قبل الفجر قال: «قومي، فأوتري يا عائشة».

لأن شعور النساء دون، ضعيفات، وكثيرات الأعمال، أنت ربما تأخذ لك قسطا من النهار، وهي تقوم تصنع الطعام، ثم بعد ذلك كنس بيت، ثم غسل الملابس، ثم صنع الطعام، ثم نظافة المطبخ، يومها يمضي وهي في عمل، لكن لها أن تأخذ بعض الليل، تصلي ركعة، تصلي ثلاث ركعات، على ما يسر الله.

وهذا الحديث محمول على ما إذا كان بينهما تطاوع وتعاون.

---

(١) انظر الحديث (١٥٣)، أخرجه مسلم وفيه كلام، لكن يشهد له حديث عائشة السابق.

(٢) حديث رقم: (١٣٠٨).

١١٨٤ - وعنه وعن أَبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا - أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ».

رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

(وعنه وعن أبي سعيد): عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ما شاء الله فضل العظيم، (كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ).

١١٨٥ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

وهذا من رحمة الله، ومن تخفيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن قيام الليل مستحب ومندوب، إلا إنك لا تثقل على نفسك حتى لا تدري ما تقول.

مرة كنت أصلي معهم في الحرم، ومن شدة الإرهاق والتعب سجدت السجدة الأخيرة، وأخذتني غفوة حتى سلم الإمام من صلاته، فجعل واحد مصري يقول لي: ما كفكش دعاء السديس؟ ما كفكش دعاء السديس؟ يظن أني أدعو، وأنا عامل قيلولة.

وفعلا والله أحيانا تقول تريد: اللهم أدخلني الجنة، وإذا بك مع شدة النوم: اللهم أسألك النار، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) حديث رقم: (١٣٠٩)، صححه الشيخ الألباني، والمحقق، وغيرهم.

(٢) انظر الحديث (١٤٧).

فهذا من رحمة الله، إذا نعس اذهب ارقد، لا سيما البادئ في طلب العلم الحريص على الخير ربما يجهد نفسه زيادة عن اللزوم، حتى يحصل له هذا، فنحن نقول: لا إفراط ولا تفرط، لا ترقد نوم الكسالى ونوم البطالين، ولا تقم قوم المشددين المتنطعين، ولكن بين ذلك.

١١٨٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ القُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِع». رواه مسلم[1].

الشرح:

نعم ريح نفسك، وتقوم إن شاء الله بعدها بنشاط، والمؤمن نيته طيبة، يؤجر عليها.

(**فالشاهد**: هذا أن الإنسان لا يشد على نفسه، لا في العبادة، ولا في الحفظ، ولا في الصوم، ولا في أعمال الدنيا، وإنما يترفق بنفسه ترفقا، ويرعى نفسه رعاية، فعند أن يرى منها الفتور يسائسها حتى تأتي ببعض العمل، وإذا رأى منها النشاط كلفها ما تطيق، لا يقول: أزيد، فإنه يوشك أن ينقطع، بعد ذلك يبقى أياما ويتحسر على الوقت الذي يذهب، وهيهات أن ينشط إلا بعد مجاهدة، وكثرة دعاء واستغفار، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكرمه وأن يعينه، والله المستعان). من "شرحي على صحيح مسلم".

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (٧٨٧).

٢١٣ - باب استحباب قيام رمضان وَهُوَ التراويح

١١٨٧ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

يعني: يقوم جميع الشهر.

١١٨٨ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُرَغِّبُ في قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ، فيقولُ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». رواه مسلم[٢].

الشرح:

هذا كذا «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

(إلا أن العلماء اختلفوا أيهما أفضل الصلاة في البيت أو الصلاة في المسجد؟ فالأدلة دالة على أن النافلة في البيت أفضل مطلقًا؛ لقول النبي ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم لا تتخذوها قبورا»، ولقول النبي ﷺ: «فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة».

ومع ذلك من أحيى هذا الشعار وقام به لاسيما في المناطق التي ليس فيها من يحييها فقد يتعين عليه إحياء السنة وإظهار السنة، وأما من زعم أن التراويح إنما سنها عمر بن الخطاب فليس بصحيح، فإن النبي ﷺ قد صلى بالناس ليلة ثلاثة وعشرين،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) حديث رقم: (٧٥٩).

وليلة خمسة وعشرين، وليلة سبعة وعشرين، كما في حديث أبي ذر وحديث النعمان بن بشير، وكلاهما عند النسائي، وهما في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفيه فضل قيام رمضان للمحتسب؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ إنما يتقبل لمن صلحت نيته، فالإخلاص شرط في قبول العمل، كما أن المتابعة كذلك، وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»). اهـ

٢١٤ - باب فضل قيام ليلة القدروبيان أرجى لياليها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [سورة القدر: ١] **إِلَى آخرِ السورة.**

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [سورة الدخان: ٣] **الآياتِ.**

الشرح:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [سورة القدر: ١-٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [سورة الدخان: ٣-٥].

١١٨٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبيِّ** ﷺ **قَالَ:** «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». **متفقٌ عَلَيْهِ**[1].

الشرح:

وهذا من كرم الله وجوده وفضله، وهي ليلة واحدة، وأرجاها أن تكون ليلة سبع وعشرين، وتصح أن تكون في العشر الأواخر، تتنقل بين وترها، بل ذهب بعض أهل العلم إلى أنها قد تقع حتى في الشفع.

والمراد (**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**) الصغائر، أما الكبائر لا بد لها من توبة، كما قال النبي ﷺ: «**الصلاة إلى الصلاة، ورمضان إلى رمضان، والجمعة إلى الجمعة، مكفرات لما بينهن إذا اجتُنِبت الكبائر**».

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

١١٩٠ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رِجالًا مِنْ أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ في المَنَامِ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

الوتر، سيأتي في حديث عائشة.

١١٩١ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ويقول: «تَحَرَّوا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضانَ». متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

(يُجَاوِرُ) أي: يعتكف.

١١٩٢ - وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ». رواه البخاري[٣].

الشرح:

وفيه أن الاجتهاد في بعض الليالي دون بعض من الأمور الطيبة.

١١٩٣ - وعنها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

الشرح:

كناية عن تركه لجماع أهله وانشغاله بهم، وإنما يتفرغ للطاعة والعبادة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩).

(٣) حديث رقم: (٢٠١٧).

(٤) انظر الحديث (٩٩).

١١٩٤ - وعنها، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رواه مسلم[١].

الشرح:

وذلك لعله أن يوفق لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ولأن هذه الليالي أفضل ليالي العام، وأما من حيث الأيام فأفضلها العشر الأول من ذي الحجة عند الجماهير.

الآن أكثر الناس هداهم الله يجتهدون في رمضان بالنظر إلى التلافز والدشوش، ويشغلون أنفسهم بالقات، والقيل والقال، وغير ذلك.

مع أن رمضان شهر عبادة وشهر طاعة، ينبغي أن يُجتهد فيه، ويُتأسى برسول الله ﷺ فيه، تصفد فيه الشياطين، وتفتح فيه الجنان، وتغلق فيه النيران، أسباب خير وبركة.

١١٩٥ - وعنها، قالت: قُلْتُ: يَا رسول الله، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[٢].

الشرح:

ولا بأس بهذا الدعاء، سواء في ليلة القدر أو في غير ليلة القدر، دعاء مطلق.

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ) أي: من أسمائه أنه العفو.

(تُحِبُّ العَفْوَ): التجاوز.

(١) حديث رقم: (١١٧٥).

(٢) حديث رقم: (٣٥١٣)، أُعل بأن عبد الله بن بريدة لم يسمعه من عائشة، ومع ذلك يصححه الشيخ الألباني وغيره من أهل العلم.

٢١٥ - باب فضل السواك وخصال الفطرة

١١٩٦ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وجاء مع كل وضوء، هذه اللفظة قد انتقدها بعضهم، «مع كل صلاة»، حتى أن بعضهم يرى أن الاستياك داخل المسجد من خوارم المروءة، ويقول: النبي ﷺ لما قال: «مع كل صلاة» يريد مع كل وضوء، كما جاء في بعض الروايات.

(لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي) دليل على أنه أمر بالسواك كثيرا، كما في حديث أنس: «أكثرت عليكم في السواك»، وكان النبي ﷺ يستاك إذا قام من النوم، وإذا دخل البيت، وعند الوضوء، وهكذا يستحب إذا تغير الفم، وإذا أراد أن يقرأ القرآن، وإذا كثر صمته، أو كثر كلامه.

وأحسنه ما يكون بالأراك، ويجوز بالفرشاة، إلا أن الورع في الفرشاة المصنوعة من شعر الخنزير الترك، وتعتبر من أغلى الفرشات العالمية، لكن الورع الترك، مع أن في الحديث: «إذا دُبغ الإهاب فقد طهر»، يدخل فيه أي جلد لأي حيوان، مأكول أو غير مأكول، لكن قد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الخنزير ليس له جلد كبقية الحيوان، إنما جلده مثل جلد الإنسان، والله أعلم.

وفي هذا دليل على محاسن هذا الدين، وأنه يهتم بنظافة الفرد والمجتمع، وبعدم أذية الفرد والمجتمع، إذ أن استخدام السواك تطهير للفم ومرضاه للرب، مع امرأتك، مع مجالسيك، إذا جلس عندك الأخشم ربما يسبب لك تقرحات في الأنف من الرائحة التي تخرج من فيه، وربما إذا أراد أن يسر إليك بشيء تقرب منه وأنت عامل

(١) أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

هكذا تبتعد، بينما لو كان طيب النَّفَس طيب الفم لا يسأم الإنسان من مجالسته، من منادمته، من القرب معه، والله المستعان.

١١٩٧ - وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا قَامَ مِن النَّومِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

(الشَّوْصُ): الدَّلْكُ.

١١٩٨ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كُنَّا نُعِدُّ لِرسولِ الله ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي. رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

انظر إلى عناية النبي ﷺ به، حتى أنه يعد له قبل نومه، فإن لم يوجد فلا أقل من أن تأخذ خرقه وتحركها في فيك، أو كل شيئا من المأكولات التي تغير رائحة الفم، كالتمر، أو النعناع، أو نحو ذلك من الأمور، أو خذ شيئا من القرنفل، أو كذلك القرفة، أشياء تغير رائحة الفم.

النبي ﷺ نهى علينا الثوم والبصل لمن أراد أن يدخل المسجد؛ للأذية التي تحصل من رائحة الثوم والبصل، فكيف برائحة الأخشم؟ بعض الناس ربما يخرج من الصلاة إذا صلى الفجر عند أخشم، ما يستطيع، وحق له ذلك، بعض الناس ربما يؤثر فيه الطيب، يسبب له تحسسا، كيف إذا كان عند أخشم ولا يهتم بنفسه؟ فيتعين على الجميع النظافة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٢٥٥).

(٢) حديث رقم: (٧٤٦).

١١٩٩ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السِّوَاكِ». رواه البخاري[١].

الشرح:

أي: لكثرة ما يأمر به، ويذكرون: أن أشد الحيوانات في هذه الحالة الأسد، أخشم رائحته كريهة، لا يستطيع أن يُقرب منه؛ لرائحة فمه.

١٢٠٠ - وعن شريح بن هانئٍ قَالَ: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالت: بِالسِّوَاكِ. رواه مسلم[٢].

الشرح:

حتى يدخل عند أهله ورائحة فمه طيبة غير قبيحة، وما أسوأ رائحة المدخنين والمبردقين والمخزنين، وأيضا أصحاب القار - ما أدري أيش اسمه - ذاك الذي يستخدمونه في السعودية، يعمله هكذا تنظر في فمه ما أدري ماذا أعبر عنه، مساكين، لا منظر كما يقال ولا مخبر.

بينما أهل السنة ما شاء الله، طلاب العلم، تجد أحدهم أقل حالا يتسوك في اليوم مرة، إن لم يكن معه سواكا رطبا يكون معه سواكا يابسا، ولما ذهبنا إلى تنزانيا كان أحسن الهدية نقدم بها عليهم السواك والتمر، إذا معك سواك وتمر كأنك قدمت بشيء عزيز.

حتى أن في الحرم بجانب الحرم فيه سواكات يابسة، يشتروها أصحاب الدول البعيدة التي ما عندهم الأراك، يحملونها كهدايا، والله ربما تجد الواحد معه سواك سنة يستخدمه، مثل هذا ربما يستخدمه سنة، ينظفه ويستخدمه ويرجعه إلى جيبه.

---

(١) حديث رقم: (٨٨٨).

(٢) حديث رقم: (٢٥٣).

ونحن الحمد لله في هذه البلاد عندنا الأراك متوفر، وبثمن رخيص، ربما تشتري بمائة ريال وخمسمائة ريال يمني ما هو شيء، مثل هذا في السعودية ربما تشتريه بخمسة ريال بعشرة ريال، والله المستعان.

حتى أنه اشتهر عندهم سواك شبر، وبعض القرى يسخرون من السلفيين يقول: أنت ما تأخذ سواكا إلا شبرا، وبعضهم يتفنن في إعداده وتنظيفه، وإظهاره في صورة طيبة، المهم أنه من شعائر الإسلام.

يذكرون أن بعضهم رأى أناسا يتسوكون، قال: هؤلاء يتسوكون لأكلي، يظن أنهم يحدون أسنانهم.

١٢٠١ - وعن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخلتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَطَرَفُ السِّوَاكِ عَلَى لِسَانِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ مسلمٍ[(١)].

الشرح:

في رواية يقول: «أَعْ أَعْ»، أي: أنه يدخله إلى لهواته من أجل إزالة ما علق على اللسان، أحيانا الرائحة ليست في الأسنان، تكون الرائحة من اللسان، وتتكون عليه تلك الطبقة البيضاء، وفي بعضهم الصفراء، فيدخل الإنسان السواك، ويزيل تلك الطبقة.

١٢٠٢ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ». رواه النسائي وابنُ خُزَيْمَةَ في صحيحِهِ بأسانيدَ صحيحةٍ[(٢)].

الشرح:

انظر ترضي ربك بشيء يسير، بعمل يسير، الله يحب السواك، ولذلك يرضى عن متعاطيه وفاعله تقربا له.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤)، ومسلم (٢٥٤).

(٢) أخرجه النسائي (٤)، وابن خزيمة (١٣٥).

وذكر البخاري في صحيحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث تعليقا بصيغة الجزم، فقال: وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

١٢٠٣ - وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإبطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(الاستحْدَادُ): حَلقُ العَانَةِ، وَهُوَ حَلْقُ الشَّعْرِ الَّذِي حَولَ الفَرْجِ.

الشرح:

(الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ) المعنى الثاني أوسع، (خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ) أي: أن الفطرة ليست هي الخمس فقط، أما (الفِطْرَةُ خَمْسٌ) قد يأخذ بها من يرى الحصر.

(الخِتَانُ) وهو واجب في حق الرجال، مستحب في حق النساء، لكن على شريطة أن تكون الخاتنة للنساء لا تُنْهِك؛ لأن بعض الخاتنات تفسد المرأة على زوجها، بل وفي أخلاقها، ربما يتغير شأنها بسبب ذلك.

(وَالاسْتِحْدَادُ) الاستحداد: هو حلق الشعر في العانة، ويجوز للرجل والمرأة.

(وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ) سواء في اليدين أو في الرجلين.

(وَنَتْفُ الإبطِ) ويجوز فيه الحلق، وكذلك استخدام المزيلات، كالنورة، ونحو ذلك.

(وَقَصُّ الشَّارِبِ) وحلقه جائز على الصحيح من أقوال أهل العلم، وأما ابن القيم في زاد المعاد كأنه يُقر ما ذهب إليه مالك، لكن الشوكاني في (نيل الأوطار) يذهب إلى جواز الأمرين، وهو الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧).

والاستحداد يكون توقيته بأربعين يوما، لا يزيد على أربعين يوما.

١٢٠٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ المَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتف الإِبْطِ، وَحَلْقُ العَانَةِ، وَانْتِقَاصُ المَاءِ» قَالَ الرَّاوِي: وَنَسِيْتُ العَاشِرَةَ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ المَضمَضَةُ. قَالَ وَكِيعٌ - وَهُوَ أَحَدُ رُواتِهِ - انْتِقَاصُ المَاءِ: يَعْنِي الاسْتِنْجَاءِ.

رواه مسلم[1].

(البَرَاجِم) بالباء الموحدةِ والجِيم: وهي عُقَدُ الأَصَابِعِ.

وَ (إِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ) مَعْنَاهُ: لَا يَقُصُّ مِنْهَا شَيْئًا.

الشرح:

(قَصُّ الشَّارِبِ) تقدم.

(وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ) قال النبي ﷺ: «اعفوا اللحى»، «وفروا اللحى، خالفوا المشركين».

(وَالسِّوَاكُ) تقدم.

(وَاسْتِنْشَاقُ المَاءِ) الاستنشاق والاستنثار، الاستنشاق: إدخال الماء إلى الأنف، والاستنثار: إخراجه.

(وَغَسْلُ البَرَاجِمِ) هذه التي في أعلى عقد الأصابع، تُغسل وتنظف.

هذا الحديث ضعيف، انتقد على مصعب بن شيبة، ضعيف، لكن لكثير من ألفاظه شواهد، الاستنجاء كان النبي ﷺ يستنجي، استنجى بالحجارة واستنجى بالماء، ومن ذهب إلى كراهة الاستنجاء بالماء لا دليل معه، الدليل خلاف قوله.

(١) حديث رقم: (٢٦١).

ذهب الإمام مالك إلى أن النبي ﷺ لم يستنج بالماء، وهذا قول غير صحيح، الحديث في الصحيحين، إنما الجمع بين الماء والحجارة لم يثبت عن النبي ﷺ، وهكذا ما جاءت من الأحاديث على أن أهل قباء كانوا يجمعون بين الماء والحجارة لم يثبت، الثابت أنهم كانوا يستنجون بالماء.

(إِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ مَعْنَاهُ: لَا يَقُصُّ مِنْهَا شَيْئًا) لا من طولها ولا من عرضها، كيف بالذي يحسها ما يجعل منها شعرة؟

١٢٠٥ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **عن النبيِّ** ﷺ **قَالَ: «أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى». متفقٌ عَلَيْهِ[1].**

الشرح:

وجاء في بعض الروايات: «**خالفوا المشركين**».

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).

٢١٦ - باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وَمَا يتعلق بِهَا

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **[سورة البقرة: ٤٣].**

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ **[سورة البينة: ٥].**

وقال تَعَالَى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ **[سورة التوبة: ١٠٣].**

الشرح:

والآيات كثيرة، قد جُمع بين الزكاة والصلاة في كثير من آي القرآن حتى قال النبي ﷺ: «**أخوان نصيران**»، أي: الزكاة والصلاة.

وفُرضت الزكاة في مكة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وحُددت أنصبتها في المدينة، في السنة الثانية من الهجرة، وبعث النبي ﷺ السعاة لجلبها في السنة التاسعة من الهجرة.

إذًا كان التشريع مع الزكاة على ثلاث مراحل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة فصلت: ٦-٧]، فدلت على أنها مفروضة في مكة.

وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، وتاركها جحودا يكفر، وتاركها بخلا لا يكفر؛ لما يأتي من حديث أبي هريرة: «**حتى يرى منزله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»، وهو مخصص لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [سورة التوبة: ١١].

تارك الصلاة كافر كفر أكبر مخرج من الملة لهذه الآية، ليس بأخ لنا، فإن قالوا: والزكاة؟ قلنا: الزكاة تخرج بالحديث.

وقول أهل العلم: أنه إذا اجتمع أهل محلة على منع الزكاة تعين على ولي الأمر أن يقاتلهم على ذلك، وانظر إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين منعوا الزكاة قاتلهم: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، الزكاة حق المال.

وهي دالة على التكافل الاجتماعي، الاشتراكية سلبت الناس أموالهم بدعوى: أن الناس سواسية في الأموال، والرأسمالية سلبت الفقراء حقوقهم بدعوى: أن كل حر في ماله، يكسب كيف شاء، أهم شيء يؤدي الضرائب للدولة، تصدق ما تصدق، زكى ما زكى، هذا ليس إليه.

والإسلام هو العدل الخيار في هذا الباب وفي غيره من الأبواب، كان للأغنياء أموالهم، وكان للفقراء حظهم، إن كان من المال الصامت وما إليه ربع العشر إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول، وإن كان من الحبوب وما إليه العشر إذا كان سقيه بماء المطر، أو نصف العشر إذا كان سقيه بالسانية.

وإن كان في بهيمة الأنعام فقد وُضحت وبينت في أمر يعيش فيه الفقير، يستطيع أن يقضي دينه، ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة التوبة: ٦٠]، ويعالج بها مريضة، بل ويبني بها بيته، يجوز أن يُعطى الفقير مالا يستطيع أن يبني به بيتا، أن يشتري به سيارة.

إنما الآن لجهل الناس إذا معه مبلغ من المال يقسم هذا خمسة آلاف يمني، ما تشتري له حبة دجاج هذه الأيام، وذاك خمسة آلاف، وذاك خمسة آلاف، ما تفعل لهم شيئا.

بينما لو أعطى هذا الفقير مبلغا يتزوج به وذاك الفقير مبلغا يشتري به سيارة يعمل بها على أبنائه، وذاك الفقير مبلغا يبني به بيتا، كان الشأن غير، لكن تحيلات في باب الزكاة تؤدي إلى حرمان المستحقين للزكاة، نسأل الله السلامة والعافية.

وإلا زكوات المسلمين ليست بالقليلة، كم هي عروض التجارة؟ بعضهم ربما زكاة عروض تجارته بالملايين، وبعض الشركات التي هي فوق الترليونات ربما تجد زكاة عروض تجارتها كذا وكذا بالدولارات، وهكذا زكاة الذهب، زكاة الفضة، والله المستعان.

فباب الزكاة دال على التكافل، ودال على عظيم شأن الإسلام، ودال على رحمة الإسلام، ودلالاته على فضل الإسلام وعلى ما فيه كثيرة جدًّا.

١٢٠٦ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

بني الإسلام على خمسة أركان عظام، وقواعد جسام، وإلا بعض أهل العلم يرى أن الجهاد في مراتب أركان الإسلام كالشيخ ابن عثيمين وغيره، إلا أن هذه المراتب تتعين على غالبية الناس، والجهاد قد يكون له وقت جهاد السنان، وقد يكون في بعض الأوقات غير وارد.

انظر إلى النبي ﷺ، مكث ثلاثة عشر سنة في مكة قبل أن يُفرض الجهاد، وهكذا قريب سنتين في المدينة، بينما الصلاة فرضت في مكة، والزكاة، فرضت في مكة،

(١) انظر الحديث (١٠٧٥).

والصوم مبدؤه في مكة، والحج حج النبي ﷺ في مكة، مع أنه فُرض في السنة الثامنة أو التاسعة، على خلاف بين أهل العلم.

(شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) التوحيد؛ لأنه قد جاء تفسيرها بذلك في حديث معاذ بن جبل: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله**»، وفي رواية: «**إلى أن يعبدوا الله**»، وفي رواية: «**إلى شهادة أن إله إلا الله**».

(وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) قرنها الله بالشهادة له بالوحدانية، وهذا معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ٤].

وقوله: (عَبْدُهُ) رد على الغلاة الذين يرفعونه إلى مراتب الألوهية، فهو عبد لا يُعبد.

(وَرَسُولُهُ) رد على الجفاة الذين يزعمون أنه رجل ذكي استطاع أن يجمع الناس على هذه المبادئ والقيم، فهو عبد لا يعبد، ورسول لا يُكذب.

(وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) تقدم الكلام عليها.

(وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) المفروضة، على ما تقدم الإشارة، وتكون في تسعة أصناف:

في النقدين: الذهب والفضة، وما يقوم مقامهما.

وفي الغراس: الزبيب والتمر.

وفي الحبوب: الحنطة والشعير.

وفي بهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم.

وأما العسل فاختُلف فيه، وعلى القول بتصحيح الحديث: إنما الرجل أهدى للنبي ﷺ من نفسه، لا أنه يجب الزكاة فيه، وكثير من أهل العلم ذهب إلى أن تكون الزكاة في كل خارج من الأرض إذا بلغ النصاب، والصحيح الأول.

وليس هذا الموطن موطن أحكام الزكاة، إنما هنا موطن فضائل، القراءة في (رياض الصالحين) قراءة الفضائل، وأما ما يتعلق بالمسائل الفقهية هذه في كتب الفقه.

(وَحَجِّ البَيْتِ) ويكون في أيام مخصوصة، وأشهره ثلاثة: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، لكن أيامه خمسة: يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق ثلاثة، لكن يصح بيومين.

(وَصَوْمِ رَمَضَانَ) هذا رواية البخاري التي سار عليها ورتب صحيحه عليها، وإلا فقد قُدم الصوم على الحج.

١٢٠٧ - وعن طَلْحَةَ بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رسولِ الله ﷺ فَإِذا هُوَ يَسأَلُ عَنِ الإِسْلَام، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «خَمْسُ صَلَواتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «لَا، إِلاَّ أَنْ تَطَّوَّعَ»، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «وَصِيامُ شَهْرِ رَمَضَانَ»، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلاَّ أَنْ تَطَّوَّعَ»، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رسول الله ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلاَّ أَنْ تَطَّوَّعَ»، فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

فيه طلب العلم، وفيه السؤال عن شرائع الإسلام، وفيه تعليم الجاهل والرفق به، والصبر عليه، انظر إلى هذا الأعرابي يرفع صوته: يا محمد في رواية قالوا له: اخفض

(١) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

من صوتك إنك تنادي رسول الله ﷺ، قال: والله لا أخفض، ومع ذلك النبي ﷺ لم ينهره، ولم يغضب عليه، كان صابرا ﷺ.

(يَسأَلُ عَنِ الإِسْلَام) أي: عن شرائعه العظام، وإلا الإسلام كل مسائله تدخل فيه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٨]، ولكن يسأل عن الأمور التي تركها كفر، الأمور المتعينة، والنبي ﷺ كان يجيب كل واحد على ما يحتاج، ربما يطلعه الله على حاله.

فربما قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**أن تطعم الطعام، وتقرئ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف**»، والآخر يقول: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، وهذا قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ ذكر له الصلاة والزكاة والصوم؛ لعلمه بحاله، جاء من الأعراب يسأل على الإسلام، ما يسأل عن الأمور اليسيرة، بينما رجل يأتيك وهو عندك ليل نهار، تراه يصلي، يصوم، يحج، يعتمر، محقق للتوحيد، وربما يسألك ما الإسلام؟ تقول له: رد السلام، إطعام الطعام، صلة الأرحام، الصلاة بالليل والناس نيام، ونحو هذه الأمور.

فلا بد أن يكون المجيب فقيها، حيث يُعلم الناس صغار العلم قبل كباره، ويعلم المهمات.

وفيه أن المتعين على العبد الفرائض، أما النوافل فهي تطوع وزيادة، ولكن يُتم بها الفرائض يوم القيامة، فالإنسان يُذم على ترك الفرائض، وكذلك يحض على الإكثار من النوافل.

قوله: (وَاللهِ لَا أُزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ) من سيستطيع هذا منا الآن؟ لا يقول قائل: أنا أسلك مسلك هذا الأعرابي، ربما أنت طالب علم ما تحضر إلا والإمام في التشهد، وربما أدركت بعض الركعات، وربما فاتك شيء، أما هذا يقسم بالله لا يزيد

ولا ينقص، معناه: يصلي الصلاة كما فُرضت وكما شرع، ويؤدي الصيام كما فرض وشرع.

«**رب مصل ليس له من صلاته إلا السهر، ورب صائم ليس له من صيامه إلا التعب**»، أما هذا وعد النبي ﷺ بأن يكون على أكمل حال، هذا قد لا يستطيعه جماهير المسلمين؛ لضعف حالهم وضعف علمهم وضعف استقامتهم.

(**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**) جاء في رواية: «**أفلح وأبيه إن صدق**»، وهذه شاذة، شذ بها إسماعيل بن جعفر، وقيل: تقديرها: أفلح ورب أبيه إن صدق، وقيل: أفلح والله، إنما تصحفت، لكن الصحيح أنها شاذة.

١٢٠٨ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ بعث مُعاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رسول اللهِ، فإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أن اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

معاذ بن جبل، أبو عبد الرحمن الأنصاري.

والمراد باليمن: ما بعد نجران وما إليها، لأنه لما بعث إلى نجران قال: بعث إلى نجران، بعث إلى منطقة كذا، لكن لما بعث هؤلاء إلى زبيد والجند وعدن وإلى غير ذلك قال: إلى اليمن، بهذا النص، مع أن كل ما هو يمين الكعبة يمن، وينسب أبو هريرة إلى اليمن وهو من دوس، ودوس من زهران، وزهران من أرض الحجاز.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

وهكذا كثير من الأمور، لكن هذا الذي يراد به الحديث؛ لأن معاذا نزل الجَنَد، وكان مخلافه عبارة عن هذه المناطق الوسطى؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى الجند، بعث إلى زبيد، بعث إلى نجران، بعث إلى صنعاء، وهكذا الذين دخلوا إلى نجران بعضهم بعثهم إلى همدان، كعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة إلى نجران.

وأما صنعاء فتولاها باذان، أسلم وأبقاه النبي ﷺ عليها.

(ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) إلى التوحيد، وقد تقدم.

(وَأَنِّي رسول اللهِ) لا بد من الإقرار لله بالوحدانية، وللنبي ﷺ بالرسالة، وإلا لا ينفع ولا يدخل الإنسان في الإيمان إلا بذلك، أما النظر والقصد إلى النظر هذا دين المعتزلة، وأما أهل الإسلام: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**».

(فإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أن اللهَ تَعَالَى، افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ) التدرج في البلاغ، العناية بالدعوة، البدء بالأهم فالأهم، التوحيد وما إليه، ثم الصلاة وما إليها.

(صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ): الزكاة، من أسمائها الصدقة، ومن أسمائها النفقة، ومن أسمائها الزكاة، والقرض، وغير ذلك من الأسماء الشرعية.

أخذوا من قوله: **(تُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)** أنها تُرد على فقراء البلد، والصحيح أن اللفظ أعم، **(تُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)** أي: فقراء المسلمين، **(تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ)**: من أغنياء المسلمين.

والأصل أنها تكون في البلد، إلا إذا احتاجوا أن ينقلوها إلى غيره لا حرج.

وقد توسعنا في شرح هذا الحديث في شرحنا على (عمدة الأحكام) ما يغنى عن الإعادة.

١٢٠٩ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِني دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُم عَلَى الله». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

هذا الحديث فيه دليل على أن أول ما يجب على الإنسان المكلف شهادتين: يجب عليه أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله ﷺ.

وفيه رد على المعتزلة الذين أوجبوا عليه النظر أو القصد إلى النظر، وقد رد عليهم ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: أرأيتم لو أن رجلا جاء يريد الإسلام، فقلتم له: لا نقبل منك حتى تذهب وتنظر وتتفكر، ويوصلك عقلك إلى إثبات الإسلام، ونحو ذلك، إن مات في هذه الأوقات ماذا تسمونه؟ وماذا تحكمون عليه؟ إن حكمتم عليه بالإسلام كيف يحكم بالإسلام على رجل ما قد أسلم؟ ما شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإن قلتم: كافر أنتم الذين صددتموه ورددتموه، وإلا هو قد جاء يريد أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

(إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلَامِ) هناك حقوق أخرى، قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، الحديث عن عائشة، وجاء عن ابن مسعود في الصحيح، وجاء عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا.

وهكذا أمور أباح الإسلام القتل فيها، قتل الساحر، قتل اللوطي، قتل الجاسوس للكافرين على المسلمين، كذلك قتل مستحل المحرمات، أو الكافر، قتل المرتد «من

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

بدل دينه فاقتلوه»، قتل الزاني المحصن، في أمور ذكرناها في كتابنا (أحكام قتل نفس المعصومة).

وهذا الأمر يعود إلى ولي أمر المسلمين، ليس لكل أحد؛ لأنه لو تُرك الأمر على عواهنه سيقع فساد عريض، هذا يقتل من أراد، وذاك يقتل من أراد، لكن المسألة تعود إلى الحكم الشرعي.

قد بوب البخاري: باب من أخذ حقه دون السلطان، وجوز بعض أهل العلم إذا قتل القاتل بعينه بما لا يؤدي إلى فتنة إذا لم يستطع أخذ حقه، لكن الصحيح أن هذا قد يؤدي إلى الثارات وإلى كثير من الفتن، والله المستعان.

وفي هذا الحديث فضل هذه العبادات الجليلات، تعصم دم الإنسان، ويصير معصوم الدم والمال، «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه**»، وهذا من فضل الإسلام العظيم.

١٢١٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بين الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا[1] كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رسولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

---

(١) وفي رواية: عناقا.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).

الشرح:

(وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ) كفروا إلا ثلاثة مساجد بقي الناس يصلون فيها: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد جُواثى بالبحرين.

وهذا الحديث قد جاء عن جابر، وعن ابن عمر، وعن عمر، وعن أبي هريرة، وعن غيرهم.

هذا الحديث دليل على وجوب الزكاة، إذ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يعذرهم في تركها، بل قاتلهم على منعها؛ لأنها فريضة الله، وحق للفقراء والمساكين والأصناف الثمانية.

كثير من الناس الآن يرى أنه يتفضل بالزكاة، تفضلا، لا، الزكاة هي حق الفقراء والمساكين، أنت بحبسها بعد تعينها تعتبر ظالما، تعتبر غاشما، وربما إذا أكلتها ولم تصرفها في موطنها كنت من المتخوضين في مال الله بغير حق، والنبي ﷺ يقول: «**إن أقواما يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**».

قوله: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) أمره الله، ويقاتل غير المسلمين.

(حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ): يدخلوا في الإسلام.

(فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ) ولا يُفهم من هذا أنه من قال: لا إله إلا الله يكفي، لا، إنما هذا ابتداء، لا إله إلا الله تعصم الدم ابتداء، رجل كافر لقيه المسلمون قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يكفون عنه، فإن قتلوه ودوه، وأثموا على قتله، وقد عاتب الله عَزَّوَجَلَّ من قتل الراعي بسبب أنهم قالوا: إنما قالها خوفا على غنمه ونحو ذلك، والنبي ﷺ عتب على أسامة بن زيد لما قتل ذلك الذي قال: لا إله إلا الله.

فتنفعه ابتداء، ثم بعد ذلك ننظر صلى الحمد لله، ما صلى يُقتل بتركه للصلاة، جحد الزكاة يُقتل لجحده للزكاة، ويُعلم أنه إنما قالها ليصد عن نفسه، أما ابتداء نافعة له، عاصمة له.

وفيه أن شرائع الإسلام شأنها واحد، من حيث أن الله فرضها، فلا يجوز أن يُمنع بعضها وينتقي الإنسان ما شاء منها.

وكثير من الدجاجلة ممن يدعي النبوة وغير ذلك تجد عندهم الانتقائية، فمثلا يتجاوز عن الناس في بعض أشياء، فمسيلمة الكذاب وعبهلة العنسي، وهكذا ناصر اليماني، هذا ناصر محمد اليماني صاحب صنعاء، دجال صنعاء، ومن إليهم، كل دجال له انتقائية في أمور الإسلام.

بينما الدعاة حقا وصدقا لا يجوز لهم أن يتصرفوا إلا في حدود ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ وشرع وبين وفرض، والله المستعان.

١٢١١ - وعن أَبي أَيُّوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بعمل يُدْخِلُنِي الجَنَّة، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(تَعْبُدُ اللهَ): توحده.

(وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) لا شرك أصغر ولا أكبر، وإن وقعت فبادر بالتوبة.

(وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ) أي: المكتوبة المفروضة.

(وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ) أي: المكتوبة المفروضة.

---

(١) انظر الحديث (٣٣١).

(وَتَصِلُ الرَّحِمَ)؛ لأن قطيعة الرحم من أسباب لعن الله، ومن أسباب قطيعة الله للعبد، وقد تقدم الكلام.

وانظر إلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كيف كانوا يسألون: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، أخبرني بعمل يباعدني من النار، بينما حال الناس الآن ما أحد يسأل هذا السؤال، كثير منهم ابتلاه الله عَزَّوَجَلَّ بالجهل المركب، ينكر ما دلت عليه السنة الصحيحة، ويقول لك: هذا ليس في القرآن، هو جاهل، الله أعلم يعرف يتوضأ أم لا، ويقول لك: هذا ليس في القرآن.

يا من أنت أسوء من الأتان هل تعرف أن السنة مفسرة للقرآن ومبينة له وموضحة له ومجلية لشأنه، الله عَزَّوَجَلَّ يقول لنبيه: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

قال حمار الحكيم يوما: لو أن صف الدهر كيف أركبْ
فإنني جاهل بسيطٌ وصاحبي جاهل مركبْ

١٢١٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النبيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أعرابي، لا إله إلا الله، ولذلك استحقوا الجنة، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبشرهم بها وهم يمشون على الأرض.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

(لا أزيدُ) وفي نفس الوقت لن أنقص، نحن الآن في نقص وإن صلينا النوافل إلا ما رحم الله، أما هذا قال: أنا سألتزم الفرائض ولن أزيد عليها، وقد جاء في بعض الروايات: ولن أنقص منها، فمعناه أنه أدى الواجب، ولزمه وحافظ عليه، فاستحق المكرمة، وصار من أصحاب الميمنة، وممن تواصى بالحق وتواصى بالمرحمة.

١٢١٣ - وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بايَعْتُ النبيَ ﷺ عَلَى إقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وقد تقدم الكلام على جميعه، زد على ذلك: بذل النصيحة، «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، أخرجه مسلم عن أبي رقية تميم الداري.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نوع: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٢]، وقال عن هود: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [سورة الأعراف: ٦٨]، وقال عن صالح: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [سورة الأعراف: ٩٣].

١٢١٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا في نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، في يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

قيل: يَا رسولَ الله، فالإبلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يومَ وِرْدِهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يومُ القِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»

قِيلَ: يَا رَسولَ اللهِ، فَالبَقَرُ وَالغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ، تَنْطَحُهُ بقُرُونها، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، في يومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة حَتَّى يُقْضى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

قيل: يَا رسول الله فالخَيْلُ؟ قَالَ: «الخَيلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتي هي لَهُ وِزْرٌ: فَرَجُلٌ ربطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتي هي لَهُ سِتْرٌ: فَرَجُلٌ رَبطَهَا في سَبيلِ الله، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ في ظُهُورِهَا، وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتي هي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبطَهَا في سَبيلِ الله لأَهْلِ الإِسْلَامِ في مَرْجٍ، أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ المَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَات، وكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَات، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيهَا إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ».

قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ فالحُمُرُ؟ قَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الحُمُرِ شَيْءٌ إِلاَّ هذِهِ الآية الفَاذَّةُ الجَامِعَةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة: ٧-٨]». متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ مسلم(١).

الشرح:

هذا حديث عظيم، بين فيه رسول الله ﷺ بعض ما يجب فيه الزكاة، من زكاة الذهب والفضة، وما في بابهما من الأموال، وهكذا زكاة الإبل والبقر والغنم، وهكذا زكاة المال الصامت داخلة في زكاة الذهب والفضة، وزكاة حلي النساء إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول داخل في زكاة الذهب والفضة، وهكذا عروض التجارة داخل في الزكاة لمن بلغ ماله النصاب وحال عليه الحول.

والخيل والحمير ليس فيها زكاة، إلا أن فيها أجور لمن رباها؛ ليجاهد عليها في سبيل الله، لمن كان متواضعا بها، غير متخيل أو مترفع، وانظر كم الأجور في ذلك، لرجل وزر من ربطها ضد أهل الإسلام، لرجل أجر من ربطها لنصرة الإسلام، يعني ما أكلت ما شربت ما جرت ما فعلت كله أجور.

قوله: (مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [سورة فصلت: ٦-٣٥].

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٩٨٧).

قال العلماء: تكوى جباههم؛ لأن البخيل حين يسأل يبدأ وجهه في التغير، ثم يلوي جنبه، ثم يعرض بظهره، فيكون الجزاء من جنس العمل.

بهذا الحديث استدل العلماء على أن تارك الزكاة بخلا لا يكفر؛ لأن النبي ﷺ قال: **(فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ)** فلو كان كافرا ما هناك إلا سبيل واحد، وهو سبيل النار، وأما تارك الصلاة سواء تركها جحودا أو تركها تكاسلا فهو كافر؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [سورة التوبة: ١١]، مفهومه: من لم يفعل ذلك ليس بأخ لنا في ديننا.

في هذا الحديث من الفوائد: أن الإنسان يؤجر على نيته الصالحة، وقد قيل: نية المؤمن خير من عمله، أي: خير من عمله الذي بدون نية، أما العمل مع النية فهو أفضل من النية المجردة.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن كل خير مكتوب لك، وكل شر مكتوب عليك.

وفيه الاستدلال بالعموم، لو قال لك رجل: هل لي أجر في رفع هذه الحجرة من الطريق؟ تقول: نعم، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة: ٧-٨]، هل علي إثم في وضع القمامة في الطريق؟ نعم، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة: ٧-٨]، إلى غير ذلك.

تقدم أيضا أن فرض الزكاة يعتبر من التكافل الاجتماعي، ومن ميزة الإسلام، وعظيم فضله.

٢١٧ - باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وَمَا يتعلق بِهِ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ **[سورة البقرة: ١٨٣] إِلَى قَوْله تَعَالَى:** ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ **[سورة البقرة: ١٨٥].**

وَأما الأحاديث فقد تقدمت في الباب الَّذِي قبله.

الشرح:

الصيام فُرض في السنة الثانية من الهجرة، وكان مبدأ فرضه: أن الله فرض عليهم صيام يوم عاشوراء، ثم فرض الله صيام رمضان.

وفضل الصيام عظيم، من أسباب دخول الجنة، وأسباب تكفير الذنوب، وأسباب رفع الدرجات، وسيأتي أنه لله، فيجازي عليه الجزاء العظيم.

وكان فرضه ابتداء على التخيير، من شاء صام ومن شاء أتى بكفارة عن صيامه، ثم فرضه الله عَزَّوَجَلَّ واجبا، ورخص للمريض والمرضع والحبلى والمسافر في الفطر، ثم يقضي من أيام أخر.

ثم كان شأنه أن من صام ثم نام قبل أن يطعم طعاما لا يجوز له أن يطعم إلا الليلة الثانية في المغرب، حتى سقط أحدهم بالنهار، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧].

ثم كان الشأن أن من صام رمضان لا يجوز له غشيان زوجته بالليل، حتى أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧].

١٢١٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَومُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطره، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ روايةِ البُخَارِي[1].

وفي روايةٍ لَهُ: «يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يضاعَفُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ».

الشرح:

هذا حديث عظيم، يدل على عظيم شأن الصيام وعلو منزلته، حيث أن الله عَزَّوَجَلَّ أضافه إلى نفسه؛ لأنه عمل يقوم على الإخلاص، يستطيع الإنسان أن يدخل حماما أو غرفة ويأكل ويشرب ويخرج يقول للناس: إني صائم، لكن لا، يمنعه إيمانه وتقواه أن يكون كاذبا على الله ثم يكذب على غير الله عَزَّوَجَلَّ.

حتى الطفل والله الغالب فيهم، إلا إذا كان في مبدأ شأنه، وإلا يصوم، وتحاول معه أمه تغالطه بشيء من الشراب، وشيء من الأكل، وتقول له: أنت صائم، ما يرضى، فهذه عبادة عظيمة، قائمة على الإخلاص، ولما كان شأنها كذلك أضيفت إلى الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤) و (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ) هذا حديث قدسي.

(كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَام) يعني أضيف إلى الله إضافة تشريف وإضافة محبة.

(فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) يعني جزاء خارج المضاعفة، خارج الحسنة بعشر أمثالها.

(وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ) يعني تمنع الإنسان من كثير من الآثام، ولذلك تجد الناس في رمضان تقل شرورهم، ويكثر خيرهم، الجُنة مثل التُّرس والدُّرْقة والدرع، يعني تمنع صاحبها كثيرا من الآثام.

(فَإِذَا كَانَ يَومُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ): يأتي أهله، وليس من ذلك التقبيل ونحو ذلك، لكن عليه أن يملك إربه.

(وَلَا يَصْخَبْ): يسب، ويرفع صوته، فعليه أن تصوم جوارحه كما صام عن الطعام والشراب.

(فإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ) قيل: يقول: إني صائم بلسان المقال، إني صائم، إني صائم، ولن أتعرضك، ولن أتعرضك، أو ليقل بلسان الحال يعرض عنه.

(وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) الحلف بدون استحلاف.

(لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ) على ظاهر الحديث، ونؤمن بذلك، ونثبت لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ.

بهذا اللفظ استدل بعض العلماء على منع السواك للصائم، هذا كلام غير صحيح؛ لأن الخلوف ليس هو رائحة الفم، هذه الرائحة التي تكون كريهة في الفم ليست هي الخلوف، الخلوف يخرج من المعدة بسبب خلوها، فحتى لو تسوك بقي خلوفه.

(لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا): فرحة دنيوية، وفرحة أخروية.

(إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطره) يفرح أنه صام لله عَزَّوَجَلَّ ثم أفطر، سواء كان فطره عند الغروب أو فطره بالفطر عيد الفطر.

(وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) حين يلقى جزاء الصوم مضاعفا موفرا.

(يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي) فيه أن المفطرات ثلاثة: الأكل والشرب والجماع، وما في حكمها.

قوله: (شَهْوَتَهُ) استدل به بعض أهل العلم على أن فاعل العادة السرية مفطر؛ لأنه ما ترك شهوته لله، من فعله وهو صائم.

(وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا) «إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة»، كما تقدم من حديث ابن عباس.

وانظر دليل على أن الصيام يخرج عن هذا «الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»، يعني: يختلف من إنسان إلى إنسان، قد تصلي أنت وتكتب لك الصلاة عشر أمثالها، وغيرك يصلي وتكتب له خمسين مثلها، وغيرك يصلي وتكتب له خمسمائة مثلها، وغيرك يصلي وتكتب له سبعمائة مثلها، إلا الصوم، الصوم فوق ذلك.

١٢١٦ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رسولَ اللهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرورةٍ، فهل يُدْعى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأبوَابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

الشرح:

هذا حديث عظيم، فيه فضل الإنفاق في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ من شيئين مختلفين أو متماثلين، أو غير ذلك.

(نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ) يوم القيامة، وهي أبواب ثمانية، والنار لها سبعة أبواب.

(يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيرٌ) هذا أحسن من أن تنادي الذي لا تعرفه: يا محمد، كثير من الناس الآن ينادون من لا يعرفون: يا محمد، هذا ما هو صحيح، لكن قل: يا عبد الله لهذا الحديث، وللحديث الآخر: «**أن رجلا سمع سحابة: اسق حديقة فلان، قال: يا عبد الله ما اسمك؟ قال فلان للاسم الذي سمعه من السحابة**».

لأنه عبد الله، سواء كان مسلما أو كافرا، إن كان مسلما عبودية خاصة، وإن كان كافرا عبودية عامة، أما يا محمد ما اسمه محمد.

وفيه أيضا امتهان لهذا الاسم الشريف، الاسم الدال على المحامد، بل إن بعضهم ربما يسخر من بعض الحيوان ويقول له: يا محمد، نعوذ بالله.

(فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ) وليس معنى ذلك أنه يترك بقية الأعمال، لكن يكون في صلاته أكثر اجتهادا من غيرها.

(وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ) مع أنه يصلي، إذا كان ما يصلي هو كافر، ما ينفعه جهاده.

(وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ) حتى قالوا: من صام رمضان وأتبعه بالأيام الفضليات يدخل في هذا الفضل، ولا شك أن من يكثر أكثر فله أجر أكثر، كمن يصوم يوما ويفطر يوما، ومن يصوم الاثنين والخميس، ويصوم ثلاثة أيام من كل شهر.

(وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ) الزكاة، أو الصدقة أيضا المستحبة.

(قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأبي أنْتَ وَأُمِّي) فيه التفدية لرسول الله ﷺ.

(فهل يُدْعى أحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأبوَابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ) يعني: من أتى بجوامع الخير.

(وَأرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ) يعني ليس فقط أبو بكر الذي يُدعى، كثير الذين يرجى أن يدعوا من هذه الأبواب.

١٢١٧ - وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أحدٌ غَيْرُهُمْ، يقال: أيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا دليل على فضل الصيام، وعلى أن الإنسان يحافظ على هذا الباب أن يغلق.

١٢١٨ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

قيل في معنى الحديث: من صام يوما تطوعا في الجهاد.

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

وقيل في معناه أيضا: من صام يوما تطوعا ولو لم يكن في الجهاد، فما دام مخلصا لله عَزَّوَجَلَّ فهو في سبيل الله، وفضل الله واسع، وأجره عظيم.

(بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) معناه: أنه يقرب من الجنة، فكلما زادت العبادة قربت من الجنة، وكلما زادت المعاصي قربت من النار، وفي الحديث: «النار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والجنة مثل ذلك»، أو العكس.

١٢١٩ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

فيه فضيلة الاحتساب، والنية الصادقة، وأن الأعمال لا تنفع إلا من كان مخلصا لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥].

وفيه أن الذنوب التي تُغفر المتقدمة، أما المتأخرة إنما هي لرسول الله ﷺ.

وفيه أن الذي يُغفر هو الصغائر؛ لأنه قد جاء حديث: «ما لم يأت كبيرة».

١٢٢٠ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

فيه فضيلة شهر رمضان المبارك الكريم، هذا الشهر الذي أنزل الله فيه القرآن، هذا الشهر الذي فيه ليلة خير من ألف شهر، شرع الله قيامه وفرض صيامه.

(إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ) أي: الشهر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩).

(فُتِحَتْ أَبْوَاب الجَنَّةِ) على ظاهرها، بعضهم قال: دلالة على كثرة طرق الخير.

(وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ) على ظاهرها، قال بعضهم: إغلاق طرق الشر.

(وَصفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ) على ظاهرها، لكن المراد بهم المردة والعفاريت؛ لأن القرين لا يصفد، وقد جاء مصرحا به في بعض المواطن.

وقد يقول بعضهم: كيف نفعل السيئات والشياطين قد صفدت؟ نقول: هناك نفس أمارة بالسوء، وهناك كذلك رفقة السوء، إلى غير ذلك، وهناك قرين السوء.

١٢٢١ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإِنْ غُبِيَ عَلَيْكُمْ، فَأَكمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ». متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم: «فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا»[1].

الشرح:

هذا الحديث ذكره المصنف؛ لبيان بعض أحكام رمضان، وأن دخوله يثبت برؤية الهلال، ويكفي برؤية الهلال واحد، قال ابن عمر: تراءى الناس الهلال، فرأيته، فأخبرت النبي ﷺ، فصامه وأمر الناس بصيامه.

وأما الفطر فجمهور العلماء على أنه لا يثبت إلا بشاهدين.

وهكذا هل يلزم صيام الأمة جميعا برؤية واحد؟ هذا مذهب الحنابلة، والصحيح اختلاف المطالع، وهو الذي عليه جمهور أهل العلم، قال ابن عباس: فلا نزال نصوم حتى نرى الهلال، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

وهل يشترط في الرائي أن يكون رجلا؟ لا يشترط، بل تصح رؤية العبد، والأمة، والمرأة، والرجل، والخنثى، أهم أن يكون عدلا في شهادته وفي قوله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١).

(فَإِنْ غَبِيَ عَلَيْكُمْ) أي: بالسحاب أو لم تروه؛ لأن غروبه كان قبل غروب الشمس.

(فَأكمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ) يوما، وهكذا في الفطر؛ للرؤية الأخرى: (فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا).

ولا يجوز صيام يوم الشك، من صام اليوم الذي يُشك فيه فقد عصى أبا القاسم، جاء من حديث عمار.

٢١٨ - باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذَلِكَ في العشر الأواخر منه

كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يحسن الحال، ويحسن المقال، وتحسن الفعال، انظر لما كان شهر رمضان شهر يحسن فيه الحال تصفد الشياطين، تفتح الجنان، تغلق النيران، تكثر الطاعات والقربات، تصلح الأقوال، لا ينطق إلا خيرا، تصلح الفعال، يكثر جوده وكرمه، وبره وخيره.

١٢٢٢ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبرِيلُ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(كَانَ رسول الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ) حتى قيل فيه:

مـــا قـــال لا إلا في تشـــهده ... لـــولا التشـــهد كانـــت لاؤه نعـــمُ

وقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا فقال: لا، سئل قميصه الذي يلبسه فأعطاه السائل، سئل الغنم بين الجبلين أعطى السائل، مازالوا يسألونه حتى أخذ منه الشوك ويقول: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم**»، وكان الناس يسلمون لكرمه: «**إن هذا الرجل يعطي عطاء من لا يخشى الفقر**».

فلا يليق بمن يسير على سنته أن يكون بخيلا، ولا يصلح ولا يستقيم، بل لا بد أن يكون كريما جوادا، باذلا محسنا؛ لأن طبيعة الناس محبة الكرماء، محبة العظماء،

---

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

والبخيل يمقته حتى أهله، وابنه، وجاره، وصاحبه، بل ربما مقت نفسه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [سورة الحشر: ٩].

أنـــت للمـــال إذا أمســـكته فـــإذا أنفقتـــه فالمـــال لـــك

هكذا يقول الشاعر.

(وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ) هو ذو جود طول العام، لكن رمضان أكثر؛ لأنه موسم خير.

(حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ) فيه فضيلة مجالسة الصالحين، ربما تكون من أصحاب الصلاح لكن إذا لقيت أهل الصلاح ازددت صلاحا.

(وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ) فيه فضل المدارسة.

(فَلَرَسُولُ الله ﷺ حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبرِيلُ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ) الريح المرسلة بالمطر، ربما تمر على الأودية والشعاب، والآكام والضراب والجبال، سبحان الله! كم يستفيد منها الناس والعباد! فهكذا رسول الله ﷺ أجود من هذه الريح، وأكرم من هذه الريح.

١٢٢٣ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْر أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المِئْزَرَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(كَانَ) تفيد اللزوم والاستمرار.

(إِذَا دَخَلَ العَشْر): العشر الأواخر من رمضان، ودخولها بغروب شمس يوم العشرين.

---

(١) انظر الحديث (٩٩).

(وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ) تسارع في الخير، أما هذا الزمان ربما تبقى المرأة على الشاشة، على الواتساب، وعلى الإنترنت، ولا تبالي لا بقيام، ولا بقراءة قرآن، وربما زوجها لا يقول لها: يا امرأة صلي لك ما قدر الله وما كتب الله، والله لأن تصلي ركعة خير لها، فإن صلت ثلاثا آجر لها، فإن صلت خمسا أعظم لها في الأجر، وإن صلت إحدى عشرة نالت الفضل.

(وَشَدَّ المِئْزَرَ): كناية عن ترك جماع النساء؛ حتى يتفرغ للعبادة.

٢١٩ - باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلاَّ لمن وصله بما قبله أَوْ وافق عادة لَهُ بأن كَانَ عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه

الصحيح: أنه يجوز الصيام، إلا لمن يصوم من باب الاستقبال والاحتياط، أما من كان يصوم صوما فليصمه، وأما حديث «**إذا انتصف شعبان فلا تصوموا**» حديث ضعيف لا يثبت، أعله أهل العلم.

١٢٢٤ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبيِّ** ﷺ **قَالَ: «لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُم رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَومَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ». متفقٌ عَلَيْهِ**[1].

الشرح:

هذا الحديث دليل على ضعف ذلك الحديث، يعني المنهي عنه التقدم بيوم أو يومين، أما نصف شهر، وما زال النبي ﷺ يصوم شعبان كله أو شعبان إلا قليلا، وقال لذلك الرجل: «**صمت من سرر شعبان؟**» قيل: من أواخره، إلى غير ذلك.

(**إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَومَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ**) كأن يكون يصوم الاثنين ورمضان الثلاثاء لا بأس أن يصوم، أو كان يصوم يوما ويفطر يوما، ناسب الفطر يوم الأحد، وصام يوم الاثنين من باب صيام يوم وإفطار يوم، لا حرج.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢).

١٢٢٥ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ، صُومُوا لِرُؤيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإِنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَايَةٌ فَأَكْمِلُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا».

رواه الترمذي، وقال: حديث حسنٌ صحيح[١].

(الغَيَايَةُ) بالغين المعجمة وبالياءِ المثناةِ من تَحْت المكررةِ، وهي: السحابة.

الشرح:

الصيام لا يكون على الحساب، إنما يكون على الرؤية من عدمها.

(لَا تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ) من باب الاحتياط، صيام يوم الشك.

(صُومُوا لِرُؤيَتِهِ): لرؤية الهلال، أي: يراه واحد منكم، ما هو بشرط يراه الجميع.

(وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ): رؤية الهلال.

(فَإِنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَايَةٌ فَأَكْمِلُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا) سواء في الفطر أو الصيام، حتى وإن خالفت الواقع أنت صمت صياما شرعيا، وتصوم بصوم الإمام، «الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون».

١٢٢٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[٢].

١٢٢٧ - وعن أَبي اليقظان عمارِ بن يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَنْ صَامَ اليَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ، فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[٣].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٦٨٨).

(٢) حديث رقم: (٧٣٨)، أعله شيخنا مقبل رحمه الله، والإمام أحمد، وكان ابن مهدي يتوقاه.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦).

عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُشر بالجنة، «**صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**»، حديث يثبت بمجموع طرقه، «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعونه إلى الجنة، ويدعونه إلى النار**»، وكان آخر شراب شربه لبنا.

ذهب بعض أهل العلم إلى أنه موقوف، ولا يثبت مرفوعا عن النبي ﷺ.

هذا الحديث قد ذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم، ولفظه: من صام يوم الشك.

٢٢٠ - باب مَا يقال عند رؤية الهلال

أي: من الذكر، لكن الحديث ضعيف كما سيأتي.

١٢٢٨ - عن طلحة بن عبيدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الهِلَالَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن(١).

٢٢١ - باب فضل السحوروتأخيره مَا لَمْ يخش طلوع الفجر

١٢٢٩ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

بركته أنه وقت نزول إلهي، بركته أن صاحبه يستعد لصلاة الفجر، بركته أنه يتقوى على الصيام، بركته أنه آخذ بالسنة، بركته أنه مخالفة لليهود والنصارى.

(تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً) ولو بشيء من لبن، أو ماء أو تمر، «خير سحور المسلم التمر».

١٢٣٠ - وعن زيدِ بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ. قِيلَ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِين آيةً. متفقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) حديث رقم: (٣٤٥١)، في سنده بلال بن يحيى بن طلحة، مجهول، والراوي عنه سليمان بن سفيان المديني، منكر الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

الشرح:

يعني وقت يسير، أما الآن كثير من الناس يعمل الاحتياط، لا سيما الرافضة ومن إليهم يُلزمون الناس بالاحتياط للفجر كما يلزمونهم بالاحتياط للمغرب، فربما يفطرون بعد المغرب بربع ساعة، نسأل الله السلامة والعافية.

١٢٣١ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ لرسولِ الله ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلَالٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «إِنْ بِلالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ».

قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلاَّ أَنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْقَى هَذَا. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

يعني لا يترك الإنسان الأكل والشرب إذا احتاج إليه إلا إذا طلع الفجر الصادق.

وفيه استحباب اتخاذ مؤذنَين للمسجد.

---

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥)، ومسلم (١٠٩٧).

(١) أخرجه البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢).

١٢٣٢ - وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

فيه مخالفة أهل الكتاب بالسحور، فحتى لو قالت لك نفسك: أنت ما تحتاج إلى ذلك، أو كنت ممن يتأذى من السحور تخشى من اضطراب المعدة ونحو ذلك خذ ولو يسيرا مما يطلق عليه اسم السحور؛ تأسيا بالنبي ﷺ، لا سيما أصحاب السكر، يحتاج إلى أن يأكل سكريات؛ حتى يستمر معه الصيام إلى آخر الليل؛ لأن بعضه قد يصاب بهبوط في السكر، وربما أدى إلى فطره إن لم ينتبه لنفسه.

(١) حديث رقم: (١٠٩٦).

٢٢٢ - باب فضل تعجيل الفطر وَمَا يفطر عَلَيْهِ، وَمَا يقوله بعد الإفطار

١٢٣٣ - عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

أي: لا يزال الإسلام عزيزا منيعا، تظهر أحكامه، والناس متمسكون بالسنة ما عجلوا الفطر، فإذا أخروا الفطر تشبهوا باليهود، دل على ضعفهم في هذا الباب.

وفيه دليل على أن الخيرية في التمسك بالكتاب والسنة، كنا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير، الخير هو الإسلام.

١٢٣٤ - وعن أَبي عطِيَّة، قَالَ: دَخَلْتُ أنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوق: رَجُلَانِ مِنْ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كِلَاهُمَا لا يَأْلُو عَنِ الخَيْرِ: أحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ، وَالآخَرُ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ - يعني: ابن مسعود - فَقَالَتْ: هكَذَا كَانَ رسولُ اللهِ يَصْنَعُ. رواه مسلم(٢).

قَوْله: (لا يَأْلُو) أيْ: لَا يُقَصِّرُ في الخَيْرِ.

الشرح:

فيه سؤال أهل العلم، وفيه المنافسة في الخير والعمل بالسنة.

وفيه أن أفضل الناس من كان ملازما للسنة.

وفيه ما بوب عليه من تأخير السحور، وتعجيل الفطور.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٢) حديث رقم: (١٠٩٩).

١٢٣٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

١٢٣٦ - وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هاهُنَا، وَأَدْبَرَ النهارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ». متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

الشرح:

(إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هاهُنَا) أي من المشرق.

(وَأَدْبَرَ النهارُ مِنْ هَاهُنَا) أي من المغرب.

هذه ثلاث علامات بها يُعرف الليل من النهار، وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [سورة الأنعام: ٧٦] أي: بعد مجيء الليل رأى الكوكب، بعد الظلمة، وإلا إذا غربت الشمس وقع الليل.

١٢٣٧ - وعن أَبي إبراهيم عبدِ الله بنِ أَبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: «يَا فُلَانُ انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا»، فَقَالَ: يَا رسول الله، لَوْ أَمْسَيْتَ؟ قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا» قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا» قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُمْ فَشَرِبَ رسولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ المَشْرِقِ. متفقٌ عَلَيْهِ[(٣)].

---

(١) حديث رقم: (٧٠٠)، قال المحقق: في سند قرة بن عبد الرحمن بن حيوة، ضعيف، والحديث ضعفه الألباني، ويغنى عنه ما تقدم من الأحاديث الصحيحة.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٤١)، ومسلم (١١٠١).

قَوْله: (اجْدَحْ) بِجيم ثُمَّ دال ثُمَّ حاءٍ مهملتين، أيْ: اخْلِطِ السَّويقَ بِالمَاءِ.

الشرح:

يعني دليل على أنه أفطر والظان يظن أنه ما زال في النهار، لكن أفطر بعد غروب الشمس، هذا هو المعروف، أما الأكل والشرب وما زالت الشمس طالعة فهذا محرم، ويؤدي إلى الفطر، والنبي ﷺ أخبر أن من أسباب العذاب في القبر: «**الرجل يفطر قبل تحلة صومه**».

١٢٣٨ - وعن سلمان بن عامر الضَّبِّيِّ الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ؛ فإِنَّهُ طَهُورٌ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

١٢٣٩ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّي عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[(٢)].

الشرح:

يشهد له ما تقدم ذكره.

وفيه فضيلة التمر؛ لأن التمر يذكر العلماء - وهذا أمر أيضا ملاحظ- يكون الإنسان قد طال صومه وقلَّت السكريات في الجسم وضعف جسمه، والتمر حلوى

(١) انظر الحديث (٣٣٤)، وهذا حديث ضعيف، فيه الرباب بنت صُليع، مجهولة، وضعفه الشيخ الألباني وغيره، وكذلك مشايخنا على تضعيفه، لكن يغني عنه حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ كان يفطر على تمر، كما عند الفريابي بسند صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦).

وإدام، وكذلك طعام، يصلح أن يكون هذا وهذا، وسرعان ما تمتصه المعدة، ويبلغ إلى منتهاه.

٢٢٣ - باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

يعني ليست الصوم فقط أن تصوم عن المأكولات، بل أيضا الصوم عن المخالفات، قال النبي ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب».

١٢٤٠ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

١٢٤١ - وعنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». رواه البخاري[2].

الشرح:

«من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل»، جاء في بعض الروايات، والجهل أي: على الغير.

(فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) فلا بد أن يصوم الإنسان بجوارحه كما يصوم عن الأكل والشرب والجماع.

ثم أيضا ينبغي للإنسان أن يجعل الصيام للتعود على الطاعة، ربما يكون صخابا غضوبا، بخيلا، مؤذيا، فيعود نفسه، ربما يكون مدخنا، مسرفا على نفسه بالقات

(١) انظر الحديث (١٢١٥).

(٢) حديث رقم: (١٩٠٣).

ونحو ذلك، فحين يرى نفسه قد جوهدت في الصيام ربما كان سببا في تركه لهذه الآثام.

وهكذا ربما كان ناظرا للحرام، فيعود نفسه غض الطرف، وربما كان لا يصلي في المسجد، فيعود نفسه الصلاة جماعة، وربما كان لا يصلي بالكلية، فيتعود الصلاة.

إذًا رمضان عبارة عن موسم للمسارعين إلى الخيرات، وفي نفس الوقت تأهيل للمقصرين في الطاعات، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا وإياكم على طاعته.

٢٢٤ - باب في مسائل من الصوم

١٢٤٢ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ؛ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وهذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده، فإن الناسي رُفع عنه التكليف، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، وأما حديث «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» فهو حديث ضعيف.

قال: (فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ) ويدخل فيه أيضا من قام إلى الجماع وكان ناسيا، الصحيح أنه لا يفطر، إلا إذا ذكر واستمر، ولو ذكر واستمر لزمه الكفارة.

(فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ) أي: أن هذه الطعمة وهذه الشربة لم يؤاخذ بها.

وقد جاء خارج الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلا قال له: يا أبا هريرة أصبحت صائما فنسيت أني صائم فأكلت، ثم كذا وكذا، فنسيت أني صائم فشربت، ثم كذا وكذا، قال له: أنت لم تتعود الصيام، أو كما قال.

١٢٤٣ - وعن لَقِيط بن صَبِرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أَخْبِرْنِي عَنِ الوُضُوءِ؟ قَالَ: «أَسْبِغِ الوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ، إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائِمًا». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨).

دليل على أن من دخل من أنفه سائل وهو قاصد لذلك وبلغ إلى جوفه أنه يفطر، فقطرة الأنف تفطر، بخلاف قطرة العين وقطرة الأذن، حتى وإن وجد مرارتهما لا تفطر، أما قطرة الأنف فإنها تفطر؛ لأن الأنف مجرى طعام، ومجرى شراب، ولذلك عند أن يمرض المريض يقوم الأطباء باستدخال أنبوب إلى بطنه من أنفه، ولهذا الحديث.

(أَسْبِغِ الوُضُوءَ) يعني كوضوء النبي ﷺ، ويسبغ ولو بمرة.

(وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ)؛ لمظنة ألا يصل إليها الماء.

(وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ): إدخال الماء في الأنف.

١٢٤٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وجاء هذا أيضا عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وخالف أبو هريرة، كان يرى أن من أصبح جنبا أنه يفطر، فلما حُوجِج بهذا الحديث عن عائشة وأم سلمة قال: حدثني الفضل.

(كَانَ رسول الله ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ) أي: يطلع عليه الفجر، أما الصلاة لا بد لها من غسل.

(وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ) اختلفوا هل يقع الاحتلام على رسول الله ﷺ ومن في بابه من الأنبياء والمرسلين؟ فقال قوم بمنعه، وذهب قوم إلى جوازه، والتحقيق: أنه ما كان من تلاعب الشيطان فإنه منزه عنه، وما كان من إخراج الفضلة الزائدة فهذا لا مانع منه، هذا من الاستفراغ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٥) و (١٩٣٦)، ومسلم (١١٠٩).

يعني ليس كل احتلام من الشيطان، قد يكون استفراغا لما في البدن، ولذلك قد تجد كثيرا ممن يبعد عن أهله أو كان عازبا يكثر منه الاحتلام، بخلاف المزوج قد لا يقع منه الاحتلام، وإن وقع يكون في النادر.

١٢٤٥ - وعن عائشة وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالتا: كَانَ رسول الله ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وهكذا لو طهرت بالليل قبل الفجر ثم أخرت الغسل إلى أن يطلع الفجر صح صيامها.

(١) أخرجه البخاري (١٩٣١) و (١٩٣٢)، ومسلم (١١٠٩).

٢٢٥ - باب فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

أي من النوافل.

١٢٤٦ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

ومع ذلك الذي ورد: أن النبي ﷺ كان يصوم شعبان أو أكثر شعبان، ومحرم صام منه العاشر، وعزم على صيام التاسع، ومع ذلك الحديث نص، قد يترك النبي ﷺ ذلك؛ لأشغاله، أو خشية أن يُفرض على أمته.

١٢٤٧ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لَمْ يكن النبي ﷺ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ.

وفي رواية: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلاَّ قَلِيلًا. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

١٢٤٨ - وعن مُجِيبَةَ البَاهِلِيَّةِ، عن أبيها أَوْ عمها: أنه أَتَى رسولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بَعْدَ سَنَةٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَهيئَتُهُ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «وَمَنْ أَنْتَ»؟ قَالَ: أَنَا البَاهِلِيُّ الَّذِي جِئْتُك عام الأَوَّلِ، قَالَ: «فَمَا غَيَّرَكَ، وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الهَيْئَةِ؟»، قَالَ: مَا أَكَلْتُ طَعَامًا مُنْذُ فَارقتُكَ إِلاَّ بِلَيْلٍ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «عَذَّبْتَ نَفْسَكَ!» ثُمَّ قَالَ: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَيَومًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: زِدْنِي، فَإِنَّ بِي قُوَّةً، قَالَ: «صُمْ يَوْمَيْنِ»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «صُمْ مِنَ الحُرُم

---

(١) انظر الحديث (١١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (١١٥٦).

وَاتركْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ»، وقال بأصابِعه الثَّلاثِ فَضَمَّها، ثُمَّ أَرْسَلَهَا. رواه أَبُو داود[1].

وَ (شَهْر الصَّبر): رَمَضَان.

الشرح:

أما شهر الصبر قد جاءت أحاديث في صيامه، وصيام ثلاثة أيام من الشهر قد جاءت أحاديث في صيامه، منها أحاديث عقرب: أن النبي ﷺ قال: «صم يوما»، قال: يا رسول الله زدني زدني. قال: «صم يومين»، قال: يا رسول الله زدني، قال: «صم ثلاثة أيام»، وهكذا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وأما هذا الحديث فهو ضعيف؛ لجهالة هؤلاء المذكورين.

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (٢٤٢٨).

٢٢٦ - باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة

أما حديث عن النبي ﷺ أنه صامها وأمر بصيامها فلا يثبت شيء، وأما أنها داخلة في العمل الصالح فلا حرج على من صامها، والثابت عن النبي ﷺ صوم يوم عرفة، يعني بدلالة المفهوم، في حديث أم الفضل: أنه لما حج ناولته اللبن، معلوم أنه كان يصوم، وإلا لما تشككوا في صيام من عدمه.

١٢٤٩ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هذِهِ الأَيَّام» يعني أيام العشر، قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَلَا الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وهذا حديث عظيم، وجاء بمعناه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هذِهِ الأَيَّام) بهذا اللفظ استدل من استدل على تفضيل عشر ذي الحجة على عشر رمضان، والصحيح التفصيل: أن ليالي رمضان العشر أفضل من ليالي عشر ذي الحجة، وأيام عشر ذي الحجة فيها فضيلة عظيمة، حتى قيل: على أيام رمضان.

والعمل الصالح هنا عام، يدخل فيه جميع الأعمال الصالحات، من صلاة، وصدقة، وذكر، ودعاء، وإن كان الدعاء هو الأكثر، حديث ابن عمر عند أحمد فيه: أن النبي ﷺ قال: «**فأكثروا فيها من التسبيح والتحميد والتكبير**»، ونحو ذلك، وهذا يوافق القرآن في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [سورة البقرة:

---

(١) حديث رقم: (٩٦٩).

٢٠٣]، ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٖ﴾ [سورة الحج: ٢٨]، مع أن الحديث فيه كلام، فهذه الأيام أيام ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

(إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ) أي قتل شهيدا.

٢٢٧ - باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء

١٢٥٠ - وعن أَبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن صَومِ يَوْمِ عَرَفَةَ، قَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ». رواه مسلم(١).

الشرح:

هذا الحديث ضعف البخاري بعض رجاله، ولكنه ثابت، لعل الإمام مسلم انتقى من حديثه، وهكذا يشهد له ما يأتي.

فهو يكفر السنة الماضية والباقية، أي: يكفر صغائرها، وأما الكبائر لا بد لها من توبة.

١٢٥١ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ صَامَ يَومَ عاشوراءَ وَأَمَرَ بِصِيامِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

قال: هذا يوم كانت تعظمه اليهود، فقال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بموسى منهم».

ويوم عاشورا: هو يوم العاشر من محرم، لكن يضاف إليه أيضا التاسع؛ لأن النبي ﷺ قال: «لئن بقيت إلى القابل لأصومن التاسع».

---

(١) حديث رقم: (١١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

١٢٥٢ - وعن أَبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيامِ يَوْمِ عَاشُوراءَ، فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا هو فعل المسلمين الموحدين، المستجيبين لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، أنهم يقع منهم صيام يوم عاشوراء.

أما الرافضة فإنهم يضربون ظهورهم ويدمونها نوحا على الحسين، قبحهم الله.

١٢٥٣ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ». رواه مسلم[2].

الشرح:

هذا دليل على السنة الهَمِّيَّة، وعلى أن السنة الهمية يُعمل بها، وهي من ديننا.

فالسنة تنقسم إلى أقسام: السنة الفعلية، والسنة التركية، والسنة الهمية، والسنة القولية، وما إلى ذلك.

❁❁❁

(١) حديث رقم: (١١٦٢).

(٢) حديث رقم: (١١٣٤).

٢٢٨ - باب استحباب صوم ستة أيام من شوال

في جميع شوال، لا يشترط فيهن التتابع، ولا يشترط أن تكون من اليوم الثاني للعيد.

١٢٥٤ - عن أَبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا الحديث ثابت، ولم يصب من ضعفه.

وكذلك ذهب الإمام مالك إلى عدم صيام الست استدلالا أنه لم يدرك أهل المدينة على ذلك، وهذا الاستدلال فيه نظر، قد يكون الأمر ترك عندهم لأمور أخرى، أو لعلهم تركوا ذلك رأوه ليس من باب الواجب، وإلا فالحديث ثابت.

ويستدل به على أن من عليه قضاء يسبق القضاء، ونرى كثيرا من الناس يهتمون بصيام الست، ويقدمونها على القضاء، وهذا الصحيح أنه للجهل، مع أن بعض أهل العلم يجوز ذلك.

والصحيح أنه لا يبطل صومه، صومه صحيح، لكن هل نال الفضل؟ لا ما نال الفضل، ثم إن المجيء بالفرائض أولى من المجيء بالنوافل، لكن يأتي أحدهم ويأخذ مثل هذا الحديث وينسى فضل الفريضة، الفريضة إذا تركها الإنسان على خطر عظيم، بعض الفريضة إذا تركها الإنسان كفر مثل الصلاة، بينما النوافل إذا تركها ما يكفر، حتى لا يأثم على الصحيح، مع أنه لو أتى بها كان خيرا له.

قوله: (كَصِيَامِ الدَّهْرِ) أي: صيام السنة، فالدهر يطلق على العام؛ لأن رمضان بعشرة أشهر، والست من شوال بشهرين.

---

(١) حديث رقم: (١١٦٤).

٢٢٩ - باب استحباب صوم الإثنين والخميس

١٢٥٥ - عن أَبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صَومِ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ، فَقَالَ: «ذَلِكَ يَومٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَومٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

أي رغب في صيام يوم الاثنين، والصوفية ومن إليهم احتجوا بهذا الحديث على جواز المولد، ولا دلالة لهم فيه، الرسول ﷺ صامه، ما قال: اعملوا فيه الموالد ونحو ذلك، والله المستعان.

١٢٥٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، ورواه مسلم بغير ذِكر الصوم[2].

الشرح:

في مسلم: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظِروا هذين حتى يصطلحا».

هذا حديث مهم جدًّا؛ لأن المشاحنات قد تكون أحيانا لغير ما غرض شرعي، فلا يجوز للإنسان أن يبقى مصارما لأخيه وصاحبه وقريبه ونحو ذلك.

وهذا الحديث في سنده محمد بن رفاعة القرضي، مجهول.

---

(١) حديث رقم: (١١٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٧٤٧) ومسلم (٢٥٦٥).

١٢٥٧ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَحَرَّى صَومَ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيس. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

لا بأس بتحريهما، وهذا ثابت في غير ما حديث.

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (٧٤٥).

٢٣٠ - باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر

سواء متصلة أو مفرقة، سواء كانت أيام البيض أو غير أيام البيض.

والأفضل صومُها في الأيام البيض وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشر والخامسَ عشر، وقِيل: الثاني عشر، والثالِثَ عشر، والرابعَ عشر، والصحيح المشهور هُوَ الأول.

١٢٥٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصاني خَلِيلي ﷺ بِثَلاثٍ: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وجاء هذا أيضا عن أبي الدرداء وجاء عن أبي ذر.

(أَوْصاني خَلِيلي) أي أنه اتخذ النبي ﷺ خليلا، أما النبي ﷺ لا يجوز له إلا أنه اتخذ اللهَ خليلا، قال: «**ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام**».

(صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ) يتعاودها ويأتي بها؛ لفضلها، وتجزئ عن صيام الشهر.

(وَرَكْعَتَي الضُّحَى) وهذا دليل على فضيلة المداومة عليها، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى عدم المداومة، بل ذهب بعضهم إلى بدعيتها، والصحيح خلاف ما ذهبوا إليه.

(وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ) لعله قد عُلم من حاله أنه يشق عليه القيام في آخر الليل، وإلا فإن الصلاة في آخر الليل أفضل، كما تقدم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).

١٢٥٩ - وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أوصاني حَبِيبي ﷺ بِثَلاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ مَا عِشتُ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ. رواه مسلم(١).

الشرح:

هذا بمعنى الحديث الأول، إلا أنه ساقه؛ ليبين شدة حرص الصحابة رضوان الله عليهم على ملازمة العمل الصالح، والأخذ بوصية رسول الله ﷺ.

١٢٦٠ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

١٢٦١ - وعن مُعاذة العدوية: أنها سألت عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَكَانَ رسول الله ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثة أَيَّامٍ؟ قالت: نَعَمْ، فقلتُ: مِنْ أيِّ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قالت: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أيِّ الشَّهْرِ يَصُومُ. رواه مسلم(٣).

الشرح:

هذا دليل على أن الإنسان يأخذ باليسرية، باليسرية في صيامه، في تنفله، في سفره، في حجه، في عمرته، «إن هذا الدين يسر».

(١) حديث رقم: (٧٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٩)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) حديث رقم: (١١٦٠).

١٢٦٢ - وعن أَبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا، فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

١٢٦٣ - وعن قتادة بن مِلْحَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ البِيضِ: ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ. رواه أَبُو داود[(٢)].

١٢٦٤ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ لَا يُفْطِرُ أَيَّامَ البِيضِ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ. رواه النسائي بإسنادٍ حسن[(٣)].

الشرح:

أظن هذا يتعارض مع حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لم يكن يبالي من أي شهر صام، وإذا ثبت فلعله في بعض أحيان كان يصومها، وبعض أحيانا يصوم غيرها.

(١) حديث رقم: (٧٦١)، ثابت بشواهده.

(٢) حديث رقم: (٢٤٤٩)، ويشهد له ما قبله وما بعده.

(٣) حديث رقم: (٢٦٥٤).

٢٣١ - باب فضل من فطَّر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

١٢٦٥ - عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقَصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

هذا حديث عظيم، يدل على فضيلة تفطير الصائمين، وإطعامهم، والإحسان إليهم.

١٢٦٦ - وعن أُمِّ عُمَارَةَ الأنصارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: «كُلِي»، فَقَالَتْ: إِنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرغُوا»، وَرُبَّمَا قَالَ: «حَتَّى يَشْبَعُوا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(٢)].

١٢٦٧ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النبي ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ؛ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلَائِكَةُ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[(٣)].

الشرح:

الدعاء للمحسن.

---

(١) حديث رقم: (٨٠٧).

(٢) حديث رقم: (٧٨٥)، ولكنه ضعيف، في سنده ليلى مولاة أم عمارة، مجهولة، وضعفه الشيخ الألباني وغيره.

(٣) حديث رقم: (٣٨٥٤).

رواية معمر عن ثابت ضعيفة، ولكن له شواهد، وفي مسلم من حديث عبد الله بن بسر: أن النبي ﷺ قال: «**اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم**».

وهناك أحاديث أكثر من هذا في فضل الصيام، لكن ذكر منها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مهمات، ومن أراد التوسع أكثر فعليه أن يرجع إلى مثل (الترغيب والترهيب) للمنذري، وما في بابه.

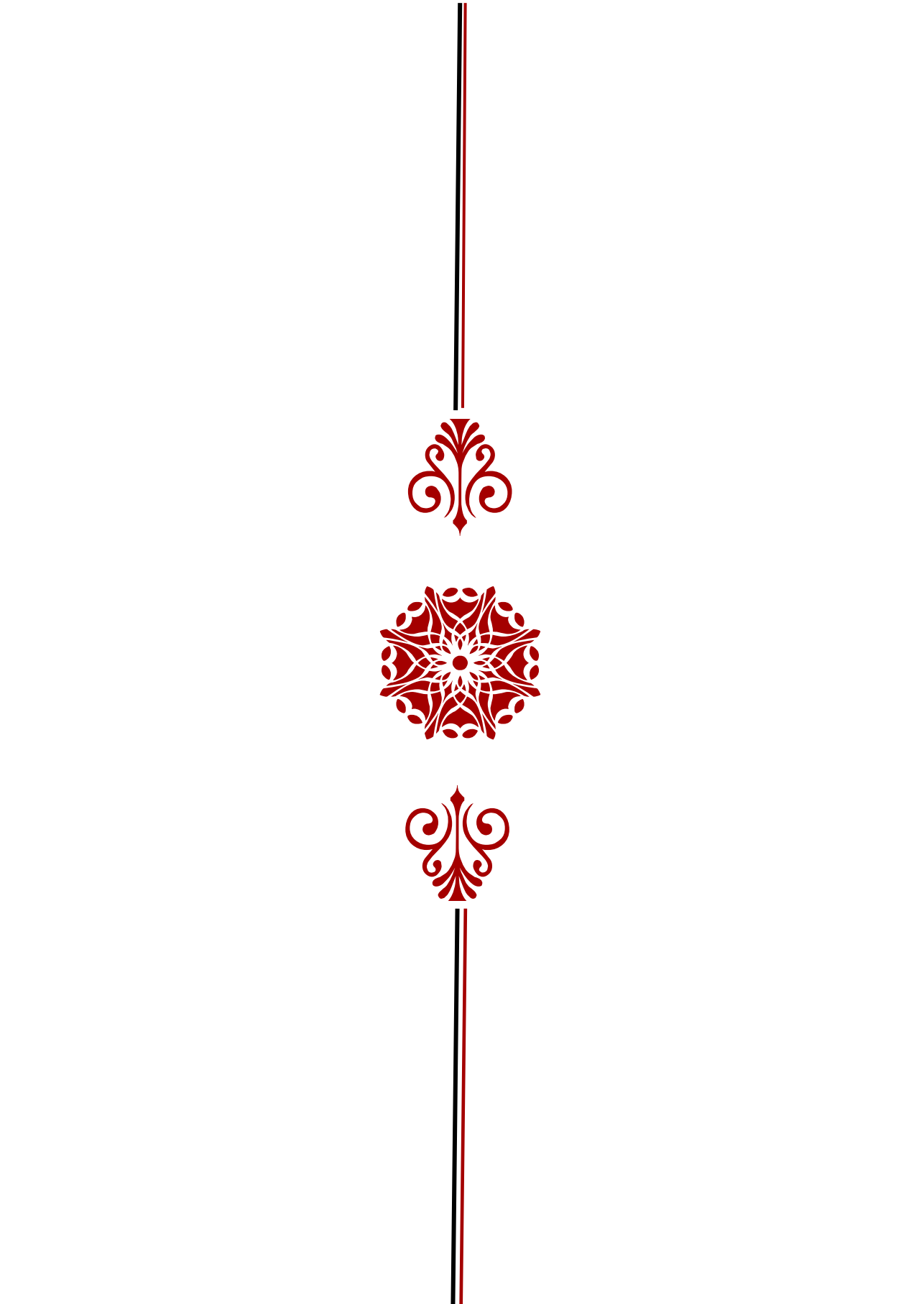

كتاب الاعتكاف

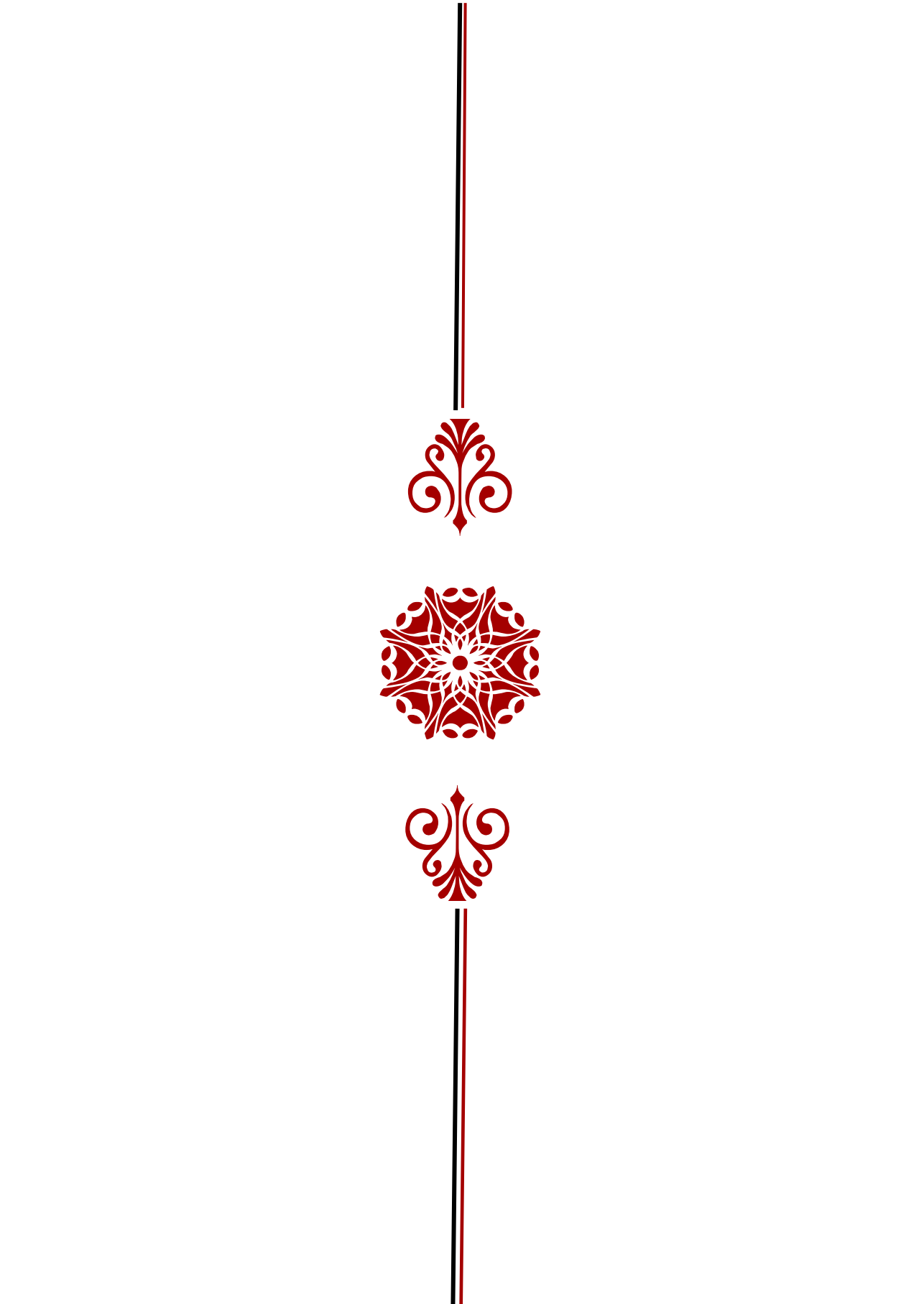

كتاب الاعتكاف

الاعتكاف: هو الحبس، والمراد به: الحبس على الطاعة.

وما جاء في الحديث: «**لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة**» أي: لا اعتكاف أكمل، وإلا فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، فهو شامل لجميعها.

ويجوز الاعتكاف في رمضان وفي غيره، وذهب الجمهور إلى أنه يجوز ولو أقل من ليلة، وأقل من يوم، ولو الوقت اليسير، وذهب كثير من المحققين إلى أن أقله يوم أو ليلة؛ لما ثبت عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «**أوف بنذرك**».

وقلت في شرحي على عمدة الأحكام:

مسألة: إلى كم ينقسم الاعتكاف من حيث المعنى اللغوي؟

والاعتكاف منقسمٌ إلى قسمين:

- **اعتكاف أهل الطاعة** في المساجد للتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.
- **واعتكاف أهل القبور، والأصنام** عند أصنامهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢].

والعكوف هو: اللزوم والجلوس.

مسألة: ما هو أقل الاعتكاف؟

اختلف العلماء في أقل الاعتكاف إلى أقوال:

الأول: فذهب بعضهم إلى أنه ليلة، لحديث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الباب، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَذَرْتُ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْفِ نَذْرَكَ فَاعْتَكَفَ لَيْلَةً**»(١).

الثاني: وذهب بعضهم كالنووي وغيره، إلى أنه لو نوى الاعتكاف، وهو مار من الباب إلى الباب، لكان ذلك اعتكافًا، وهذا تجوُز وتوسع، والصحيح أن الاعتكاف الشرعي أقله ليلة، وأما بمعناه اللغوي فهو أوسع من ذلك.

مسألة: هل الاعتكاف يصح ويشرع في جميع المساجد؟

الاعتكاف جائز في جميع المساجد، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة، وهي: **الأول**: المسجد الحرام، **الثاني**: مسجد النبي ﷺ، **الثالث**: المسجد الأقصى، لحديث: «**لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»(٢).

والصحيح في هذه المسألة، جواز الاعتكاف في جميع المساجد، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧]، وبوَّب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه على هذا.

ومعنى لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة، أي لا اعتكاف أكمل، وإلا فإن الاعتكاف يجوز في جميع المساجد. إلا أنهم اختلفوا في المساجد التي تقام فيها الجمعة، والتي لا يقام فيها الجمعة، والصحيح أنه يجوز في أي مسجد، إلا أنه ينبغي للمعتكف أن يعتكف في مساجد تقام فيها الجمعة، حتى لا يضطر إلى الخروج لحضور الجمعة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٤٢)، ومسلم (١٦٥٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٨٠١٤)، وابن أبي شيبة (٩٦٦٩)، والطحاوي (٢٧٧١)، واللفظ له.

مسألة: هل يشرع للمعتكف أن يشهد الجنازة، ويعود المريض، أم أنه يبطل اعتكافه بالخروج لذلك؟

والمعتكف لا يشهد جنازةً، ولا يعود مريضًا، ولا يخرج من معتكفه إلا لحاجة الإنسان، وحاجة الإنسان المذكورة في هذا الحديث معلومة، ما كان من قضاء الحاجة، من بول، أو نحوه، والاغتسال، والخروج للطعام والشراب.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «السُّنَّةُ عَلَى الْمُعْتَكِفِ: أَنْ لَا يَعُودَ مَرِيضًا، وَلَا يَشْهَدَ جَنَازَةً، وَلَا يَمَسَّ امْرَأَةً، وَلَا يُبَاشِرَهَا، وَلَا يَخْرُجَ لِحَاجَةٍ، إِلَّا لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا اعْتِكَافَ إِلَّا بِصَوْمٍ، وَلَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ»، **قَالَ أَبُو دَاوُدَ:** غَيْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا يَقُولُ فِيهِ: قَالَتْ: السُّنَّةُ، **قَالَ أَبُو دَاوُدَ:** «جَعَلَهُ قَوْلَ عَائِشَةَ»[1].

مسألة: ما حكم اتخاذ الخباء للمعتكف؟

ويجوز للمعتكف أن يتخذ خيمة صغيرة ينعزل فيها، كما صنع النبي ﷺ وإذا خشي الفتنة باستخدام تلك الخيام يترك، فهي سنة، وليست بواجبة.

مسألة: ما هو أكمل الاعتكاف وأفضله، من حيث الزمن؟

وأكمل الاعتكاف، اعتكاف العشر الأواخر من رمضان؛ لأن النبي ﷺ اعتكفها، فلما كان العام الذي توفي فيه، اعتكف عشرين ليلة، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ دَخَلَ مُعْتَكَفَهُ وَإِنَّهُ أَمَرَ بِخِبَائِهِ فَضُرِبَ، أَرَادَ الِاعْتِكَافَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَأَمَرَتْ زَيْنَبُ بِخِبَائِهَا فَضُرِبَ، وَأَمَرَ غَيْرُهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ بِخِبَائِهِ فَضُرِبَ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٣٥).

نَظَرَ، فَإِذَا الْأَخْبِيَةُ فَقَالَ: «**آلْبِرَّ تُرِدْنَ؟**» فَأَمَرَ بِخِبَائِهِ فَقُوِّضَ، وَتَرَكَ الِاعْتِكَافَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى اعْتَكَفَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ[1].

مسألة: هل يشترط للاعتكاف الصيام ؟

ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يشترط الصيام للاعتكاف، فلا يجزئ اعتكاف بغير صيام، والصحيح خلاف هذا القول، وعليه بوب البخاري مستدلًا بحديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَذَرْتُ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْفِ نَذْرَكَ فَاعْتَكَفَ لَيْلَةً**».

مسألة: متى يبدأ الاعتكاف، من غروب شمس يوم العشرين من رمضان، أم من بعد صلاة الفجر؟

اختلف العلماء في مبدأ الدخول بالمعتكف فذهب بعضهم إلى أنه يدخل من قبل غروب شمس يوم العشرين، أي في أول ليلة واحد وعشرين، وذهب بعضهم إلى أنه يدخل بعد فجر يوم واحد وعشرين، والذي يظهر أن النبي ﷺ دخل المخبأ بعد صلاة فجر يوم واحد وعشرين.

أما الاعتكاف فلا بد أن يكون من الليل، وما يسمى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، إلا إذا اعتكف من مبدأ لياليه، فيدخل قبل المغرب فكان دخول النبي ﷺ المسجد قبل المغرب، وكان دخوله إلى الخيمة بعد صلاة الفجر.

مسألة: ما يشرع للمعتكف في معتكفه، وما الذي ينبغي له أن يفعله؟

ويجوز للرجل أن تزوره امرأته في معتكفه، أو تُفَلي له رأسه، أو تمشط له شعره، كما صُنع برسول الله ﷺ، وإنما المنهي أن يباشرها المباشرة التي هي الجماع، فإن ذلك يُبطل الاعتكاف.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٧٣).

ومن خرج إلى البيت لحاجةٍ فلا يجوز له أن يجلس ويؤنِس أهل البيت، فإن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ربما خرجت إلى البيت فتجد المريض فلا تسأل عنه إلا وهي مارة، فقد قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "إِنْ كُنْتُ لَأَدْخُلُ الْبَيْتَ لِلْحَاجَةِ، وَالْمَرِيضُ فِيهِ، فَمَا أَسْأَلُ عَنْهُ إِلَّا وَأَنَا مَارَّةٌ"(١).

وينبغي للمعتكف أن يفرِغ نفسه لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فإننا نرى من كثير من الناس التلاعب بالاعتكاف، فربما استخدم الوتساب في بيعه وشرائه، وفي غير ذلك من شؤونه، ويخرج عن مقاصد الاعتكاف، وربما بقي يتحدث مع زميله طيلة الليل، وانما شرع الاعتكاف للتفرغ لقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، وغير ذلك). اهـ

(١) أخرجه مسلم (١١٧٢).

٢٣٢ - باب الاعتكاف في رمضان

١٢٦٨ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

وسنة لم يعتكفها واعتكفها في شوال.

١٢٦٩ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

فيه المداومة على الطاعة، وعدم الفتور والتكاسل عنها.

وإذا اعتكف الإنسان يشغل نفسه بالذكر والدعاء وقراءة القرآن، والواقع أن كثيرا من المعتكفين في الزمن المتأخر يتخذون المعتكف للقاء الأصحاب، ولكذلك الأخذ والرد والعطاء، لكن مع ذلك ما زالوا في خير ما لازموا المسجد، وحضروا الجماعات، حضروا الجمع، يشهدون صلاة النافلة من التراويح وغيرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

١٢٧٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. رواه البخاري[1].

الشرح:

اعتكف النبي ﷺ في العشر الأوسط، فقيل له: أمامك، فاعتكف العشر الأواخر، وهذا كونه اعتكف عشرين ليلة دليل على ملازمة العمل الصالح، والإكثار منه، والأعمال بالخواتيم، والنبي ﷺ كان يعجبه الديمة في عمله، والله المستعان.

(١) حديث رقم: (٢٠٤٤).

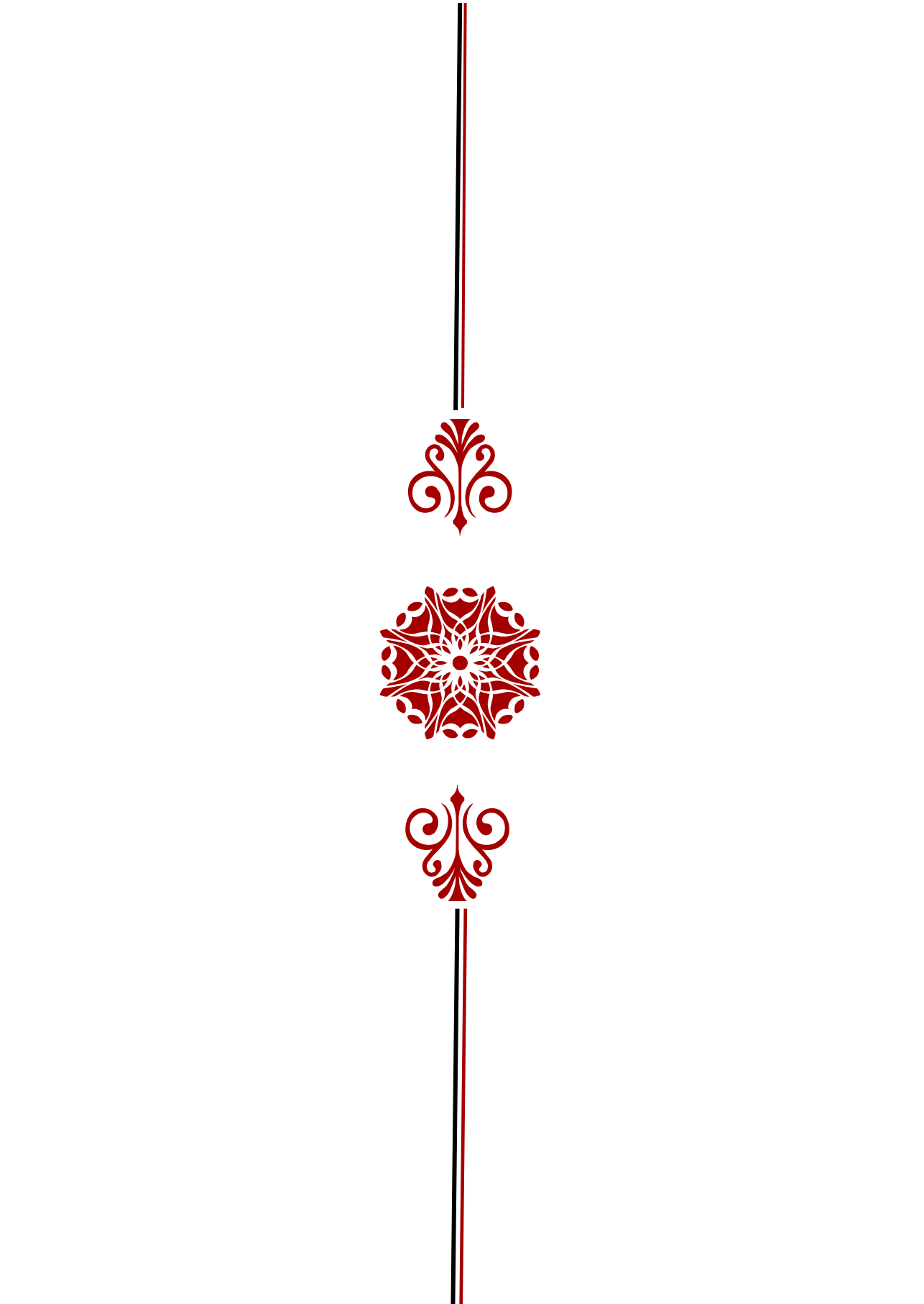

كتاب الحج

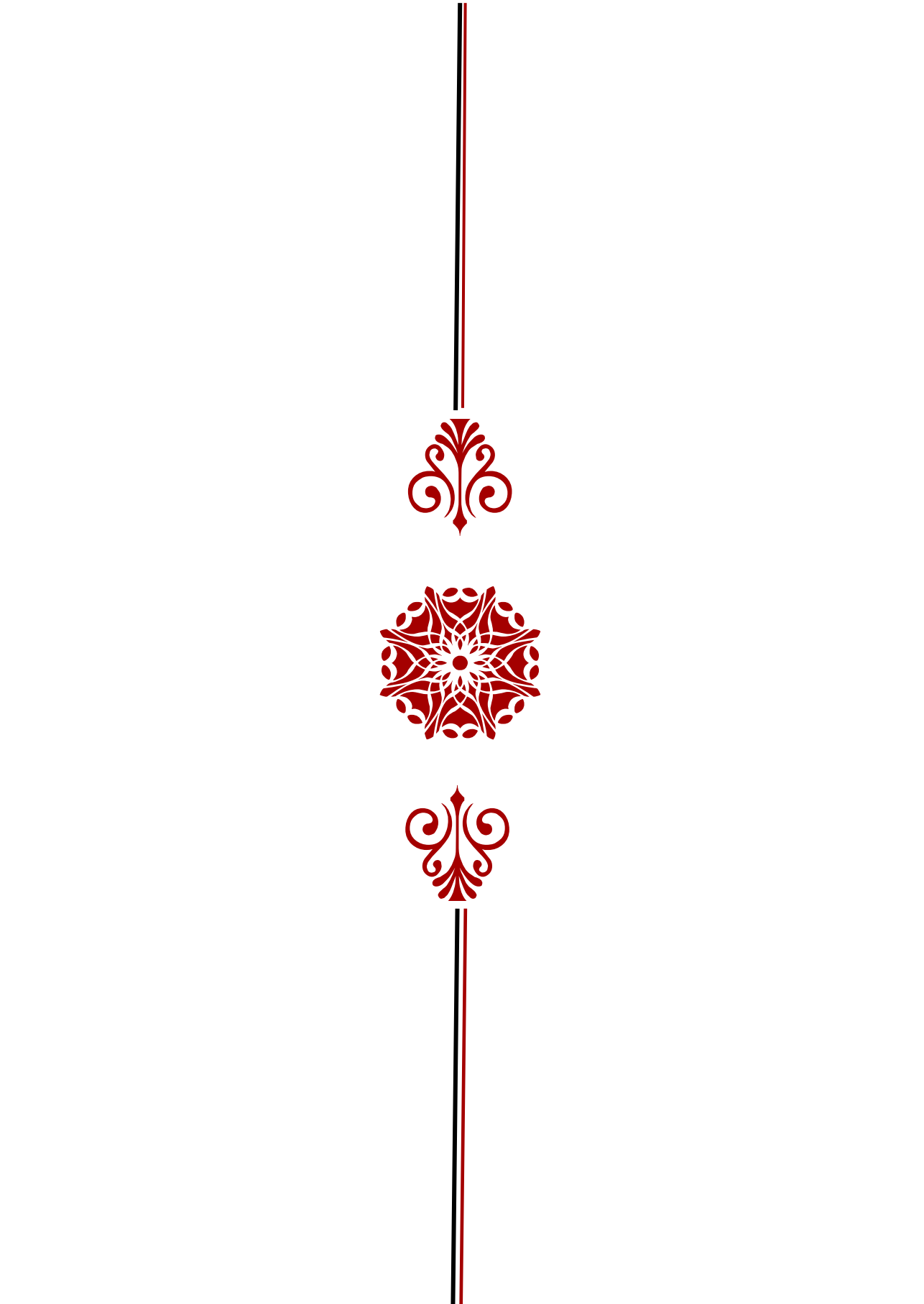

كتاب الحج

وهو آخر كتب العبادات، الحج آخر العبادات.

قلت في شرحي على عمدة الأحكام:

الحج في اللغة: القصد ويقال فيه الحَج بالفتح والحِج بالكسر.

وفي الاصطلاح: هو التعبد لله عَزَّوَجَلَّ بقصد مكة، في وقت مخصوص، وسيأتي بيان هذا الوقت المخصوص. ومكة، أو بكة هي البلد الذي حرمه الله عَزَّوَجَلَّ كما في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في «الصحيحين»، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ**»(١).

وجاء عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لَهَا، وَحَرَّمْتُ المَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لِمَكَّةَ**»(٢)، فلعل التحريم أضيف إلى إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ من باب البلاغ، وأنه بين حدود الحرم.

ذكر حدود الحرم:

غربًا: الحديبية، ويبعد عن المسجد باثنين وعشرين كيلو متر.

وشرقًا: وادي عرنة، ويبعد عن المسجد خمسة عشر كيلو متر.

ومن جهة الجعرانة: خمسة عشر كيلو متر.

ومن جهة التنعيم: سبعة كيلو متر، وهو من جهة المدينة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠).

ومن جهة الجنوب: أضاءت لين على طريق اليمن على مسافة اثني عشر كيلو متر.

وقد نظمها بعضهم بقوله:

وَلِلْحَرَمِ التَّحْدِيدُ مِنْ أَرْضِ طِيبَةَ ... ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ إِذَا رُمْتَ إِتْقَانَهْ
وَسَبْعَةُ أَمْيَالٍ عِرَاقٌ وَطَائِفٌ ... وَجُدَّةُ عَشْرٌ ثُمَّ تِسْعٌ جِعْرَانَهْ
وَمِنْ يَمَنٍ سَبْعٌ بِتَقْدِيمِ سِينِهَا ... وَقَدْ كَلَّمْتَ فَاشْكُرْ لِرَبِّكَ إِحْسَانَهُ

ذكر خصائص الحرم: أنه أول بيت وضع للناس قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

قيل: المراد بمقام إبراهيم، الحجر الذي صلى النبي ﷺ عنده عند البيت.

وقيل المراد به: مقامات إبراهيم من الوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنى، ورمي الجمار، وهذا أظهر، وهو اختيار الشيخ بن باز، ولا مانع أن تُفسر الآية وتُحمَل على الوجهين.

المراد من المسجد الحرام:

والمسجد الحرام قد أطلق ويراد به، مسجد الكعبة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

ويطلق ويراد به: الحرم أجمع، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وبسبب هذا الإطلاق، اختلف الناس في المكان الذي يضاعف فيه الصلاة في الحرم، فذهب الجمهور إلى أنه الحرم كله، فحيثما صلوا فلهم مائة ألف صلاة، أو أكثر، لما جاء في الحديث: «**وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ**

مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ»[١]، وفي رواية: «تعدِلُ مائةَ ألفِ صلاةٍ فيما سواهُ»، وكلاهما ثابت.

وذهب جمع من أهل العلم إلى أن المفاضلة متعلقةٌ بمسجد الكعبة، لرواية جاءت عند مسلم: «إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ»[٢]، وهذا اختيار مشائخنا والشيخ ابن العثيمين رحمة الله عليهم أجمعين. وبالجملة فالصلاة في جميع الحرم لها فضيلة، إلا أنها في المسجد الحرام أفضل، والحديث دالٌ عليها.

ثم إنه أول مسجد بني في الأرض: لحديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**المَسْجِدُ الحَرَامُ**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «**المَسْجِدُ الأَقْصَى**»[٣].

وللحرم خصائص كثيرة، وقد أُلفت فيه المصنفات، فلا يُعضَد شوكة، ولا يُختلى خلاه، ولا تُلتقط لقطته إلا لمنشد، ولا ينبغي أن يُروَّع فيه آمنا.

الحج هو: الركن الخامس من أركان الإسلام، وذهب البخاري مع جمع من أهل العلم إلى أنه الركن الرابع، لرواية جاءت عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[٤].

والرواية المشهورة بتقديم الصوم على الحج وهذا هو الأظهر؛ لأن الصوم فرض قبل الحج، فكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، وإنما فرض الحج في السنة التاسعة للهجرة، على القول الصحيح من أقوال أهل العلم، ولم يحج النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة؛

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٠٦)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

وذلك لبقاء بعض المشركين في الحج؛ ولوجود بعض المنكرات، مثل: طواف العراة، وقد بعث النبي ﷺ ببراءة مع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ بِبَرَاءَةٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ: «**لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُدَّةٌ فَأَجَلُهُ إِلَى مُدَّتِهِ، وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**» قَالَ: فَسَارَ بِهَا ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «**الْحَقْهُ فَرُدَّ عَلَيَّ أَبَا بَكْرٍ وَبَلِّغْهَا أَنْتَ**»، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ بَكَى، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدَثَ فِيَّ شَيْءٌ؟ قَالَ: «**مَا حَدَثَ فِيكَ إِلَّا خَيْرٌ، وَلَكِنْ أُمِرْتُ أَنْ لَا يُبَلِّغَهُ إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنًى: أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»(٢).

ومنع المشركون من دخول الحرم لأنهم نجس، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨] ، وفي هذا بيان لأهمية تميز المسلم المستقيم عن غيره.

ذكر الحكمة من تأخر حج النبي ﷺ:

والحكمة من تأخر النبي ﷺ عن الحج، وعن المبادرة به هي بأمور:

الأول: حتى يتميز المسلمون عن المشركين بحيث لا يأتي مبطلٌ من المبطلين يوم الأيام، ويقول قد حج الكفار مع النبي ﷺ، وطافوا بالبيت عراة وإقرار النبي ﷺ حجه:

وَمَا جَرَى فِي عَصْرِهِ ثُمَّ اطَّلَعْ ... عَلَيْهِ إِنْ أَقَرَّهُ فَلْيُتَّبَعْ

الثاني: تُطهر الكعبة من هذه المنكرات والمخالفات حتى يحج النبي ﷺ على أكمل الهيئات ويشتغل ببيان المناسك.

الثالث: أن النبي ﷺ أراد أن يحضر منسك الحج أكثر عدد من المسلمين.

---

(١) أخرجه أحمد (٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩).

ذكر شروط وجوب الحج:

أنه لا يجب إلا على مسلم، بالغ، عاقل، حر، مستطيع.

وقد قسمها أهل العلم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: شرط وجوب وصحة: وهذا يشترط فيه، العقل، والإسلام، فإذا حج المجنون، أو الكافر لا يُقبل حجهم.

الثاني: شرط إجزاءٍ، وهو البلوغ والحرية.

فلو حج الطفل كُتب له حج، ولا يجزئه عن حجة الإسلام.

ولو حج العبد كُتِب له حج، ولا يجزئه عن حجة الإسلام.

الثالث: شرط وجوب فقط وهو الاستطاعة، فقد جاء عن ابن عمر عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ مَا يُوجِبُ الحَجَّ؟ - وفي رواية: مَا السَّبِيلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ - قَالَ: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ»[1]، وفيه إبراهيم بن يزيد، ضعيف، وجاء عن غيره وقد ذكرها الدارقطني في «سننه»[2]، والذي عليه العلماء أن الاستطاعة الزاد والراحلة، وزاد بعضهم أمن الطريق للآفاقي.

الرابع: وجود المحرم للمرأة: فإنه لا يجوز لها أن تحج إلا مع محرم منها، ومن زوجها.

ذكر الصفات التي تجب أن تتوفر في المحرَم:

أن يكون: رجلًا، بالغًا، عاقلًا، من ذوي القرابة، الذي يحرم عليه التزوج من هذه المرأة مطلقًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ**»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٨١٣).

(٢) برقم (٢٤١٣) إلى رقم (٢٤٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩).

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»[١]، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ يَوْمَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا أَوْ زَوْجُهَا»، **وَفِي رِوَايَةٍ**: «نَهَى أَنْ تُسَافِرَ الْمَرْأَةُ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ، إِلَّا وَمَعَهَا زَوْجُهَا، أَوْ ذُو مَحْرَمٍ»[٢]، **وَفِي رِوَايَةٍ**: لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو حُرْمَةٍ مِنْهَا»، **وَفِي رِوَايَةٍ**: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[٣]، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تُسَافِرِ امْرَأَةٌ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»[٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنْ كَانَتْ مِنَ الْقَوَاعِدِ اللَّاتِي لَمْ يَحِضْنَ وَقَدْ يَئِسَتْ مِنَ النِّكَاحِ وَلَا مَحْرَمَ لَهَا، فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِي أَحَدِ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ أَنْ تَحُجَّ مَعَ مَنْ تَأْمَنُهُ وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَد وَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ[٥]. اهـ.

حكم دخول المشركين الحرم المكي:

ولا يجوز للمشركين مطلقًا دخول المسجد الحرام كما تقدم، وإن كان يجوز إدخال المشركين إلى بقية المساجد، فقد ربط النبي ﷺ ثمامة بن أثال في مسجده في المدينة يعرض عليه الإسلام.

حكم الحج والعمرة على المكلف:

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨٤٧)، والتي قبلها.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٣٩)، والروايتان التي قبلها.

(٤) أخرجه مسلم (١٣٤١).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ١٣).

والواجب على المسلم الحج والعمرة، كما هو قول جماهير العلماء، نقله البغوي في شرح السنة، وذهب شيخ الإسلام كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك إلى القول بعدم الوجوب، والصحيح الوجوب.

ومما يدل على وجوبها ما جاء من حديث أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَلَا الْعُمْرَةَ، وَلَا الظَّعْنَ قَالَ: «**حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ**»[١].

وقول عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «**لاَ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ**»[٢].

وفي رواية خارج الصحيح[٣]: «**وَالْعُمْرَةُ**».

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: وَتَجِبُ الْعُمْرَةُ عَلَى مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْحَجُّ[٤]. اهـ.

وأما حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ العُمْرَةِ أَوَاجِبَةٌ هِيَ؟ قَالَ: «**لَا، وَأَنْ تَعْتَمِرُوا هُوَ أَفْضَلُ**»[٥]، فهو حديث ضعيف، من طريق حجاج بن أرطاة، وقد عنعن، وهو ضعيف، ومدلس.

والحج واجب في العمر مرة واحدة: لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في «الصحيحين»، قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِي مَا**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨١٠)، وابن ماجه (٢٩٠٦)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢٠).

(٣) عند ابن ماجة (٢٩٠١)، وأحمد (٢٥٣٢٢).

(٤) «المغني» (٣/ ٢١٨)، تحت المسألة (٢٢٠٩).

(٥) أخرجه الترمذي (٩٣١).

تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»[(١)].

فضل الحج: والحج فضله عظيم، مع أنه ركن من أركان الإسلام، ففي «الصحيحين»، قال النبي ﷺ لما **سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:** «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[(٣)].

وقال كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وجاء بنحوه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ**»[(٤)]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ**»[(٥)].

وقد سُئِلَ النبي ﷺ، أَيُّ الحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْعَجُّ، وَالثَّجُّ**»[(٦)]، **والعج:** هو رفع الصوت بالتلبية والذكر، **والثج:** هو نحر البدن.

ويجوز أن يحج العبد عن نفسه وعن غيره لكن يشترط في حجه عن غيره أن يكون قد حج عن نفسه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: «**مَنْ شُبْرُمَةُ؟**» قَالَ: أَخٌ لِي - أَوْ قَرِيبٌ لِي - قَالَ: «**حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ**»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣١)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٨٧٥).

(٥) متفق عليه، البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٦) أخرجه الترمذي (٨٢٧)، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله شواهد.

(٧) أخرجه أبو داود (١٨١١)، وابن ماجه (٢٩٠٣)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٣١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَحُجَّ عَنْ امْرَأَةٍ أُخْرَى بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ سَوَاءٌ كَانَتْ بِنْتَهَا أَوْ غَيْرَ بِنْتِهَا وَكَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ تَحُجَّ الْمَرْأَةُ عَنْ الرَّجُلِ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ كَمَا «أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَرْأَةَ الخثعمية أَنْ تَحُجَّ عَنْ أَبِيهَا لَمَّا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ أَدْرَكَتْ أَبِي وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَحُجَّ عَنْ أَبِيهَا» مَعَ أَنَّ إحْرَامَ الرَّجُلِ أَكْمَلُ مِنْ إحْرَامِهَا. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ[1]. اهـ.

ويجوز أن يحج الصبي، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: **نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ**»[2]. اهـ

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ١٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٦).

٢٣٣ - باب وجوب الحج وفضله

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧].

الشرح:

الحج يجب بالاستطاعة، والاستطاعة: الزاد والراحلة، وأمن الطريق، جاءت أحاديث في هذا لا تثبت، لكن هي هذه، يزاد في المرأة: وجود المحرم على الصحيح، وما يسمونه بالعصبة النسائية ليست بمحرم.

ويجب في العمر مرة، وفضله عظيم، كما سيأتي في الأحاديث: «**يرجع من حجه كيوم ولدته أمه**»، ما هناك عبادة مثل هذه العبادات، «**والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهيأ لنا سبل الحج والعمرة، وأن لا يحول بيننا وبين بيته المقدس المعظم بذنوبنا وخطايانا وسيئاتنا.

قالوا: بعض العلماء قال: اللهم إني أسألك المجاورة عند بيتك أربع سنوات، فجاور فيها أربعين سنة، ثم جاءه رؤية في المنام وقال: سألتنا أربع سنوات فجازيناك بأربعين سنة، الحسنة بعشر أمثالها، ومات من سنته.

الحق والله لولا أننا أحببنا العلم وبث العلم أن المجاورة للبيت المعظم من أحسن ما يكون، تصلي، تطوف، تعتمر متى شئت، وإن تيسر لك الحج في عامك، بيت مقدس معظم، النبي ﷺ قال: «**لولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**».

لكن الحمد لله نحن في خير، «**اعمل من وراء البحار، فإن الله لن يترك من عملك شيئا**»، وإلا بركة في ذلك المكان والله بركة، يا أخي الصلاة بمائة ألف صلاة، أين تجد هذا؟ والطواف كم له من فضل؟ والعمرة كلما حمَّم شعر رأسك ذهبت تعتمر، فكم حاجات تقضى! وكم زلات تغفر! وكم حسنات ترفع!

فهنيئا لمن يسر الله له الحج، هنيئا له والله، هذا إذا كان من أهل الاستقامة وأهل المتابعة، وإلا قد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يغرك ضجيج الناس في الموقف بلبيك، والله أنك هنا تقول: لبيك اللهم لبيك، وذاك بجانبك يقول: يا حسيناه يا علياه يا حسيناه، أيش مع هذا السفيه؟ يشرك ويندد في أفضل يوم وفي أشرف الأماكن والمواطن التي هي من شعائر إبراهيم، شعائر إبراهيم قامت على التوحيد، ما قامت على الشرك والتنديد.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وهؤلاء: لبيك يا حسيناه لبيك يا علياه، دينهم الحسين وعلي وفاطمة، النبي ﷺ إذا ذكروه لُحْقة، لا تصدقوهم، والله إذا ذكروا النبي ﷺ إنما هو لحقة.

حتى الطعن في صحابة النبي ﷺ إنما هو ستار، وإلا هم يريدون النبي ﷺ.

أضرب لكم مثلا: لو واحد يدخل من ذاك الباب ويقول: يا عبد الحميد جميع طلابك هؤلاء قليلي أدب، ويذمهم: ما فيهم خير، ما فيهم صلاح، معناه: أنا ما في خير، ولا فيَّ صلاح، ولا في أدب.

فهم يريدون النبي ﷺ، إنما تعاظموا الوقيعة فيه؛ لأن أي إنسان ولو كان عاصيا ولو كان كيف ما كان سيغضب على النبي ﷺ.

(﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾) البيت المراد به الكعبة، الألف واللام للعهد، ما هو أي بيت، والحج في اللغة: القصد، وهذا دليل على وجوب الحج، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧].

الصحيح من أقوال أهل العلم: أن تارك الحج لا يكفر إلا إذا جحده.

١٢٧١ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «بُنِي الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

البخاري رتب كتابه على هذا الحديث، وإلا فأكثر الأحاديث على تقديم الصوم على الحج.

الشاهد من الحديث: أن حج البيت من أركان الإسلام الخمسة.

١٢٧٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُم الحَجَّ فَحُجُّوا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُوني مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ». رواه مسلم[2].

الشرح:

(فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسولَ اللهِ؟) الأقرع كما في رواية خارج الصحيح.

هذا حديث من جوامع كلم النبي ﷺ، ومن الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

(قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ) وكثيرا ما يخطبهم؛ لتوجيههم وتعليمهم وتفقيههم.

(أَيُّهَا النَّاسُ) ويراد به الخصوص، والنساء من الناس، كما قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) انظر الحديث (١٠٧٥).

(٢) حديث رقم: (١٣٣٧).

(قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُم) أي: أوجب، ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ﴾ [سورة التحريم: ٢] أي: أوجب.

(الحَجَّ فَحُجُّوا) وهو معلوم في أشهر معلومات، ليس في كل يوم ولا في كل شهر، إنما يكون في أشهر الحج، مبدؤها شوال، وينتهي بذي الحجة، لكن أيامه: يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، وثلاثة أيام أيام التشريق، ستة أيام، ويجوز أن يأتي به في خمسة أيام، بل يصح أن يأتي به في أربعة أيام، إذا تأخر عن يوم التروية جاز له الوقوف بعرفة ولو بالليل، ثم يوم النحر، ثم في يومين بعده.

(لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ) فيه أن النبي ﷺ أمره يفيد الوجوب، حتى تأتي قرينة تصرفه عن ذلك.

(وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ) فيه التخفيف، «إن هذا الدين يسر».

(ذَرُونِي) أي: اتركوني ودعوني.

(مَا تَرَكْتُكُمْ): ما لم آمركم بشيء.

(فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) من اليهود والنصارى.

(بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ) يسألون ولا يعملون، أما أهل الإسلام إنما في القرآن أربعة عشر سؤالا: ويسألونك، ونهاهم الله عن سؤال النبي ﷺ، وكان يعجبهم أن يأتي الرجل من البادية يسأل.

(وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ) أي: رد أوامر أنبيائهم، كما فعل بنو إسرائيل مع موسى.

(فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) هذا دليل على أن الواجب على قدر الاستطاعة، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [سورة الطلاق: ٧].

(وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ)؛ لأن النهي ما يحتاج إلى فعل، إنما تترك وتبتعد، أما الأمر يحتاج منك إلى نوع كلفة، فلذلك إذا عجزت فأنت معذور.

١٢٧٣ - وعنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرسولِهِ»، قيل: ثُمَّ ماذا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبرُورٌ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(المبرور) هُوَ: الَّذِي لا يرتكِبُ صاحِبُهُ فِيهِ معصيةً.

الشرح:

وقد سئل النبي ﷺ عن بر الحج فقال: «العَجُّ والثَّجُّ»، العج: رفع الصوت بالتلبية والتكبير، والثج: كثرة الذبائح والهدايا.

(سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟) فيه أن الأعمال تتفاضل، فمنها فاضل وأفضل، وحسن وأحسن.

(قَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَرسولِهِ)؛ لأن صحة الأعمال تعود إليهما، فمن لم يؤمن بالله لم يُقبل منه عمل، ومن آمن بالله ولم يؤمن برسوله فهو كاذب في إيمانه، ولم يقبل له عمل، وهما دليل على وجوب الإخلاص والمتابعة.

(الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ) الجهاد لإعلاء كلمة الله، سواء جهاد الكفار أو جهاد المنافقين، ويدخل فيه جهاد أهل العلم.

(حَجٌّ مَبرُورٌ) المبرور: هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية، نسأل الله أن ييسر الخير العظيم، فهنيئا لمن حج على هدي النبي ﷺ، «خذوا عني مناسككم».

وهذا الحديث لا يتعارض مع حديث عبد الله بن مسعود وما في بابه: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «بر الوالدين»، قيل: ثم ماذا؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، فإن النبي ﷺ كان يجيب كل واحد على ما يحتاج إليه، فمثلا بعضهم قائم بهذه الأعمال فيوصيه بغيرها.

١٢٧٤ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

(مَنْ حَجَّ) أي: البيت.

يعني (كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ): يخرج كأن لم يكن عليه ذنب، حتى أن بعض أهل العلم استدل بهذا الحديث على أن الكبائر يكفرها الحج، وإن كان جمهورهم ذهبوا إلى أن الكبيرة لا بد لها من توبة.

والرفث: هو الكلام بالجماع عند النساء، ولهذا جاء أن ابن عباس كان يقول:

وهـــن يمشـــين بنـــا هميســـا إن تـ صدق الطيـــر نُنِـــك لميســـا

فلم ينكروا عليه؛ لأنه كان يقوله في غير وجود النساء.

(وَلَمْ يَفْسُقْ) بقتل، أو سب، أو شتم، أو نحو ذلك.

وهذا فضل عام للرجال والنساء، والأحرار والعبيد.

١٢٧٥ - وعنه: أَنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةَ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

العمرة جائزة في كل يوم من السنة، ليس لها وقت محدد، حتى يوم عرفة تجوز لمن لم يرد الحج يعتمر، ويوم النحر يجوز، إلا أنه سيكون في زحام.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا) ما تتابع الإنسان بينهما كفارة لصغائره.

(وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةَ) تقدم بيان الحج المبرور.

١٢٧٦ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَت: قُلْتُ: يَا رسول الله، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ فَقَالَ: «لَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وجاء في رواية: «عليكن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة»، وفي رواية: «الحج».

استدل بعضهم على وجوب العمرة بالحديث الأول، إلا أن كلمة العمرة فيها كلام، لكن يشهد لها أحاديث أُخر.

(نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟) فيه فضيلة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحرصها على العلم والعمل.

وفيه أن النساء دون الرجال في كثير من الأعمال.

(لَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ) أي للنساء، وأيضا للرجال إذا لم يكن ثمت جهاد بالسنان، ويذكر: أن عبد الله بن المبارك كان يحج عاما ويجاهد عاما، ويذكرون: أن سفيان بن عيينة حج سبعين سنة.

١٢٧٧ - وعنها: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَن يَعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ». رواه مسلم[2].

الشرح:

وفيه زيادة: «إن الله يدنو، ثم يقول لملائكته: انظروا ماذا أراد هؤلاء»، والدنو في ذلك اليوم مخصوص بأهل عرفة.

---

(١) حديث رقم: (١٥٢٠).

(٢) حديث رقم: (١٣٤٨).

والتعريف بدعة، ما يفعله بعضهم من التوجه إلى المساجد بعد العصر والاجتماع للأدعية ونحو ذلك من البدع، فهذه الأحكام إنما تكون في حق من كان في عرفة، جاءت آثار عن بعضهم ليست بحجة أصلا، فالدنو والنزول في ذلك اليوم مخصوص لأهل عرفة، والمباهاة مخصوصة بأهل عرفة.

وغير أهل عرفة شرع الله لهم الصيام، ويدعو في صيامه، والصائم له دعوة، ويوم جمعة إن شاء الله في هذا العام، والجمعة من مواطن استجابة الدعاء من أولها إلى آخرها.

أما التكلف وإتيان المساجد لقصد التعريف فقط هذا فيه ما فيه.

١٢٧٨ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً - أَوْ حَجَّةً مَعِي». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

فيه فضيلة العمرة في رمضان، مع جوازها طول العام.

١٢٧٩ - وعنه: أَنَّ امرأة قالت: يَا رسول الله، إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

فيه جواز النيابة عن الميت أو المريض المقعد، أما غير ذلك إن كان تأخره فقط بسبب عدم وجود المال لا يجوز النيابة عنه؛ لأن الاستطاعة قد تكون بالمال وقد تكون بالبدن، فمن كانت استطاعته بالمال والبدن وجب عليه الحج، ومن كانت استطاعته بالبدن لا المال لا يجب عليه الحج حتى يتيسر أمره، ومن كانت استطاعته

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٣)، ومسلم (١٢٥٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤).

بالمال لا البدن يجب عليه أن يؤدي من يحج عنه، كأن يكون رجل له مال وهو مشلول، يجعل من يحج عنه.

١٢٨٠ - وعن لقيط بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه أتى النبيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلَا العُمْرَةَ، وَلَا الظَّعَنَ، قَالَ: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

(وَلَا الظَّعَنَ): الانتقال من مكان الى مكان.

(حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ) هذه اللفظة احتج بها على وجوب العمرة، والعمرة واجبة على الصحيح.

وفيه جواز النيابة في الحج.

١٢٨١ - وعن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حُجَّ بِي مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ في حَجةِ الوَدَاعِ، وَأَنَا ابنُ سَبعِ سِنينَ. رواه البخاري[(٢)].

الشرح:

فيه صحت حجة الصغير، إلا أنه يجب عليه حج إذا بَلَغ، ويجوز حج العبد، لكن يجب عليه حج إذا عُتق، وسيده وأبوه يؤجر، الصغير يؤجر وليه، والعبد يؤجر سيدة إن سمح له بذلك.

ويحرمون، يلبسونهم لباس الإحرام، ويطوفون بهم معهم، حتى لو طافت الأم بولدها بين جنبيها في حال طوافها يجزئ عن الاثنين وهو معها، وإذا كان في رمي الجمار يرمون عنه.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨١٠)، والترمذي (٩٣٠).

(٢) حديث رقم: (١٨٥٨).

١٢٨٢ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟» قالوا: المسلِمُونَ، قالوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رسولُ اللهِ»، فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ». رواه مسلم[1].

الشرح:

فيه أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، ولذلك سألهم من هم؟

(فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟) فيه سؤال أهل العلم، وفيه أن صوت المرأة ليس بعورة.

(نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ) يعني: له أجر حجة، ولك أجر في إعانته، وأجر في القيام به، كما في حديث أبي طليق: «لو أعطيتها من نفقتك كانت وكنت في سبيل الله».

١٢٨٣ - عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكانت زَامِلَتَهُ. رواه البخاري[2].

الشرح:

فيه جواز ركوب الهدي، وأيضا جواز ركوب الدابة، وتحمل لك المتاع الذي أنت عليه، وأن الراكب أفضل من الماشي؛ لأن الراكب في حجه وعمرته يتقوى على الدعاء، يتقوى على كثير من الطاعات.

---

(١) انظر الحديث (١٧٩).

(٢) حديث رقم: (١٥١٧).

١٢٨٤ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَتْ عُكَاظُ، وَمَجِنَّةُ، وَذُو المَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأَثَّمُوا أن يَتَّجِرُوا في المَوَاسِمِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩٨] فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ. رواه البخاري(١).

الشرح:

يعني: ظن بعضهم أنه إذا عمل في أيام حجه أن حجه ينقص أو أجره يذهب أو نحو ذلك، فأنزل الله هذه الآية، لا مانع أن يحج ويعمل، يتكسب بما لا يتعارض مع حجه.

وبهذا تعلم أن العساكر الذين يكونون في عرفات إذا نوى الحج صح حجهم، وهكذا أصحاب البوفيات، وسواقي الباصات، وجميع هؤلاء إذا أحرموا صح حجهم.

وبالنسبة للمبيت في منى والمبيت في مزدلفة إذا لم يتمكنوا يعذرون فيه، لكن بعضهم ربما يسوق الباص وما يدري هذا الحكم، أو لا يبالي بهذا الحكم، وإلا قد ابتلاه الله بهذا الخير أنه يسوق بالحجاج يحج، يلبس إحرامه ويلبي، ويبقى معهم.

وهكذا الأطباء لا بأس أن، ولو كان وقوفهم بعرفات يسير، بل إن الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف مفتي المملكة العربية السعودية الأول أفتى بأن صاحب الطائرة لو مر من على عرفات -أصحاب المهمات الجوية - ونوى الوقوف صح منه حج، أهم شيء أن يأتي ببقية الأعمال؛ لأن سماء عرفات حكمها حكم عرفات.

وعكاظ: سوق بين الطائف ومكة، ومجنة كذلك سوق بين الطائف ومكة، وذو المجاز نفس الخبر، في تلك المناطق كانوا يتسوقون.

(فَتَأَثَّمُوا أن يَتَّجِرُوا فِي المَوَاسِمِ): أيام الحج.

(١) حديث رقم: (٤٥١٩).

(فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩٨] فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ) التي في المصحف إلى قوله: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، (فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ) بيان.

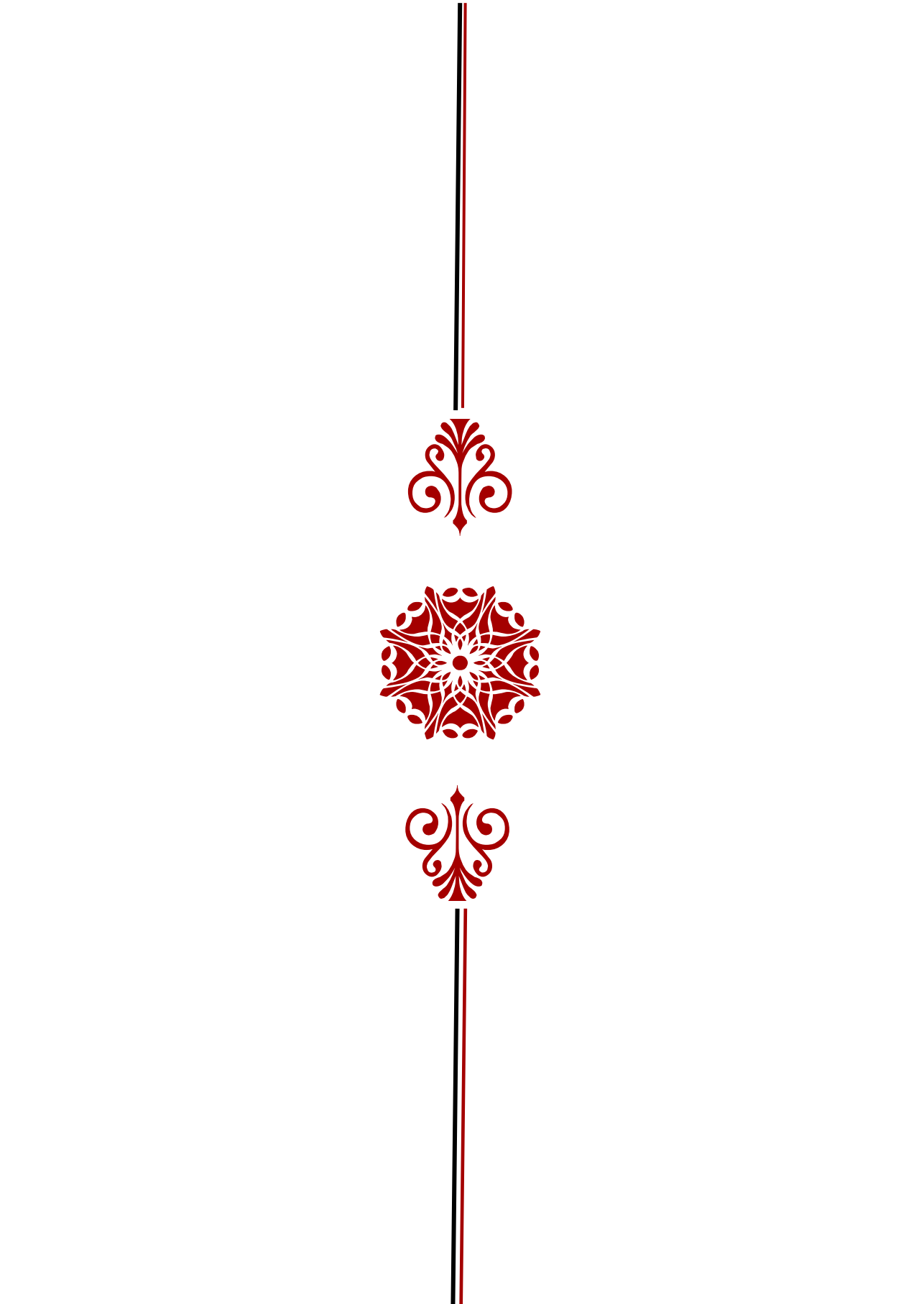

كتاب الجهاد

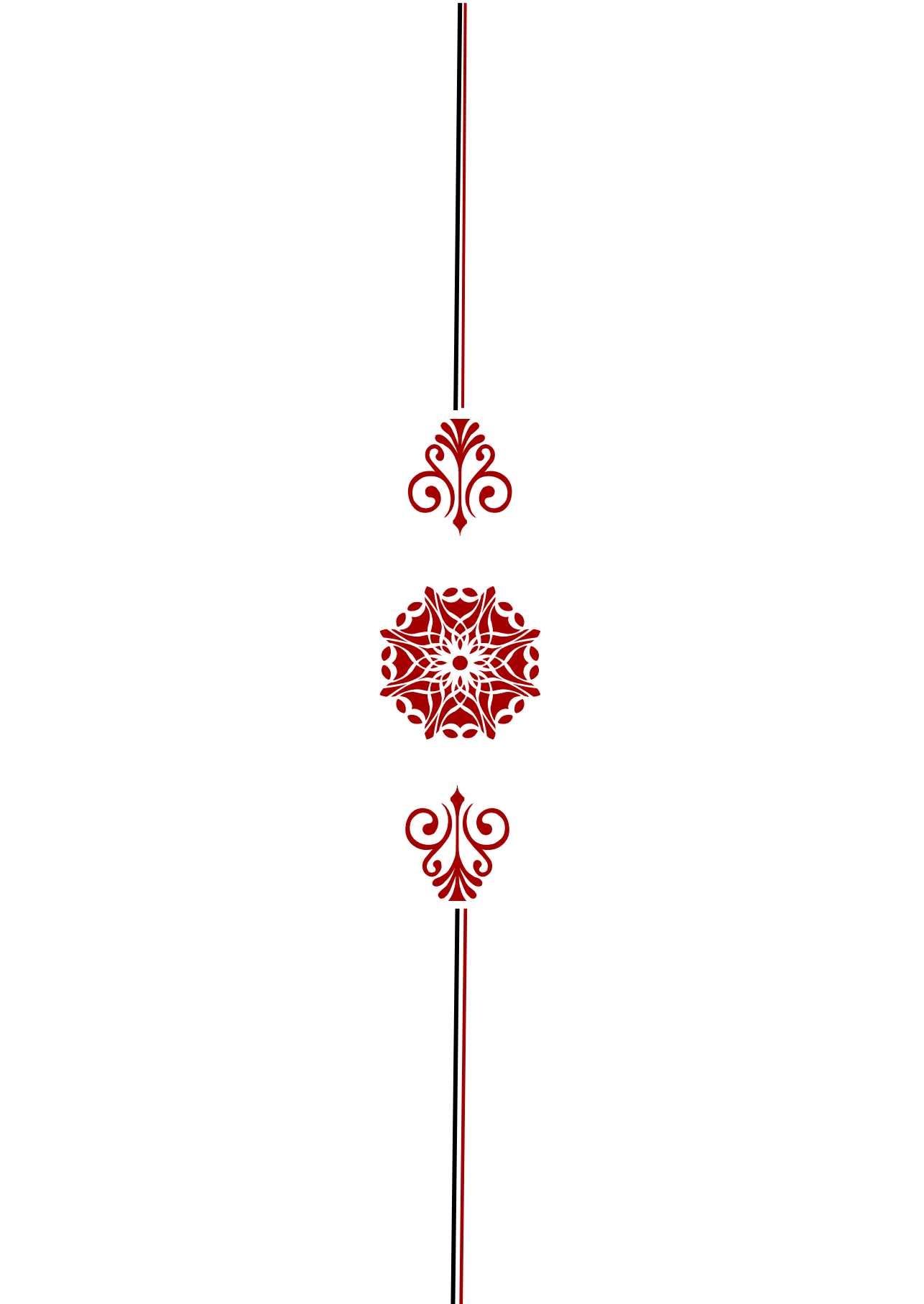

كتاب الجهاد

خرجنا من كتاب العبادات إلى كتاب الجهاد، وما يليه من الأبواب.

والجهاد مأخوذ من الجهد وبذل ذلك، والجهاد أقسام:

الأول: جهاد النفس، فإنك إذا كنت ضعيفا عن جهاد نفسك عجزت عن جهاد غيرها؛ لأن نفسك بين جنبك، إذا انتصرت عليها كانت عونا لك بعد عون الله على الانتصار على غيرها، أما إذا كانت نفسك قوية عليك متسلطة عليك توردك الموارد؛ لأن النفس يتسلط عليها الشبهات أو الشهوات، فإذا ضعفت سهل الدخول عليها.

الثاني: جهاد الشيطان؛ لأن الشيطان عدو للإنسان، يثبطه عن الخير، ويأزه على الشر، ويجلب عليه في خيله ورجله، ويشاركه في جميع شأنه، فلا بد أن يكون مجاهدا له مجتهدا في دفعه، ولن يستطيع إلى ذلك سبيلا إلا بعد أن ينتصر على نفسه الأمارة بالسوء.

فإذا انتصر على نفسه وعلى الشيطان انطلق إلى جهاد آخر وهو جهاد الكفار إن وُجد، ويكون بالسنان، وربما كان باللسان، وهكذا جهاد المنافقين باللسان، وإن جاهدهم ولي الأمر بالسنان لا بأس أن يجاهد معه، أما النبي ﷺ لم يقاتلهم، هددهم الله بتحريض النبي ﷺ على قتالهم ولم يفعل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، وهكذا جهاد أهل البدع بالتحذير منهم، وبيان الحق والسنة.

ومن أعظم المجاهدين في كل زمن هم العلماء ومن إليهم، حتى جهاد السنان صحته من فساده عائد إلى فتواهم وإلى قولهم، وإذا كان الشهيد يبذل نفسه لنصرة دين الله ولإعلاء كلمة الله فالعالم يبذل وقته ونفسه وجميع شأنه في إعلاء كلمة الله.

ورب مجاهد يجهل كثيرا من أحكام الدين بسنانه، بينما العالم يخرج الناس بعد عون الله عَزَّوَجَلَّ من ظلمات الجهالات ومن الشركيات والبدع والخرافات إلى نور التوحيد والسنة.

فاحتسبوا يا طلاب العلم، أنتم في جهاد، عليكم بالإخلاص فيه، قال النبي ﷺ: «**والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله عَزَّوَجَلَّ**»، فأنتم تجاهدون أنفسكم، وتجاهدون الشيطان، وتجاهدون المشركين، وتجاهدون المنافقين، وغير ذلك من المخالفين.

وانظروا إلى شدة بغض اليهود والنصارى لأهل السنة وأهل الحديث، مع أننا نتكلم فيما يحذرونه ظاهرا، هم يقولون: نحن نحذر من الفرق الجهادية والفرق التكفيرية، وأهل السنة هم من يواجهون هؤلاء، ويحذرون من مخالفاتهم ومن باطلهم ومن أفعالهم، لكن خوفهم أكثر من المجاهدين الملازمين لبيوت الله، من المجاهدين بالأقلام، من المجاهدين بالبيان.

وهذا هو الواقع الذي لا ينكره إلا مغفل، كان شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يقول: أمريكا ما تخاف من دباباتنا ولا من طائراتنا، فهم الذين صنعوا الدبابات وصنعوا الطائرات، وما يبيعون منا إلا الخردة، وفعلا، لكن يخافون من العقيدة.

ذكر بعض إخواننا: أنه سافر إلى أمريكا، معه جنسية أمريكية، فلما وصل إلى المطار مسكوه يحققون معه، يقولون: أنت إرهابي؟ قال: لا، لا، أنا ما أنا إرهابي، نحن نتكلم في داعش، وفي القاعدة، وفي جماعة الجهاد، ونحن جئنا من دماج حاربنا

الحوثيين، قالوا: أنت جئت من عند يحيى الحجوري (ذا تيتشر أُف ذا عقيدة)؟ يعني: يدرس العقيدة.

فهم يخافون من دروس العقيدة، ما يخافون من الصواريخ، إسرائيل عندها القبة الحديدية، قبة على إسرائيل جميعا، تطلق بالصاروخ ينفجر بالهواء، أمريكا عندها الباتريوت، منظومة تصد الصواريخ، روسيا عندها إس فور، منظومة لصدع الصواريخ العدائية، كلهم عندهم من الأسلحة الشيء المذهل.

لكن أعياهم سلاح أهل الإيمان، أعيتهم العقيدة الصحيحة، الآن يقومون ويجلبون علينا بخيلهم ورجلهم، ويغرسون الماسونيين في صفوفنا، وتأتي المنظمات بأنواعها، ويأتي المستشرقون، وتقوم دول تناصر ومؤتمرات تؤيد أفكارهم، ويريدون أن يرضى أهل الإسلام بالقول بالتقارب مع الأديان، أو وحدة الأديان، أو المذهب الإبراهيمي.

ويجدون من يقوم عليهم من أهل السنة والجماعة بفضل الله عَزَّوَجَلَّ يبينون عوارهم، ويجاهدونهم بألسنتهم وبأقلامهم، وهو والله الجهاد العظيم، الذي نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص فيه، والله إن رُزقنا الإخلاص فيه أنه أعظم من أن تهجم عليهم بطائرة ودبابة، وتفتح ألف كيلو في ألف كيلو، على عقيدة فاسدة، على عقيدة سيئة.

أنت تدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وإلى ما اتفقت عليه جميع الأنبياء وجميع المرسلين، هذا هو الجهاد حقا وصدقا، قام به نوح، قام به إبراهيم، قام به موسى وعيسى ومن إليهم، وختموا بمحمد ﷺ، ومن سار على سيره، كلهم يجاهدون لإعلاء كلمة الله.

إذا كان المقاتل قد يقاتل لإعلاء كلمة الله وله طريق واحدة لإعلائها فالعالم يعليها من طرق متعددة بعون الله له، يعليها بإظهار محاسن التوحيد، بإظهار محاسن العقيدة الصحيحة، بإظهار العبادة الحقة، يُعليها ببيان حال المبطلين، وبرد شبههم، وبالتميز عنهم.

فهذا الكتاب كتاب جميل جدًّا، كتاب الجهاد، لكن علينا أن لا نقصره على جهاد السنان، بل نضمنه جهاد البيان، جهاد العلم والبرهان، النبي ﷺ كان يبدأ بالدعوة قبل القتال، دليل على أن جهاد العلم قبل جهاد السيف، وإنما يجاهد بالسيف من رد العلم، أما من قبل العلم: فإن قبلوا فاقبل منهم، وكف عنهم، وأخبرهم أن يتحولوا إلى دار الهجرة، فإن قبلوا وإلا كانوا كأعراب المسلمين، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، إذا قبلوا هذا الجهاد العظيم.

وإنما يكون جهاد السنان إذا رفضوا الالتزام بمبادئ الإسلام، لا دخولا فيه، ولا امتثالا بالجزية وما إليها، وسيأتي معنا إن شاء الله في كتاب (زاد المعاد) كلاما نفيسا لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب العظيم، الجهاد، تسمت به جماعة وهي إلى الفساد، يسمون أنفسهم بالمجاهدين وهم المفسدون، جهادهم على أهل الإسلام، يقتلونهم، ويفجرون في بلدانهم، ويجلبون الشر عليهم.

٢٣٤ - باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة

أي في سبيل الله، ووجوبه قد يكون على المكلف وعلى العين وقد يكون على الكفاية، هذا جهاد السنان؛ لأن منه جهاد دفع وجهاد طلب، جهاد الدافع يكون واجبا على المستطيع، وجهاد الطلب على الكفاية، إلا إذا استنفر الإمام، «**وإذا استنفرتم فانفروا**».

وكان مبدأ الجهاد: أن الله عَزَّوَجَلَّ في مكة أمرهم بالصبر، ثم لما هاجروا إلى المدينة أذن لهم في الدفاع عن أنفسهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [سورة الحج: ٣٩]، ثم بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [سورة التوبة: ١٢٣].

وما زالت هذه الأحكام إلى يومنا هذا، الفرق الضالة في هذا الباب ترى تعين الجهاد بالسنان في أي وقت وأي حين، ربما يلبس حزاما ويذهب يتفجر، ويقول لك: مجاهد، لا، الأحكام التي كانت في زمن النبي ﷺ تجري على هذا الزمان، فإن كان المسلمون في حالة استضعاف فالصبر، وإن كانوا في حال استطاعة لدفع الشر دفعوا.

وإن كانوا في قوة تمكنهم من غزو الكافرين كما كان يفعل السلف الصائفة والشاتية فعلوا، كانوا يقولون: على الإمام أن يقوم بغزوتين في العام، هذا في أيام الهدوء، أما إذا كانت الفتوح ماشية يستمرون في شأنهم.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٣٦].

وقال تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

وقال تَعَالَى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة التوبة: ٤١].

وقال تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١١١].

وقال الله تَعَالَى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٩٦﴾ [سورة النساء: ٩٥-٩٦].

وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [سورة الصف: ١٠-١٣].

والآيات في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

الشرح:

(﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾) هذه ناسخة لتلك الآيات على قول لأهل العلم.

(﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾) كره لهم من حيث أنه يؤدي إلى الجراحات، وكانوا يتمنون الغنائم، ومع ذلك قد وُجد من يبحث عن الموت، «**يبتغي القتل، والموت مظانه**».

(﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾) الحياة قد يحبها الإنسان وفيها شر وفتنة، «**يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال خير عند الحساب**».

(﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾) يعلم بما كان وما يكون، وما فيه مصلحة لعباده، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [سورة لقمان: ٣٤].

(﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾): {ٱنفِرُواْ} أي: مع النبي ﷺ، ومع أولي الأمر إذا أعلنوا الجهاد.

{خِفَافٗا}: مع قلة ومع حاجة، {وَثِقَالٗا}: مع كثرة ومع قوة.

{وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ} بدأ بالأموال؛ لأن المجاهد بغير مال يضعف، يحتاج إلى مركب، يحتاج إلى مؤن، يحتاج إلى طعام، يحتاج إلى سلاح، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠].

{فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ} الإخلاص، لا ينفع إلا إذا كان مع الإخلاص، أما بدون إخلاص سيأتي أنه قال: «**إنما قاتلت ليقال: شجاع، وقد قيل**».

(﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾) هذا من أمثال القرآن، حيث مثل الله عَزَّوَجَلَّ المعاوضة القائمة في طلب الآخرة وطلب الجنة بمن باع واشترى.

(﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾) يقتلون غيرهم، ويُقتلون هم.

(﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ﴾) أي: الجنة لهم.

(﴿حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾) يعني: وعد المجاهدين بالخير العظيم في هذه الكتب الثلاثة.

(﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾)؟ لا أحد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [سورة آل عمران: ٩].

(﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾): استبشروا بأجره وثوابه، واستبشروا ببركته.

(﴿وَذَٰلِكَ﴾) البيع والبذل لإعلاء كلمة الله (﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾).

انظر (﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ﴾)، ثم يليهم المجاهد بماله فحسب، هذا في حال عدم الحاجة إليه؛ لأنه قد يقوم بعدة مجاهدين بأنفسهم، ثم يليه المجاهد بنفسه، لا سيما إذا قُتل، ثم يليهم المؤمن الذي تخلف مع طاعته لربه على خير، لكن فاته الخير العظيم.

(﴿وَكُلّٗا﴾) أي: كل المؤمنين، (﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾) إلا إذا كان القاعد من أولي الضرر، ونيته حسنة، «**إن بالمدينة لرجالا ما نزلتم واديا أو شعبا إلا كانوا معكم، حبسهم المرض، حبسهم العذر**».

(﴿دَرَجَٰتٖ﴾) سيأتي معنا أن: «**في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجة ما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله**».

(﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾): متجاوزا عما سلف، وموفقا لما يأتي.

(﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾)؛ لأن الإيمان بالله ورسوله عليه تقوم الأعمال صحة أو فسادا، فإذا قاتل الإنسان ولو قُتل وهو غير مؤمن لا ينفعه ذلك.

(﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾) فإن فعلتم ذلك (﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾): يتجاوز عنها ويسترها، (﴿وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾) يوم القيامة، (﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾): قصور (﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾): جنات الإقامة، بساتين الإقامة الدائمة، ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [سورة الواقعة: ٣٣].

(﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾) ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾.

(﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَانَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) وهي النصر والسلامة.

قد أُلفت كتب في الجهاد، لابن المناصف كتاب في ذلك، ولابن المبارك كتاب في ذلك، وقد ضُمنت كثير من كتب العلم هذا الباب؛ لأهميته، فتجد كتاب (الجهاد والسير)، وتجد (كتاب المغازي).

فهو باب عظيم تحته أبواب، باب واسع تحته أبواب، فنسأل الله أن يعيننا على طاعته ومرضاته.

وسيبقى الجهاد في الأمة إلى أن يقاتل آخرهم المسيح الدجال؛ لأنهم قالوا: يا رسول الله سِيبت الخيل، قال: «**كذبوا الآن جاء القتل، لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**»، وذكر أن الله يهيأ لهم من يقاتلونه، حتى تقوم الساعة وهم ظاهرون.

وهذه الطائفة تارة تجاهد باللسان، وتارة تجاهد بالسنان، لكن جهادهم تحت ولي الأمر.

وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أَنْ تحصر، فمن ذلك:

١٢٨٥ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أَيُّ العَمل أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ» قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجهادُ في سَبيلِ اللهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

فيه أن الصحابة كانوا يسألون النبي ﷺ عن أسباب سعادتهم، وأسباب رفعتهم.

(قَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ) قدمه؛ لأن صلاح الأعمال على هذا الأمر، وعلى هذا العمل.

(قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الجهادُ في سَبيلِ اللهِ) ثنا به؛ لأن به يقوم الإيمان، وبه يرفع الإسلام، وبه يزلزل الشرك والبدعة.

(قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ) وبر الحج: أن يكثر فيه من الذكر والذبح، وأن يتجنب أسباب الفسق.

١٢٨٦ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

هذا الحديث لا يتعارض مع سابقه، فإن النبي ﷺ ربما يجيب كل سائل بما يناسب حاله.

---

(١) انظر الحديث (١٤٧٣).

(٢) انظر الحديث (٣١٤).

(أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟) فيه أن الأعمال تتفاضل، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يحب، وهي من صفاته الفعلية.

(الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا) جاء في رواية: «على أول وقتها»، وهي رواية شاذة، شذ بها البارقي.

(بِرُّ الوَالِدَيْنِ)؛ لأن الله قرنه بحقه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

(الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ): الجهاد لإعلاء كلمة الله.

١٢٨٧ - وعن أَبي ذرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ العَمَلِ أفْضلُ؟ قَالَ: «الإيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

١٢٨٨ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

الغدوة تكون بالصباح، والروحة تكون بالمساء، فما دمت في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ نالك هذا الأجر العظيم، ومن ذلك: الغدو إلى المسجد، والرجوع من المسجد، والروحة إلى المسجد لطلب العلم، وإن تيسر الجهاد الشرعي الجهاد الشرعي أمره مطلوب، لكن أيضا العلم من الجهاد.

وكثير من الأحاديث تدخل في هذا الباب، مع أننا نرى أن جهاد السنان قد يتعين في بعض الأوقات على جميع أنواع الجهاد، «وإذا استُنفرتم فانفروا»، وهكذا عند الدفع.

---

(١) انظر الحديث (١١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (١٨٨٠).

١٢٨٩ - وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مُؤْمنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ في شِعَبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

في هذا الحديث فضيلة الجهاد، وفضيلة المجاهدين، لا سيما إذا اجتمع في حقه جهاد النفس وجهاد المال، فهذا أعظم أنواع الجهاد.

ثم (مُؤْمِنٌ) ما هو مجاهد لكن يجاهد نفسه (في شِعَبٍ مِنَ الشِّعَابِ) يصلي يصوم، ومنه المتفرغ لطلب العلم أيضا.

(يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ) لا يدخل في أمورهم، ولا ينافسهم في دنياهم، الله المستعان.

١٢٩٠ - وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

هذا حديث عظيم، فيه الإشارة إلى عدة مسائل من مسائل الجهاد:

الأولى: (رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ): حراسة، تفقد لأحوال المسلمين، رباط في الثغور؛ حتى لا يُؤتى المسلمون من قبل ذلك المكان.

---

(١) انظر الحديث (٥٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٢)، ومسلم (١٨٨١).

(خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) ما هي الدنيا؟ الدنيا فانية زائلة، وهذه حسنات جارية، كما سيأتي معنا أنه من أسباب السلامة من فتان القبر.

(وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) أيش هي الدنيا؟ الدنيا فانية، كما يقولون: حلالها حساب وحرامها عقاب، أما الجنة هنيئا لمن دخلها، هنيئا لمن وصلها، هنيئا لمن شمر إليها، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [سورة الحاقة: ٢٢-٢٤].

(وَالرَّوْحَةُ) يعني في المساء يذهب إلى سبيل الله، (أَوْ الغَدْوَةُ)، يذكرون الروحة والغدوة دون منتصف النهار؛ لأنهم كانوا في الغالب في منتصف النهار يقيلون من شدة الشمس، فيستغلون الصباح مع برودة الجو، ويستغلون المساء مع برودة الجو، فكلاهما خير من الدنيا وما فيها.

١٢٩١ - وعن سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ» رواه مسلم(١).

الشرح:

في هذا الحديث فضيلة الرباط في سبيل الله، (خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ) لو أن إنسانا يصوم في ليله ونهاره ويقوم في ليله ونهاره لكان المرابط يوم وليلة - أربعا وعشرين ساعة - خير منه وأفضل منه وأحسن منه؛ لأن عمله متعد، وعمل الصائم لازم له.

(وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ) إذا مات في الرباط، يعني صدقة جارية.

---

(١) حديث رقم: (١٩١٣).

(وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) في قبره.

(وَأَمِنَ الفَتَّانَ) وفتان القبر إنما يأمن منه بالنص ثلاثة: النبي، والمرابط، والشهيد، والصديق أضافوه من باب أنه أفضل من الشهيد.

فانظر إلى هذا الفضل العظيم، وكان الرباط في هذه المرتبة؛ لأن الإنسان قد يجاهد، الجهاد سهل على النفس، لا سيما الهجوم والكر والفر، لكن الرباط أحيانا يتعب النفس، يحتاج الإنسان إلى أن يبقى منتبها للعدو، مراقبا لحركاته، مراقبا لسكناته، وهكذا.

١٢٩٢ - وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إلاَّ المُرَابِطَ فِي سَبيلِ اللهِ فَإنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلهُ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ) حتى وإن كان ممن كان.

(إِلاَّ المُرَابِطَ فِي سَبيلِ اللهِ) وهكذا كثير من الأموات كالعالم، صدقة جارية، علم ينتفع به، ولد صالح يدعو له، لكن المرابط يجري عليه عمله الذي كان يعمل، ليس فقط الصداقات الجارية تصل إليه بل عمله الذي كان يعمل، يجريه الله عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١)، موافق لما قبله، وهو في صحيح شيخنا مقبل، وكذلك صححه الشيخ الألباني.

١٢٩٣ - وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

١٢٩٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَضَمَّنَ الله لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِي وَإِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِم، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ». رواه مسلم، وروى البخاري بعضه[(٢)].

(الكَلْمُ): الجَرْحُ.

الشرح:

هذا حديث عظيم، رواه البخاري ومسلم.

(تَضَمَّنَ الله) أي: تكفل الله، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [سورة النساء: ٨١]، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ [سورة النساء: ٦].

(لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ): الإخلاص، فالخارج كثير، لكن المخلص قليل.

---

(١) حديث رقم: (١٦٦٧)، الحديث ضعيف، من طريق أبي صالح مولى عثمان، وهكذا رجح الدارقطني الإرسال.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٧٦)، ورواية البخاري (٣٦).

(لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِي) ليس لقصد الغنيمة، وإن كان الغنيمة جائزة، وليس لقصد المعاش، وإن كان المعاش جائزا، لكن هذا خرج من أجل دين الله، خرج لإعلاء كلمة الله.

(وَإِيمَانٌ بِي): إخلاص، وأن يكون مسلما، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧].

(وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي): متابعة؛ لأن العمل لا يقبل إلا بالإخلاص والمتابعة، ومصدق بالوعد على هذه الأعمال الصالحة.

(فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ) أي: يجد ما ضامن الله عليه، والضامن يلزمه أداء ما ضمنه.

(أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ) يعني: إذا مات في تلك الغزوة.

(أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) ثواب وغنيمة، ربما يحصل على سبية، ربما يحصل على عبد، ربما يحصل على كذا وكذا من الإبل، ربما يحصل على كذا كذا من الذهب، أغنى الله المسلمين بالغنائم.

(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) الحلف بغير استحلاف؛ للتأكيد، وإثبات صفة اليد لله.

(مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ): جرح، رجل يجرح في سبيل الله.

(إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِم) يعني: جرحه يسيل دما.

(لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ) كرامة له.

(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ) فيه رفقه بأمته، فكان يتخلف؛ رفقا بهم، وإلا لعلمه بفضيلة الجهاد ما يحب أن يقعد إلا أن يكون غازيا.

(وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي) وهكذا حال الأنبياء مع أتباعهم، ويتأسى بهم في هذا الباب كثير من العلماء الذين يقومون بطلاب العلم، تجد أن المشقة حاصلة على

الاثنين، حاصلة على العالم وحاصلة على الطالب، كما أن النبي ﷺ المشقة كانت تلحقه من حزنه عليهم، وشفقته بهم، ورحمته لهم، وتلحقهم من تخلفهم عن رسول الله ﷺ، لكن الأجر للفريقين، على ما يأتي وقد تقدم في باب الإخلاص: «**إن بالمدينة لرجال ما سلكتم مسلكا أو نزلتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر**».

(**وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أُغْزَوَ فِي سَبيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أُغْزَوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أُغْزَوَ فَأُقْتَلَ**) فيه تمني الشهادة، وفيه أن (لو) إنما نهى عنها إذا كانت لاعتراض القدر، أما إذا كانت لغير ذلك لا حرج، «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت كما أحللتم**».

١٢٩٥ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَم فِي سَبِيلِ الله إِلاَّ جَاءَ يَومَ القِيَامةِ، وَكَلْمُهُ يدْمِي: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ ريحُ مِسكٍ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

فضيلة الجراحة في سبيل الله، فالمجاهد في سبيل الله مأجور على جراحته، مأجور إن قُتل، مأجور على نفقته، مأجور على وقته، أجره ماض في جميع شأنه، وستأتي أحاديث تبين ذلك.

١٢٩٦ - وعن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله من رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغزَرِ مَا كَانَتْ: لَونُها الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُها كَالمِسْكِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٤١)، والترمذي (١٦٥٧).

(فُوَاقَ نَاقَةٍ) ليس بيوم، (فُوَاقَ نَاقَةٍ): وقت حلب الناقة، إذا قاتلت هذا الوقت اليسير في سبيل الله مخلصا له وجبت لك الجنة، فكيف لمن يجاهد الشهور والأعوام؟

(وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ) النكبة ربما في حجر، رجله تقابل في حجر ينزل منها الدم، أو يسقط منها الظفر، أو نحو ذلك، أو جُرح جرحا تأتي لونها دم وريحها مسك؛ كرامة له وتمييز له بين الناس.

١٢٩٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ بِشِعبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: لَو اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ في هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رسولَ اللهِ ﷺ فذكَرَ ذَلِكَ لرسول الله ﷺ فَقَالَ: «لَا تفعلْ؛ فَإِنَّ مُقامَ أَحَدِكُمْ في سَبيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ في بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ أُغْزُوا في سَبيلِ الله، من قَاتَلَ في سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

وَ (الفُوَاقُ): مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ.

الشرح:

(مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ بِشِعبٍ) منعزل، ما هناك أحد يؤذيه، ولا يؤذي أحدا.

(١) حديث رقم: (١٦٥٠)، وهذا فيه القاسم بن عبد الرحمن ومعاذ بن رفاعة، لكن هذا شاهد للحديث الذي فيه القاسم، وأما حديث الباب في سنده هشام بن سعد المدني، ضعيف، وقد حسنه الألباني كما ذكر المحقق.

(فِيهِ عُيَيْنَةٌ): عين جارية (مِنْ مَاءٍ عَذْبَة)، ربما يربي شاته وبعيره، ويعيش عندها على حال حسن.

(فَقَالَ: لَو اعْتَزَلْتُ النَّاسَ) يسلم من الغيبة، من النميمة، من أشياء كثيرة.

(وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رسولَ اللهِ ﷺ) فيه علمهم بالسنة، وفيه حرصهم على المتابعة، وفيه أنهم لا يفتئتون من عندهم.

(لَا تَفعلْ) البقاء مع الناس والصبر على أذاهم والنفع المتعدي لهم أفضل وأحسن.

(فَإِنَّ مُقامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا) لا إله إلا الله والفضل الواسع، مقام واحد، فكيف بمن يقوم أياما وليال وشهورا؟

(أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟) الجواب: كلهم يحب ذلك، فإذا أحببت ذلك (أُغْزُوا فِي سَبيلِ اللهِ).

(من قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ) تقدم شاهده.

١٢٩٨ - وعنه، قَالَ: قيل: يَا رسولَ اللهِ، مَا يَعْدلُ الجهادَ في سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ» فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»! ثُمَّ قَالَ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبيلِ اللهِ كَمَثلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانتِ بآياتِ الله لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ». متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ مسلمٍ[1].

وفي رواية البخاري: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رسول الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتقومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ»؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨).

أجر عظيم، (مَا يَعْدِلُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟) وهذا مع الاهتمام بالصلاة، والمحافظة على بقية الأركان.

(مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ) يعني: المجاهد ربما ما يصوم وربما ما يقوم؛ لشدة الأتعاب وكثرة الأحمال، ومع ذلك مثله (كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانتِ) الملازم للعبادة، (بآياتِ الله) العامل بها.

(لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ) لا يفتر لا في ليله ولا في نهاره، ومن يستطيع هذا؟ لا أحد، بينما المجاهد نومه حسنات، مشيه حسنات، شربه حسنات.

قد تقدم معنا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الخيل ثلاثة: لرجل أجر»، يعني إذا جرت أجر، وإذا استنت وأكلت أجر، وإذا شربت أجر، بل في روثها أجر.

(فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟) إذًا معناه أن الجهاد أفضل من هذا، المجاهد جميع يومه عمل، غير المجاهد وقت الفجر عمل، ثم وقت الظهر، ثم وقت العصر، ثم وقت المغرب، ثم وقت العشاء، وربما تختلط ببقية أعمال، لكن هذا جميع وقته عمل حتى النوم.

زد على ذلك أنه فارق الأبناء، زد على ذلك أنه فارق الراحة، زد على ذلك الاستجابة لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ، فالحق أن هذه الفضائل عظيمة، الحق أنها فيها حث على الجهاد في سبيل الله، إن وُجد بشرائطه.

والحمد لله والله هيأ الله في هذه السنوات المتأخرة قتال الرافضة والله جهاد، من شك أنه ليس بجهاد هذا يحتاج إلى تصحيح عقيدة، كيف ما هو جهاد؟ أولا: فرقة مارقة، ثانيا: فرقة باغية، ثالثا: فرقة معتدية، قاطعة للسبيل، رابعا: فرقة خارجة عن

الجماعة، في أمور كثيرة، فنسأل الله أن ينصر الإسلام والمسلمين، ويعز الإسلام والمسلمين.

١٢٩٩ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ: رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي القَتْلَ وَالمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذَا الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِن الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ فِي خَيْرٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ) يعني انظر إلى المعاش في الدنيا كم هو متنوع، كثير واسع، لكن خيره: (رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ) يعني ماسك للجامه، يجره، راكبا عليه.

(يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ) يصير على الفرس، كثير منا ربما لا يستطيع أن يركب على الفرس، أما هذا يركب على الفرس يطير عليه.

(كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ) ربما يخشى أن الفرس يقع به، انظروا إلى هذا الوصف العظيم: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾: يجري ويضبح؛ لشدة ما يخرج من فيه من الهواء، وما يجره وشدة عدوه، فرس، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: لشدة سرعته يقدح النار من الحجارة؛ بسبب الحدوة التي في رجله.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: تغير في الصباح، ربما قبل أن يتبين النهار، أحدنا يقوم من النوم يمطمط يديه ورجليه، ويبعد النوم عن وجهه، وهذه تطير.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: تثير الغبار فوق أصحابها.

---

(١) حديث رقم: (١٨٨٩).

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: تتوسط بهم القتال، بالذات الخيل العربي الأصيل، لماذا المقاتلون يهتمون بالخيل العربي أكثر من البرذون؟ مع أن الخيل العجمي البرذون أسرع من الخيل العربي، لكن الخيل العربي شجاع، إذا رأى السيوف تلمع يهجم بصاحبه، ويدخل بصاحبه، بينما ذاك ربما يفر، هذا الفرق بين النوعين من الخيل.

فانظر إلى هذا الوصف العظيم، ركوب الفرس ليس بالأمر السهل، وهذا المجاهد يركب عليه ويصبر عليه، أحيانا ربما الفرس تنكسر رجله ويسقط الراكب يموت، تصور الآن لو سيارة تمشي بك ثمانين كيلو متر وفجأة تمسك بريك مرة واحدة، ربما تصاب بذبحة صدرية بالسكان.

هكذا الفرس سرعته ثمانين كيلو متر أو نحو ذلك، إذا وقف فجأة واحدة كيف سيكون؟ ربما يموت، زوجة عبادة بن الصامت أم حرام ماذا كان سبب موتها؟ سقطت من على بغلتها، فدقت عنقها فماتت.

فيجاهدون في سبيل الله وهم على وجل وخوف، لكن لم يبالوا بذلك.

(كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً) يعني: منادي للجهاد، أو فزعه على المسلمين.

(يَبْتَغِي القَتْلَ وَالمَوْتَ مَظَانَّهُ) ما هو مبالي ولا يطلب حياة.

(أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذَا الشَّعَفِ) يعني متفرغ للعبادة، منعزل للناس.

(يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ) لا يتكلم في أحد، ولا يؤذي أحدا، لكن هذا إذا كان قد انقطع الجهاد، وإذا كان قد انقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا البقاء بين الناس والصبر على أذاهم أحسن وأكمل، والمجالسة لطلاب العلم والتعاون معهم على البر والتقوى أكمل وأجمل، والإنسان يعالج نفسه، ويسأل ربه العون.

١٣٠٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». رواه البخاري(١).

١٣٠١ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رسولَ اللهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رسول الله؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

(ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى) يعني: أعظم.

انظروا إلى هذا الفضل العظيم للمجاهدين في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، الباذلين لأرواحهم، الباذلين لأوقاتهم، الباذلين لمهجهم، مائة درجة، (مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)، مسيرة خمسمائة عام، ما أوسع الجنة! وما أعظم فضل الله على عباده المؤمنين الموحدين المجاهدين!

(مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ) هذا موافق لحديث العباس عند مسلم: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا».

مفهوم الحديث: أن من لم يرض بالله ربا ليس بمسلم، ومن لم يرض بالإسلام دينا ليس بمسلم، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

---

(١) حديث رقم: (٢٧٩٠).

(٢) حديث رقم: (١٨٨٤).

هؤلاء أصحاب الدعوة إلى وحدة الأديان وإلى تقارب الأديان وإلى ما يسمى بالحزب الإبراهيمي هؤلاء ليسوا بمؤمنين، ليسوا بمسلمين؛ لأنهم ما رضوا بالإسلام دينا، وإنما دينهم الجمع بين الإسلام واليهودية والنصرانية، كيف الجمع؟ كيف يتم الجمع؟ لا يتم الجمع إلا بالتنازل عن التوحيد، وإلا يستحال أن يجتمع المسلم مع اليهودي والنصراني، اليهودي كافر، والنصراني كافر، ما عندهم لا إله إلا الله.

إذًا كيف يتم الجمع بين المسلمين وبين هؤلاء تحت ما يسمى بالحزب الإبراهيمي؟ معناه: ألغوا التوحيد يا أهل الإسلام، وبعد ذلك الشرائع نتفق عليها، أنتم على شريعتكم ونحن على شريعتنا، مع أن شرائعهم محرفة، فإذا كان الأصل الأول قد هُدم ماذا بقي؟

الله عَزَّوَجَلَّ يقول لنبيه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، هذه الكلمة السواء التي ينبغي أن يكون عليها الاتحاد أو الافتراق.

إذا أراد اليهود والنصارى الوحدة مع المسلمين الأمر سهل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأصبحوا مؤمنين بمن سلف مؤمنين بمحمد ﷺ، وهكذا النصارى، كما أننا نحن بحمد الله مؤمنين بمحمد ﷺ ومؤمنين بمن سبقه.

أما هؤلاء لم يؤمنوا بالله ربا كما يجب عليهم، وإن قالوا بأنهم يؤمنون بالله في الجملة لكن إيمان على إيمان المشركين، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٦]، وهكذا لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، وهكذا لم يرتضوا الإسلام دينا، فأي قبول لأعمالهم؟ وأي سلامة لمعتقداتهم؟

ثم إبراهيم يقول الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [سورة آل عمران: ٦٧]، وقد ادعى إبراهيم اليهود والنصارى في زمن النبي ﷺ، فبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [سورة آل عمران: ٦٨].

والله المستعان حين ترى من يدعو إلى ما يسمى بالحزب الإبراهيمي، أو الميمات الثلاث: الموساوي، والمحمدي، والإبراهيمي، وعيسى يضمونه معهم.

هذه دعوة باطلة، دعوة إلى الرد الصريحة، الرضا بأن دين اليهود والنصارى دين حق ردة صريحة، مكذب لقول الله عَزَّوَجَلَّ ولقول رسوله ﷺ، فلا بد أن نرضى بالإسلام، ونرضى برب الإسلام، ونرضى بنبي الإسلام، هذا الذي يقع به الإسلام حقا، وظاهرا وباطنا.

والله لو علم الأسلاف بما يسمى بالحزب الإبراهيمي هذا أو بالدين الإبراهيمي هذا ما عساهم يقولون؟ إبراهيم مسلم، حنيف موحد، ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥]، وهؤلاء يعبدون مريم، ويعبدون عيسى، ويعبدون الصليب، ويعبدون غيرها من المعبودات، واليهود قد أخبر الله بشركهم كما هو الواقع والحال.

ثم ذكر النبي ﷺ ما يتعلق بدرجة المجاهدين الذين بذلوا أنفسهم وأوقاتهم وأحوالهم لإعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ييسر لنا الأعمال الصالحة، وأن يوفقنا للقيام بها.

وننصح والله من هو قائم بهذا الباب أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ وأن يتابع رسول الله ﷺ، وأن يخلص، ويبتعد عن الأغاني، هذا ليس من الجهاد، الأغاني ليست من الجهاد، والعسكرات هذه التي تجرجر الناس إلى الدنيا ليست بمرضية.

ننصحهم بالإخلاص، ننصحهم بالمحافظة على الصلاة، ننصحهم بتصحيح العقيدة، ننصحهم بترك العصبية، ننصحهم أن يكون قتالهم لتكون كلمة الله هي العليا، ما يكون من أجل ديمقراطية أو حزبية، إلى غير ذلك من النصائح التي تتكرر.

١٣٠٢ - وعن أَبي بكر بن أَبي موسى الأشعريِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِحَضْرَةِ العَدُوِّ، يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أَأَنْتَ سَمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُم السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم، فيه فضيلة الجهاد والقتال في سبيل الله، وفيه فضيلة الشهادة في سبيل الله، وفيه التحريض على القتال، فإن أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر هذا الحديث محرضا للمسلمين على قتال الكافرين، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ [سورة الأنفال: ٦٥].

ثم قال: **(إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ)** وهي ثمانية، كما جاء مصرحا به في غير ما موطن.

(تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) وذلك لشدة وطأتها، وعظيم فتنتها، ولهذا قال النبي ﷺ في شأن الشهيد: «**كفى ببارقة السيوف على رؤوسهم فتنة**».

(فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ) يعني: لا يُفطن له، ولا يلتفت إليه، وربما كان من آحاد الناس، إلا أنهم يتبارون ويتسابقون إلى الطاعة.

---

(١) حديث رقم: (١٩٠٢).

(فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أَأَنْتَ سَمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول هَذَا؟) فيه التثبت، ولا يستدل بهذا على رد خبر الآحاد، إنما أراد أن يستثبت أكثر، وإلا وقد وقع في قلبه وهو يعلم صدق أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ) كالمودع لهم.

(ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ) معناه: أنه أراد أن يبذل نفسه لله عَزَّوَجَلَّ.

(ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ) ولا يستدل بهذا على مسألة التفجير، وأنه ألقى بنفسه إلى التهلكة، لا، هذا دخل مجاهدا مقاتلا، وربما يقتل وربما يسلم، لكن باسل بنفسه لله عَزَّوَجَلَّ.

١٣٠٣ - وعن أَبي عبسٍ عبد الرحمان بن جَبْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ في سَبيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

هذا الحديث ساقه البخاري في كتاب الجمعة مبينا فضل المسير إلى الجمعة، ومبينا أن كلمة (في سَبيلِ اللهِ) أعم من القتال والجهاد بالسنان.

(ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ في سَبيلِ اللهِ) سواء وهو ذاهب لطاعة كحج أو عمرة، أو صلاة، أو أمر بمعروف ونهي عن منكر، ويدخل في ذلك ابتداء القتال، الخروج لقتال العدو.

(فَتَمَسَّهُ النَّارُ) أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يجمع عليه غبار الدنيا وما يلحقه من الشدة مع نار الآخرة.

---

(١) حديث رقم: (٢٨١١).

١٣٠٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ في سَبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(لَا يَلِجُ النَّارَ) يعني: لا يلج للعذاب، للدخول، لنحو ذلك، وإلا ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [سورة مريم: ٧١]، لكن هذا المرور وهذا الورود يسلم فيه خلص المؤمنين، ومن شاء الله من الموحدين، وربما أُصيب بعض أصحاب الكبائر والذنوب ببعض عذاب، ثم يسلمهم الله عَزَّوَجَلَّ.

(رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيةِ الله) قوله: (رجل) خرج مخرج الغالب، وإلا يدخل فيه النساء، فكم من امرأة تبكي من خشية الله، أي أن الداعي للبكاء خشية الله، الخوف من الله مع تعظيمه، فإن الخشية هي الخوف مع التعظيم.

(حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ) ولا يعود، يعني معناه: أنه لا يلج النار؛ لأن اللبن لا يعود للضرع بعد أن يخرج منه.

(وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ في سَبيلِ اللهِ) وهذا لفظ عام، لكن يدخل فيه ابتداء جهاد الكفار، (وَدُخَانُ جَهَنَّمَ).

وأيضا هذا الحديث مع عظيم شأنه إلا أنه شرط في الإخلاص، انظر إلى قوله: (بَكَى مِنْ خَشْيةِ الله)، وإلى قوله: (في سَبيلِ اللهِ) هذا هو القيد المهم، الذي كما يقولون: دونه خرط القتاد، لا يوفق له إلا خُلَّص المؤمنين، فإن النفوس ضعيفة أمام داعي الرياء، وأمام داعي العجب، إلا أن يسلم الله عَزَّوَجَلَّ العبد.

---

(١) انظر الحديث (٤٤٨)، روي موقوفا ومرفوعا، وذكر المحقق أنه صحيح.

وساق المصنف الحديث؛ لبيان فضيلة الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وأن التعب والنصب الذي يكون فيه هو من أسباب سعادة الدارين، ولأن تمسك النار في هذه الدنيا وتسلم أنت الرابح.

١٣٠٥ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

قوله: (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ) وإذا كانت لا تمس العينان فمن باب أولى أن لا تمس بقية البدن.

(عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) سواء كانت خالية، أو كانت بين الناس، سبقته العبرة وبكى خوفا من الله عَزَّوَجَلَّ.

(وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ) سواء في أرض المعركة، أو حتى في حراسة غير ذلك من الحراسات التي يحتاج إليها أهل الإسلام.

وهل يشمل الحديث من حرس بالنهار؟ نعم يشمل، إنما ذكر ما يلحق الإنسان بسببه التعب أكثر، وهو سهر الليل، وإلا فإن الحارس يدخل في هذا الفضل، سواء كان حراسته بالليل أو حراسته بالنهار، كما أن العين إن بكت من خشية الله سواء كان خاليا أو كان بين الناس فضل ذلك عظيم.

---

(١) حديث رقم: (١٦٣٩)، من طريق عطاء الخراساني، وهو ضعيف، وله شاهد من حديث أنس بن مالك، وله شاهد من حديث معاوية بن حيدة، وله شاهد من حديث أبي هريرة، وله شاهد من حديث أبي ريحانة، ولا يخلو كل حديث من مقال، إلا أنها بمجموعها تدل على ثبوت الحديث.

ونشكو إلى الله الآن من قسوة قلوبنا ومن غفلتها، ولذلك قل أن يبكي أحدنا من خشية الله، قد تبكي في بعض الأحيان تسمع آيات الوعد أو آيات الوعيد، وهذا أمر طيب، لكن أن يبكي الإنسان من خشية الله هذه مرتبة علية.

١٣٠٦ - وعن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

في هذا الحديث التعاون على البر والتقوى.

وفي هذا الحديث: أن الإنسان قد يؤجر وهو في بيته، ومن ذلك النفقة على طلاب العلم، والإعانة لهم، والتعاون في شأن الدعوة، هذا أيضا داخل، كما أن من جهز غازيا لغزو الكفار أو لغزو البغاة وقطاع الطريق في سبيل الله فقد غزى، وفي الحديث: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة**».

(وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا) سافر أحدهم للجهاد في سبيل الله، أو سافر أحدهم لطلب العلم، أو سافر أحدهم للحج ونحو ذلك، كله في سبيل الله، فخلفه من خلفه، مع غض بصره، مع أمانته، مع حسن رعايته، واحتسب ذلك الأمر، كان كمن فعل مثل فعل صاحبه.

فهذا حديث عظيم، أي أن الفضل ليس بمحصور على الذاهب، «**إن بالمدينة لرجالا ما نزلتم واديا أو سرتم مسيرا إلا كانوا معكم حبسهم العذر**»، فهذا لم يحبس بعذر، هذا قام مقام المجاهد، قام مقام الداعي إلى الله، قام مقام الحاج والمعتمر، فصار له مثل أجره، أو صار له كالغزو، أو ما ذهب إليه من العمل، وهذا دليل على كثرة أوجه الخير وأبواب الخير.

---

(١) انظر الحديث (١٧٧).

١٣٠٧ - وعن أَبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ طَرُوقَةُ فَحلٍ فِي سَبِيلِ اللهِ».
رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

قال: (أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ) فيه أن الصدقات تتفاوت، فبعضها أفضل من بعض.

(ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ اللهِ) أي: ظل خيمة، أو ظل عريش، يستظل به المقاتل في سبيل الله؛ لأن الغالب أن المقاتلين ينزلون إلى أراضي لا خيام فيها، لا أشجار فيها، فيحتاج أحدهم إلى سبيل راحة، فإذا وجد من يقوم بشأنهم في هذا الباب كان له أجر عظيم.

(وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ) تمنح خادما لبعضهم يخدمه ويعينه، أو حتى تمنح الخادم يقاتل مع المسلمين ومع إمامهم.

(أَوْ طَرُوقَةُ فَحلٍ فِي سَبِيلِ اللهِ) يطرق بفحله على الناقة حتى تلد ما يكون لإعداد الجيوش أو لإطعامهم، أو لغير ذلك، فالصدقات تتفاوت، وأفضلها ما كان في سبيل الله، ولهذا كان المجاهد بماله ونفسه أعظم أجرا من غيره.

---

(١) حديث رقم: (١٦٤٧)، من طريق عبيد الله بن زحر، عن علي بن زيد، كلاهما عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة به، وهذا السند ضعيف جدًّا.
قال المحقق: ورواه الترمذي من طريق كثير بن الحاج عن القاسم عن عدي بن حاتم، والراجح أنه من حديث أبي أمامة؛ لأن كثير بن الحارث قال فيه أبو حاتم: صالح، فالحديث في الشهيد، والوليد بن جميل حسن الحديث، وهو أرجح، ورجح هذا الترمذي عقب الحديث، فهو حسن، وقد حسنه الألباني في (صحيح الترمذي).

١٣٠٨ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن فَتَىً مِنْ أَسْلَمَ، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجهَّزُ بِهِ، قَالَ: «ائْتِ فُلانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ» فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، ويقول: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ، قَالَ: يَا فُلَانَةُ، أَعْطِيهِ الَّذِي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلَا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ لَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم(١).

الشرح:

وهذا حديث عظيم، وأصل في صلاح النية، وأصل كذلك في تجهيز الغزاة، وأصل في النيابة، وفي غير ذلك من الأبواب.

(أن فَتَىً مِنْ أَسْلَمَ): شاب، يطلق الفتى على الشاب.

(قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجهَّزُ بِهِ) والنبي ﷺ كان حاله كذلك، قد يعجز أن يجهز كثيرا منهم، ولذلك عذر الله عَزَّوَجَلَّ من تخلف عن غزوة تبوك لقلة ذات يده.

(قَالَ: ائْتِ فُلانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ) فيه الدلالة على الخير، والإرشاد إليه، وفيه أن الإنسان إذا كان قد تجهز بشيء ثم عجز أن ينيب غيره، وأن يتعامل مع غيره على البر والتقوى.

(فَقَالَ: إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ) استدل بهذا الحديث على التجوز إذا وصلت على قوم ولم يكن قد حملك السلام وسألوك عنه أن تقول: يقرئكم السلام، مع أنه ليس بصريح هل قال له أقرئه السلام أو لا؟ لكن قد استدل به.

(ويقول: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ) وهذا الأمر للإرشاد ليس هو للوجوب، لكن الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بادر إلى ذلك محبة للخير، وامتثالا لأمر النبي ﷺ.

---

(١) انظر الحديث (١٧٦).

(قَالَ: يَا فُلَانَةُ) لزوجته.

(أَعْطِيهِ الَّذِي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلَا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا) وكثير من الناس إذا كان هو الخارج ربما يوسع على نفسه ما لا يوسع على غيره، لكن هذا لمحبته للجهاد ولعظيم بذله قال: (وَلَا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ لَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ)، وذلك أن كثيرا من الناس يحبسون الأموال عما هي لهم من قصد أن يبارك لهم، وأن تكثر أموالهم، ومع ذلك لا يجدون فيها بركات، ولا يجدون فيها كثير خيرات، الله المستعان.

١٣٠٩ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ إِلَى بَنِي لَحْيَانَ، فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا». رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ: «لِيَخْرُجَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ»، ثُمَّ قَالَ للقاعد: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الخَارِجِ».

الشرح:

وهذا الحديث أصل في أن الناس لا يتركون ديار المسلمين جملة، فلا بد أن يبقى من يرعى شأن المسلمين، ويقوم بالعناية بأراملهم، والعناية بصغارهم، وكذلك الاحتياط؛ حتى لا يأتي العدو فيقوم بتبييتهم، ولا يسعى السفهاء في إفساد نسائهم كما هو معلوم إذا خلت الديار عن السراة ربما لعب فيها السفهاء، مع أن زمن النبي ﷺ زمن خير، ومع ذلك أمر ببقاء من يبقى لشأن المسلمين.

(بَعَثَ إِلَى بَنِي لَحْيَانَ) وكانوا خارج المدينة، قبيلة خارج المدينة وهم الذين يدخلون في الإسلام ولا يهاجرون، لكن إذا احتاج إليهم أهل الإسلام بعثوا إليهم.

---

(١) حديث رقم: (١٨٩٦).

(لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا) إما من كل أخوين، أو من كل ممن كان شأنهم واحدا، بينهم قرابة، أو صحبة.

(وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا)؛ لأن هذا يغطي عن ذاك في شأن الجهاد، والآخر يغطي عن صاحبه في شأن النفقة والرعاية.

كأن معنى (وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا) هذا الأمر: (كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الخَارِجِ).

١٣١٠ - وعن البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا». متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم.

قوله: (أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بالحَدِيدِ) أخذ الحيطة، سواء لبس الدرع، أو الخوذة، أو البيضة، أو المغفر، ما يتقي به ضرب السيوف ورمي السهام.

(فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟) هذا دليل على أن الإسلام قد دخل قلبه، لكن لم يُعلن الشهادة بعد، وهذا دليل على أن التصديق إن لم تقارنه الشهادة لا ينفع صاحبه، لا بد من التلفظ بالشهادتين، لا بد من الإقرار والانقياد.

(قَالَ: أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ) فيه أن الإنسان يبذل النصيحة ويبدأ بالأهم؛ لأنه لو قاتل على غير الإسلام كان من أهل النار، ولو أبلى بلاء حسنا، ولو نصر الله به المسلمين، كما فعل ذلك الرجل قال النبي ﷺ: «**هو في النار**»، لكن دله على سبب صلاح العمل، سبب استقامة الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٩٠٠).

(عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا) يعني: أظهر الإسلام ونطق بالشهادتين وربما لم يصل صلاة، ثم قُتل فختم له بالخير، و «الأعمال بالخواتيم»، و «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

وفي هذا فضل الشهادة، وعظيم منزلتها، وسيأتي مزيد ذلك في الأحاديث التي بعد.

١٣١١ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ».

وفي رواية: «لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وهذا حديث عظيم، فيه عظيم شأن الشهادة.

(مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ) الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت.

(يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا) كيف يرجع إلى الدنيا وفيها من المنغصات وفيها من المؤذيات وفيها من المقلقات وفيها من أسباب شقاء الإنسان الشيء الكثير؟ حتى قال النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر».

ولا يرجع إلى الدنيا فقط: (وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ) لو أُعطي من دخل الجنة ما على الأرض ويرجع إلى الأرض ما يريدها.

(إِلاَّ الشَّهِيدُ) لكن الشهيد لماذا يتمنى أن يرجع؟ هل لمجرد ما أُعطي من شأن الأرض؟ لا، (يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ): لما يرى من فضل الشهادة، لما يرى من المنازل الرفيعة، والكرامات العالية، ربما يكلمهم ربهم كفاحا ليس بينهم وبينه ترجمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٧)، ومسلم (١٨٧٧).

١٣١٢ - وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «يَغْفِرُ اللهُ لِلْشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ الدَّيْنَ». رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ له: «القَتْلُ في سبيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شيءٍ إلاَّ الدَّيْن».

الشرح:

هذا دليل على شدة الدين، وعلى عظيم خطره وضرره، إن الشهادة كفارة لكل ذنب إلا الدين، حقوق العباد مبنية على المشاحة، وحق الله مبني على المسامحة، ومع ذلك الصواب في هذه المسألة: أن من جهد لقضاء دينه وإنما تعذر أنه إن شاء الله يُتجاوز عنه، «**من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله، ومن أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه**».

وذكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول النبي ﷺ: «**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا فلورثته، ومن ترك دينا أو ضياعا فعلي وإلي**»: أنه يتعين على أولياء أمر مسلمين قضاء دين المستدينين إذا ماتوا ولم يكن في حقهم قضاء.

لكن الله المستعان عُطلت كثير من شؤون بيت مال المسلمين الآن بسبب الجهل بدين الله، وبسبب المطامع، وبسبب التأثر بالرأسمالية، العالم قبل سنين تأثر بالاشتراكية، حتى صادروا كثيرا من الأموال والممتلكات، ثم بعد ذلك تأثر كثيرهم بالرأسمالية التي عندهم أهم شيء الانتفاع والحصول على المادة بغض النظر عن طريقة الحصول عليها، سواء بالربا، أو بالميسر، أو بالاحتيال، أو بالنصب، أو نحو ذلك.

---

(١) حديث رقم: (١٨٨٦).

١٣١٣ - وعن أَبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهِم فَذَكَرَ أَنَّ الجِهَادَ في سَبيلِ اللهِ وَالإيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أَرأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لهُ رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ في سَبيلِ الله وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلاَّ الدَّيْنَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

قوله: (أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهِم) أي: خطيبا، يحرضهم على الجهاد؛ التزاما بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [سورة الأنفال: ٦٥].

(فَذَكَرَ أَنَّ الجِهَادَ في سَبيلِ اللهِ) أي: القتال في سبيل الله.

(وَالإيمَانَ بِاللهِ) ربا، (أَفْضَلُ الأَعْمَالِ)، أما الإيمان بالله فلا يستقيم عمل عبد إلا به، وأما الجهاد في سبيل الله فهو من أعظم أبواب نصرة الدين، وإعزاز الإسلام وأهل الإسلام.

(فَقَامَ رَجُلٌ) فيه سؤال أهل العلم.

(أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟) أي: ذنوبي، بهذا القيد: (في سَبيلِ اللهِ) ما تقتل من أجل الدنيا، من أجل منصب، من أجل قائد، من أجل حزب، من أجل جماعة، من أجل طائفة، هذا ليس في سبيل الله، القتل في سبيل الله: أن يكون دفاعا عن دين الله، أن يكون إعلاءً لكلمة الله.

(١) انظر الحديث (٤١٧)، وجاء عن ابن عباس أيضا.

ولذلك تجد أغلب القتل الواقع في الأمة على غير سبيل الله، كما سيأتي معنا حديث أبي موسى: الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**».

(فَقَالَ لهُ رسول الله ﷺ: نَعَمْ) فضيلة الجهاد، لكن بشرط:

(إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبيلِ الله) هذا الشرط الأول، مخلص متبع لرسول الله ﷺ.

(وَأَنْتَ صَابِرٌ) على ما ترى من لمعان السيوف، وشدة الحال.

(مُحْتَسِبٌ) للأجر من الله، والمثوبة منه.

(مُقْبِلٌ) على العدو، **(غَيْرُ مُدْبِرٍ)** إلا إذا كنت تريد أن تتحرز إلى فئة.

(ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: كيْفَ قُلْتَ؟) كأنه أتاه الوحي بالاستثناء.

وهذا الحديث هو الذي أرَّق كثيرا من الناس: **(إِلاَّ الدَّيْنَ)**، رجل بذل مهجته، بذل نفسه، بذل أعز ما يملك لله، ومع ذلك **(إِلاَّ الدَّيْنَ)**، فكيف بغيره؟ ووالله أن الإنسان إذا استشعر دنو أجله أو خشي على نفسه لا يتهيب من شيء مثل الدين، «**نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه**»، نسأل الله السلامة والعافية.

١٣١٤ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ أَنَا يَا رسول الله إِنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: «فِي الجَنَّةِ» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[1].

الشرح:

فيه سرعة استجابة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للنبي ﷺ، وحرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الخير.

وفيه كذلك: أن من قُتل في سبيل الله كان من أهل الجنة.

وفيه أن الحياة الدنيا طويلة إن كانت تحول بين الإنسان وبين دخول الجنة.

---

(١) انظر الحديث (٨٩).

١٣١٥ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَقْدمَنَّ أَحَدٌ مِنكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رسولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلاَّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَييتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم(١).

(القَرَن) بفتح القاف والراء: هُوَ جُعْبَةُ النشَّابِ.

الشرح:

(انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ): سبقوهم إلى مكان بدر الفسيح، ثم سبقوهم إلى ماء بدر؛ لأن العدو إذا سبقك ربما ضيق عليك المكان، فمن السياسة الحربية: أنك تسبق العدو، وتستعد.

ما السبب الذي جعل بعد نصر الله الأمير قطز ينتصر على التتر في معركة عين جالوت؟ السبب: أنه قدم إلى هذه المنطقة عين جالوت وهي منطقة غير منبسطة، وإنما تلال ومرتفعات ونزلات، ففرق أصحابه على طريقة يتمكنون من العدو فيها، فجاء العدو ما معه مكان يستطيع يكر ويفر فيه، ومن دخل قتلوه، وانتصروا عليه، حتى انتصر على التتر، وإلا التتر ما أحد استطاع أن يقف أمامهم.

(١) حديث رقم: (١٩٠١).

وهذه الطريقة استخدمها أيضا غير واحد من المحاربين، استخدمها صلاح الدين الأيوبي في بعض غزواته، يقل العدد، ويسبق إلى المكان، فيتحكم في الجيش.

فالنبي ﷺ سبق إلى بدر، مكان منبسط، يصلح للكر وللفر، الأمر الثاني: سبق إلى الماء، بحيث يمنع الكفار من الوصول إلى الماء، وهو يصل إليه بسهولة.

(لَا يَقْدمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ) سياسة حربية.

(إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ)؛ لأن النبي ﷺ كان أشجعهم وأقواهم، وأرجاهم لربه.

(قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ) التحريض والبشارة للمؤمنين.

(بَخٍ بَخٍ) يعني كأنه يقول: ما أعظمها من جنة! ما أعظم هذا الشيء! كلمة يؤتى بها للتعظيم والتفخيم.

(فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا) الشهادة بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ.

(فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ) جائع، حالهم ضعيف.

(ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَييتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إِنَّهَا لَحَياةٌ طَوِيلَةٌ) صحيح، إذا كان الإنسان قد علم أن مآله إلى الجنة والله أنها حياة طويلة حتى يبقى فيها ساعة أو بعض ساعة، ما أحلى أن تفارق الروح الجسد ما بينها وبين الجنة إلا خروج النفس! والنبي ﷺ يقول: «**لا يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من قرصة النملة**».

وسبحان الله! لما تكون في أرض المعركة التهيب هذا يزول أجمعه، التهيب والخوف يقع كل ما بعدت من أرض المعركة، أما إذا قربت من أرض المعركة ما عاد تبالي، الهاون ينزل عندك ربما وأنت تضحك مع صاحبك، وضربة الدبابة تأتي وأنت غير متهيب، منتظر لحكم الله فيك.

بل إن بعض الناس إذا قُتل يكبر: الله أكبر، وكما هو في قصة ذلك الصحابي الذي طعن من ظهره حتى خرج من بطنه قال: فزت ورب الكعبة، فلا يتهيب الإنسان، إنما التهيب إذا بعد، يقع في قلبه الجبن، ويقع في قلبه الخوف والفزع.

١٣١٦ - وعنه، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أن ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ: القُرَّاءُ، فِيهِم خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي المَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلغُوا المَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَه، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا». متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ مسلم[(١)].

الشرح:

هذا حديث عظيم، فيه ما وقع للأنصار، والأنصار لهم مواقف، قُتل منهم يوم أحد سبعون، وقُتل في هذه المعركة بئر معونة سبعون، وقُتل منهم يوم اليمامة سبعون، هذه ثلاث معارك فقط، عدد ليس بالقليل، وأما في بقية المعارك فوقع فيهم قتل كثير.

ولذلك استحقوا الثناء العظيم، واستحقوا الوعد الكريم، واستحقوا الدعاء من الرسول الأمين ﷺ: «**اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار**».

(يُقَالُ لَهُمْ: القُرَّاءُ) فيه فضيلة طلب العلم، وحفظ القرآن، والمداومة على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٩٠) و (٤٠٩١)، ومسلم (٦٧٧).

قوله: (فِيهِم خَالِي حَرَامٌ) أخو أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت من الشاجعات المسلمات، وكانت من علماء المسلمات، وكانت من الصابرات المحتسبات.

(يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ) انظر إلى شأنهم مع القرآن، مع أن ما عندهم وقت فقط في الليل، الآن تجد بعض إخواننا يستطيع أن يتفرغ بالليل نص ساعة ساعة، ساعة، أقل أكثر، ما يريد المسجد، ما قد حفظ من القرآن جزء عم، لكن ما هو حول المسجد، ما هو حول المجاهدة، ما عنده تلك الهمة لحفظ القرآن، ما عنده الهمة لحفظ سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهؤلاء بالنهار يعملون يحتطبون، من أجل أن يعملوا يكفوا أنفسهم وينفقوا على غيرهم، وبالليل يتدارسون ويتعلمون، الله أكبر لهذه الهمة العظيمة.

(وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي المَسْجِدِ) صدقة للناس.

(وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ) انظر كيف جمعوا بين الأمور! الأول طلب العلم في الليل، الثاني بالنهار أعمال البر، يجمعون الماء إلى جانب المسجد ليتوضأ به من أراد أن يتوضأ، ويشرب من أراد أن يشرب، و «**أفضل الصدقة سقي الماء**».

الأمر الثالث: يذهبون للعمل، لكن لا يحول بينهم العمل وبين العلم، الآن بعض إخواننا نسأل الله السلامة إذا ذهب للعمل ترك المسجد وخلاص، ما يأتي إلى المسجد إلا في يوم الفسحة، لا يا أخي افعل مثل هؤلاء، من سينتقد عليك؟ من سيقول: أنت مضيع؟ ما أحد سيقول ذلك؛ لأنه يرى منك الحرص على الخير.

والأعمال التي كانوا يعملونها أشد من الأعمال التي تعملها أنت الآن، ربما بعضهم يكون في بقالة، أو ربما بعضهم يطلع بلك، أو يخلط إسمنت، هؤلاء يذهبون إلى. الحرة وإلى البراري يحتطبون، ما تنكسر الشجرة إلا وقد تعب، ثم الشوك ربما

هذه تدخل في يده، وربما هذه وقعت في رجله، ثم يحمله إلى السوق، يتعب تعبا شديدا.

(وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ) زد على ذلك: ما يبيعونه يتصدقون مع قلة ما عندهم.

(فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ) بعد أن أمَّنوهم خدعوهم.

(فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا) فيه إثبات الحياة البرزخية، وفيه: إثبات صفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ.

(فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَه) يعني: طعنه حتى خرج من بطنه.

(فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ)؛ لأنه مات على الشهادة، مات على الإسلام، مات على السنة.

(فَقَالَ رسولُ الله ﷺ) خطيبا لأهل المدينة.

(اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا) وكان هذا قرآن يتلى، ثم نُسخ من المصحف.

١٣١٧ - وعنه، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنسُ بنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ[1]، فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي اعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءُ - يعني: أَصْحَابَهُ -، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - يَعنِي: المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعَدَ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رسولَ اللهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ

---

(١) في نسخة: (ليُرِين الله ما أصنع.

بِضعًا وَثَمَانِينَ ضَربَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً برُمح، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.

قَالَ أنسٌ: كُنَّا نَرَى - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هذِهِ الآية نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣] إِلَى آخرها. متفقٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ سبق في باب المجاهدة[1].

١٣١٨ - وعن سَمُرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجرةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، قالا: أَمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ». رواه البخاري[2]، وَهُوَ بعض من حديث طويل فِيهِ أنواع من العلم سيأتي في باب تحريم الكذب إِنْ شاء الله تَعَالَى.

الشرح:

فيه بيان مكان سكنى الشهداء، وهم على حالين: الشهداء في جوف طير خضر، والمؤمنون أرواحهم طير خضر.

١٣١٩ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أُمَّ الرُّبيع بنتَ البَرَاءِ وهي أُمُّ حَارِثة بن سُرَاقَةَ، أَتَتِ النبي ﷺ فَقَالَتْ: يَا رسولَ اللهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ - وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ - فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى». رواه البخاري[3].

الشرح:

(١) انظر الحديث (١٠٩).

(٢) حديث رقم: (٢٧٩١).

(٣) حديث رقم: (٢٨٠٩).

وهذا الحديث فيه فضيلة المجاهدة، وفضيلة الشهادة، وفرح المؤمن بموت قريبه على الإسلام على السنة على الجهاد.

وفيه أن الجنة جنان، «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين المرء وبين أن ينظر إلى ربه إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

وفيه أن أعلى الجنة يسمى الفردوس، «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفه عرش الرحمن**»، نسأل الله الفردوس الأعلى من الجنة.

١٣٢٠ - وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جِيءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ فَنَهَانِي قَوْمِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا زَالتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

فيه فضل الشهادة، وعظيم العناية من الملائكة بالشهداء.

وفيه جواز النظر الى الميت، وتقبيل الميت، ونحو ذلك.

وفيه إثبات الأجنحة للملائكة.

١٣٢١ - وعن سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

فيه حسن النية وصدق النية، وهذا معنى قول القائل: نية المؤمن أحسن من عمله، فلو كنت صادقا في الشهادة نلتها ولو مت على الفراش.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٦)، ومسلم (٢٤٧١).

(٢) حديث رقم: (١٩٠٩).

١٣٢٢ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا ولو لَمْ تُصِبْهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

يؤجر على نيته.

(فمن طلب الشهادة بصدق إن نالها وإلا كتب له أجرها، أجر التمني، أجر الحرص على الخير، وتعلمون ما في حديث أبي كبشة في شأن صاحب المال المتصدق والمنفق، ونية الآخر أن يكون مثله، فيتصدق فينفق، وهكذا في شأن صاحب المال المنفق في الحرام، وأمنية الآخر أن ينفق مثله في الحرام، فالأول هما في الأجر سواء، والآخر هما في الإثم سواء. **ولا يقول قائل**: كيف يؤجر وهو لم يعمل؟ هو قد أراد العمل، وكان صادقا ولكن لم يتمكن منه). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

١٣٢٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

الشرح:

وهذا من تخفيف الله عَزَّوَجَلَّ عن الشهداء، ما يبقى يتألم ويتأوه، سرعان ما تفارق الروح الجسد.

(١) حديث رقم: (١٩٠٨).

(٢) حديث رقم: (١٦٦٨).

١٣٢٤ - وعن عبد الله بن أَبي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ في بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ في النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، أَهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا لكثرة تحريض النبي ﷺ على القتال.

(انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ): تنكسر حرارتها، وتهب الريح، ويقع النصر.

(ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ) خطيبا، أي: محرضا لهم، الآن قادة الجيوش الله يهديهم ما عندهم هذا التحريض، ما في إلا باتصالات من بعيد لبعيد، قائد الجيش ينبغي أن يكون موجودا بين جيشه يحرضهم على طاعة الله، وعلى التزام سنة النبي ﷺ، ويرغبهم في الجنة، ويزهدهم في الدنيا.

أما أيوب طارش هذا الذي ابتلى الله به أهل اليمن، المعركة تبدأ ويشغلون لهم أيوب طارش، حسبي الله ونعم الوكيل، يعني يموت وهو يسمع أيوب طارش، «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

أو هكذا الزوامل هذه الآن التي، وإن كان في بعضها ذكر لله، وربما لا تصل إلى درجة الحرمة، لكن كثير منها فيه التبجح، وعدم رد الأمر إلى الله، ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [سورة التوبة: ٢٥]، وهؤلاء يتبجحون، وبعضهم يضيفون إليه الطبل، يجعل العسكري يتراقص قلبه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٦٥) و (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

فعلى المسلمين أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسهم، ذلك الوقت وقت ذكر، ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥]، وقت استنصار بالله: اللهم انصرنا، اللهم قونا، اللهم أعنا، إلى غير ذلك.

(لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ) لا تقل: أنا قوي، يا ليت وأنا ألقى العدو، لا، سل الله العافية، لكن **(فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا)** واثبتوا في حال قتالهم، تنصرون، ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَٰفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٢٥]، يقع النصر بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، يقع النصر بالصبر، «**واعلم أن النصر مع الصبر**».

(وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) هذا هو الشاهد، الجنة تحت ظلال السيوف؛ للأهوال التي يلاقيها المجاهد حين يكون مبارزا للخصم، تارة يخشى أن يقع السيف في رأسه، وتارة يخشى أن يبقر بطنه، وتارة يخشى أن يقطع رجله، أهوال ليست بالسهلة.

والآن في هذه الأيام الرصاص، لاسيما مثل ذاك البي إم بي، أشهد لله أنها تخلي الواحد يشعر كأنها فيه، يعني تعمل صوتين: صوت من هناك وصوت عندك، وهكذا من رفع رأسه ناولوه، **(الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)**، تحت ظلال مثل هذه الأمور، الهاونات، المدفعية، الدبابة، وضرب الطيران، إلى غير ذلك، الحديث عام.

(ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ): القرآن.

(وَمُجْرِيَ السَّحَابِ) بالمطر.

(وَهَازِمَ الأَحْزَابِ) حين تمالؤوا على رسول الله ﷺ.

(أَهْزِمْهُمْ) أي الكفار.

(وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ) الإنسان لا ينسى الاستنصار بالله والاستعانة به أبدا، حتى وإن كثر عددك، وإن كثرت آلتك.

١٣٢٥ - وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ البَأْسِ حِيْنَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضًا». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

يعني: دعوتان لا تردان: الدعوة الأولى: بعد النداء، قال النبي ﷺ في حديث أنس: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة».

(وَعِنْدَ البَأسِ حِيْنَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضًا) يعني شدة، الناس في اضطرار، والناس كذلك في صدق مع الله عَزَّوَجَلَّ، في ذلك الوقت وقت اضطرار، ما عندك إلا: يا الله سلمني، يا الله انصرني، يا الله أيدني، يا الله احفظني، وليس لك تعلق بشيء من المتعلقات الدنيوية.

١٣٢٦ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضْدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

(كان) تفيد اللزوم الاستمرار.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٤٠)، قال المحقق: صحيح لغيره ما يتعلق بالنداء فقط، وأما عند الباس فضعيف، موسى بن يعقوب ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، قد تقدم معنا من حديث صهيب بن سنان، أخرجه الإمام أحمد وغيره، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(قَالَ) داعيا لربه بالثبات والنصر:

(أَنْتَ عَضْدِي) يعني: العضد الذي ينصر ويؤيد ويعين.

(وَنَصِيرِي) تنصرني على القوم الكافرين.

(بِكَ أَحُولُ) أي: لا حول لي إلا بحول الله وقوته.

(وَبِكَ أَصُولُ) على الأعداء، وأنتصر عليهم.

(وَبِكَ أُقَاتِلُ) ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [سورة محمد: ٧]، ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

١٣٢٧ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَومًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[(١)].

الشرح:

ومع ذلك لو دعا به الإنسان دعاء مجردا على غير اعتقاد أن النبي ﷺ قاله هو دعاء لا محظور فيه، (اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ).

والدعاء محمود عواقبه، ومفيد لصاحبه، فالزمه في كل حين، وليس فقط هذا الدعاء عند القتال، بل إذا خفت عدوا، إذا خفت شيطانا، إذا خفت متربصا، ادع الله عليه أن يكفيك شره ويبور مكره.

---

(١) انظر الحديث (٩٨١)، بل إنه ضعيف، من طريق عمران القطان، وهشام عن قتادة عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه، وقتادة لم يسمع من أبي بردة.

١٣٢٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني الجهاد سبب للعز، سبب للتمكين.

(في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ) «الأجر والمغنم» جاء من بعض الروايات، ولذلك يفسر علماء التأويل رؤيا الخيل بأنه غنيمة ونصر، والخيل أجوره عظيمة، قد تقدم، في تربيته، في سقيه، في الركوب عليه، وقد أقسم الله عَزَّوَجَلَّ به في القرآن: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ [سورة العاديات: ١-٥].

وهكذا حين فُتن سليمان بن داود بالنظر إليها، ثم قام عليها ضربا بالسوق والأعناق.

١٣٢٩ - وعن عروة البارِقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

الأجر: الثواب، والمغنم: صاحب الفرس يحصل على ثلاثة أسهم، سهمان للفرس، وسهم له، الأجر والمغنم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٤)، ومسلم (١٨٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣).

١٣٣٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِيمَانًا بِاللهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرَيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه البخاري(١).

الشرح:

انظر إلى هذا الأجر العظيم، هذه الأحاديث ساقها النووي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأهمية أخذ آلات الركوب وآلات الحرب، فالإنسان يجهز نفسه في الحصول على ما يركب، وما يستخدمه للكر والفر.

١٣٣١ - وعن أَبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ بِنَاقةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

فيه فضيلة الإنفاق في سبيل الله، لا سيما الجهاد.

وفيه أن الله يضاعف الحسنة بعشر أمثالها «إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة»، وفيه أن الجزاء من جنس العمل.

(١) حديث رقم: (٢٨٥٣).

(٢) حديث رقم: (١٨٩٢).

١٣٣٢ - وعن أَبي حمادٍ - ويقال: أَبُو سعاد، ويقال: أَبُو أسيدٍ، ويقال: أَبُو عامِر، ويقال: أَبُو عمرو، ويقال: أَبُو الأسود، ويقال: أَبُو عبسٍ - عُقبة بن عامِر الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، يقول: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠] أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ». رواه مسلم(١).

الشرح:

فيه الاستعداد للأعداء، ولذلك ينبغي للدول الإسلامية أن تعتني بصناعة السلاح، كل ما استطاعوا عليه من سلاح، سواء ما يسمى بالسلاح النووي أو السلاح التقليدي، ولا يبقوا معتمدين على سلاح الكفار، فإنهم إنما يبيعون ما قد صنعوا ضده، ثم إنهم يتحكمون في بعض قطع غياره.

لما جاءت ما يسمى بعاصفة الحزم أرادت المملكة العربية السعودية حرسها الله وسائر بلاد المسلمين أن تأخذ عدة هذه أنابيب أو ليَّات يعبون بها الطائرة وهي في الهواء، طائرات إف ستة عشر، المهم كان معهم جهاز أو جهازان فقط في المملكة جميعها، فاحتاجوا إلى أكثر، فطلبوا منهم على البيب الواحد مائة وعشرين ألف دولار؛ لأن أمريكا متحكمة في السوق، طائرات (إف ١٦) صناعة أمريكية، والعقود تقتضي عدم شراء من غير أمريكا.

ثم قام بعض السعوديين يصنعون، كانت تخرج عليهم القطعة بعشرة آلاف ريال سعودي، وذاك يطلب مائة وعشرين ألف دولار، وليس هذا فقط بل يتحكم: ما نعطيكم؛ حتى ما تضربوا بها في اليمن، ومن هذا.

---

(١) حديث رقم: (١٩١٧).

فينبغي للدول الإسلامية لديها القدرة للصناعات النووية، للصناعات الحربية، لصناعة الطيران، ما يبقى إيران يتحداهم بالصناعة وهم ينتظرون الإذن من أمريكا، يصنعون، وأمريكا عند ذلك ستعرف حجمهم وقوتهم، فقد أذلها الله، نسأل الله أن يدمر عليها، نسأل الله أن تكون نهاية أمريكا على يدا بايدان هذا السفيه، لعلها أن تكون نهايتها على يديه.

دولة كسرى كانت نهايتها على يد امرأة، وهذا شبيه النساء، إن لم يكن أسوأ من النساء، فهو ممن يؤيد المثليين الذين هم في الواقع هم لوطة، واكتفاء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة.

فالشاهد: باكستان حين تقوت وصنعت القنبلة النووية حاصروها من البترول، حاصروها من المواد الغذائية، يسر الله لها بالمملكة العربية السعودية دفت لها البترول، ودفت لها الدولارات، ودفت لها الأشياء، حتى صنعوا القنبلة النووية، عند ذلك تهيبت منهم الهند، وإلا كانت ستذلهم الهند، تذلهم وتهددهم، فالآن بدل ما تعمل لك مباحثات مع إيران اصنع قنبلة نووية، اصنع عشر قنابل نووية، عند ذلك إيران وأعوان إيران كلهم سيتهيبون من الأمة المسلمة.

زد على ذلك: أن المسلمين عندهم ليست فقط هيبة السلاح، «**وجعل الذل والصغار على من خالف أمري**»، ويقول النبي ﷺ: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»، نعم نحن نعلم أن الدول الكافرة ربما تقوم ببعض عقوبات، لكن لو تكاتف المسلمون ما عسى العقوبات تصنع؟ لو تكاتف المسلمون وأبوا أن يلتزموا يقولون: السلاح النووي قد صار في يد كثير من الدول، والدول الإسلامية والدول العربية ما عندها من هذا السلاح، تحتاج أن تدافع عن نفسها.

فالقوة الرمي، سواء رمي السهام أو رمي الدبابات، أو رمي المدفعية، أو رمي النشاب، أو رمي البنادق، أو غير ذلك.

كان شيخنا يحيى حفظه الله نقول له: يا شيخ انزل من المسجد ودرس في البدروم، قال: يا أخوة أنا خلفي عمود لو ضربت الدبابة ما تؤثر فيه، قلنا: يا شيخ الله أعلم هذه الأمور ثقيلة، المهم ما نزل لنا إلا بشق الأنفس، وجاءت ضربة الدبابة أخذت الأعمدة من طرف المسجد إلى طرف المسجد، دخلت من الجهة هذه ومرت على الأعمدة واحدا واحدا وخرجت من الجهة الأخرى، ضربة الدبابة ليست بالأمر السهل.

كان السلف يتخذون المنجنيق بما تقوم به الدبابة، مذكورة الدبابة في كتب السلف: فضربوه بالدبابة، يعني يضرب لك الحجرة المنجنيق تهد بيتا، وهي إلا حجرة، أما هذا قد عُبئت القذيفة بالباروت، والباروت ينفجر إلى آلاف الأضعاف، فيسوقها سوقا شديدا.

عملنا مرة في القصبة جدرا، لكن جدرا، قلنا: هذا الجدر إذا جاءت الدبابات ما تؤثر فيه، وعملنا أيضا قصبة يكون الناس فيها، جاءت الدبابة ضربة واحدة هدت القصبة، ضربة واحدة هدت الجدر، حتى قُتل ذلك اليوم الشيخ جابر الرازحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قصمته نصفين، في العاشر من محرم من ذلك العام، ما أدري من معه.

الشاهد أن القوة الرمي، ويتنوع الناس، هناك قوة رمي الدبابة في هذا الزمان، رمي المدفع، رمي الهاون، رمي الطائرة.

لا تنسوا أمريكا والكفار من دعائكم، والله لعل الله ينصرنا عليهم ونرتاح من شرهم، ما يبقوا هكذا يتحكمون في المسلمين.

١٣٣٣ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلَا يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ». رواه مسلم(١).

الشرح:

(وعنه) أي عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي: ستفتح عليكم بلاد كثيرة وتكفون العمل في جلب الأرزاق ونحو ذلك، فإذا وقع هذا الحال ما يبقى أحدكم سبهللا ملازما لبيته، لا يحسن شيئا من العمل، بل عليه أن يلهو بأسهمه، يقع له، وفي نفس الوقت يتعلم الرمي.

كثير من الناس ربما يلعب بالرصاص في الهواء، فإذا كان يريد اللهو يلهو به في عرض جبل، يتعلم الاصطياد، ويتعلم الرمي.

١٣٣٤ - وعنه: أَنَّه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ فَقَدْ عَصَى». رواه مسلم(٢).

الشرح:

وهذا وعيد لمن ترك ما تعلمه من حسن القتال للكفار، فالإنسان يحتاج إلى تعلم الرمي، وإلى تعلم المسايفة، وإلى تعلم ما يتعلق بالكر والفر.

وهي نعمة تعلم الرمي، وتعلم غير ذلك نعمة، فمن نسيها كفرها.

وقوله: (فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ فَقَدْ عَصَى) هذا دليل على أن ترك ذلك كبيرة، ترك علم الرمي بعد أن علمه.

---

(١) حديث رقم: (١٩١٨).

(٢) حديث رقم: (١٩١٩).

١٣٣٥ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ، ومُنْبِلَهُ، وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا» أَوْ قَالَ: «كَفَرَهَا». رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

ومعنى الحديث: (إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ) الأجر، ثم الذي يأخذه ويستخدمه ويرمي به، ثم الذي يجهزه للرامي.

ثم قال: (وَارْمُوا وَارْكَبُوا): اجمعوا بين الركوب وبين الرمي؛ لأن الإنسان كلما كان باستطاعته فعل أشياء كثيرة في باب الجهاد كان أنفع، بعضهم يكون متخصصا، والتخصص مفيد، لكن أحيانا قد تحتاج إلى غير تخصصك، هذا في باب العلم، وكذلك في باب الجهاد، وفي باب القتال، وفي غير ذلك من الأبواب.

(وَأَنْ تَرْمُوا) أي: بالنبل العدو؛ لأن ذلك ينكيهم، ويضعف قواهم.

(وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ) بهذا القيد، أما من شغل بمرض أو بغير ذلك من المشاغل.

(فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ: كَفَرَهَا) هذا كفر دون كفر.

١٣٣٦ - وعن سَلَمة بن الأكوعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ: «ارْمُوا بَنِي إِسمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا». رواه البخاري[2].

الشرح:

(عَلَى نَفَرٍ يَنْتَضِلُونَ) الانتضال: هو الرمي بالسهام، وتعود ذلك.

---

(١) حديث رقم: (٢٥١٣)، والترمذي، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن جابر، والحديث ضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) حديث رقم: (٢٨٩٩).

(ارْمُوا بَنِي إِسمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا) استدل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن اليمن من نسل إسماعيل؛ لأن هؤلاء الذين وجدهم النبي ﷺ يرمون كانوا من اليمن.

١٣٣٧ - وعن عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

هذا حديث عظيم في فضل الرمي في سبيل الله.

(مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ) وأيضا طلقة رصاص في هذا الزمان، أو ضربة هاون، أو ضربة بالمدفعية، أو غير ذلك مما يُرمى به.

(فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ) يعني: كأنما أعتق نفسا، له أجر عتق محررة من الرق، قد قال النبي ﷺ: «من أعتق مملوكة أعتق الله بكل عضو منه من النار عضوا منه، حتى فرجه بفرجه».

١٣٣٨ - وعن أَبي يحيى خُرَيْم بن فاتِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كُتِبَ لَهُ سَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(٢)].

الشرح:

(مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً) أي نفقة، على مقاتل، على دابة، المهم نفقة في سبيل الله، ويدخل فيها النفقات على طلاب العلم، والنفقات في الجهاد، والنفقات في الحج والعمرة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٦٥)، والترمذي (١٦٣٨).

(٢) حديث رقم: (١٦٢٥).

كلها في سبيل الله، كما في حديث أبي طليق: «**أما إنك لو أعطيتها كان وكنت في سبيل الله**».

(**كُتِبَ لَهُ سَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ**) هكذا الحسنات، «**إن الله كتب الحسنات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة**».

١٣٣٩ - وعن أَبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رسول الله** ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذلِكَ اليَوْمِ وَجهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرْيفًا**». **متفقٌ عَلَيْهِ**[(١)].

الشرح:

يعني معنى الحديث: هل من صام صياما مطلقا مخلصا فيه لله عَزَّوَجَلَّ يحصل على هذا الفضل أم أن هذا خاص بمن يصوم في حال لقيا العدو؟ وقد تقدم أن النبي ﷺ أمر بالفطر في حال لقي العدو، فقال: «**أولئك العصاة**» إذ لم يفطروا.

فالاستدلال بعموم الحديث يدل على فضل الصيام في سبيل الله مطلقا، والاستدلال بخصوص الحديث يدل على الصيام في حال الجهاد أجره عظيم، إلا إذا كان الصيام سيؤدي إلى ضعف المجاهد والمقاتل فهنا يُلزم بالفطر، وإذا كان سيؤدي إلى إضعاف المسلمين يجب عليه الفطر.

١٣٤٠ - وعن أَبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبيِّ** ﷺ **قَالَ**: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كما بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ**». **رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح**[(٢)].

---

(١) انظر الحديث (١٤١٨).

(٢) حديث رقم: (١٦٢٤).

الشرح:

(مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبيلِ اللهِ) على المعنى السابق، إما مخلصا لله، أو في الجهاد.

(جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا) يسلم من الوقوع فيها.

«والصيام جنة» بين العبد وبين المعاصي، وبين العبد وبين الوقوع في النار.

١٣٤١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا الحديث حمله بعضهم على الإطلاق: أن أي إنسان من المسلمين من الرجال لم يحدث نفسه بغزو لنصر دين الله عَزَّوَجَلَّ فعنده نوع نفاق، وحمله بعضهم على أنه في حق من كان في عهد النبي ﷺ، إذ أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتبارون ويتسابقون في الجهاد مع النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي أو أصحابي ما قعدت خلاف سرية، ولكن يشق عليهم أن يفارقوني، وليس عندي ما أحملهم»، أو كما قال ﷺ.

فلتكن نيتك إن لم تقم بالجهاد بسنانك فلا أقل من النية الصادقة لنصرة دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي هذا الحديث فضل النيات، (مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ) والنفاق شعب، منها ما يخرج من الملة، ومنها غير خارج من الملة، مثل حديث: «إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

---

(١) حديث رقم: (١٩١٠).

١٣٤٢ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنا مَعَ النبيِّ ﷺ في غَزاةٍ فقالَ: «إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ».

وفي رواية: «حَبَسَهُمُ العُذْرُ».

وفي رواية: «إِلاَّ شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ». رواه البخاري من رواية أنس، ورواه مسلم من رواية جابر واللفظ لَهُ[1].

الشرح:

فيه أن الإنسان قد يؤجر على الجهاد وهو في بيته، كما يؤجر على الحج وهو في بيته، ويؤجر على الصيام وهو يأكل، أي: يأتيه أجر عبادة، ليس معنى ذلك: أن المفطر الناوي للصيام كالصائم في الأجر سواء، لا، أكيد أن الصائم أجره أعظم، وليس الذي نيته الجهاد أجره كأجر المجاهد، المجاهد بالفعل أجره أعظم.

لكن مع ذلك النيات طيبة، النيات وإصلاح النيات من الأمور المهمة، ولذلك يقولون: نية المؤمن خير من عمله؛ لأن العمل الذي بدون نية لا يستفيد منه صاحبه.

والنية الصالحة مع غير العمل يؤجر صاحبها عليها، تكتب له حسنة كاملة، وأما إذا اجتمعت في العمل النية الصالحة والعمل الصالح فهنيئا لهذا السالك، وأيضا من كانت نيته طلب العلم نيته محبة الخير وحيل بينه وبين ذلك لأسباب عسى أن يأجره الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر الحديث (٤).

١٣٤٣ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أعرابيًا أتى النبيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ؟ وفي رواية: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وفي رواية: يُقَاتِلُ غَضَبًا، فَمَنْ في سبيل الله؟ فقالَ رسولُ اللهِ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم في جميع الأبواب، كثير من الناس يشتركون في الصلاة، كثير من الناس يشتركون في طلب العلم، كثير من الناس يشتركون في الزكاة، كثير من الناس يشتركون في كثير من أعمال البر، لكن بعضهم يفعل هذه الأفعال فخرا وخيلاء ليقال، وبعضهم يفعلها إخلاصا لله عَزَّوَجَلَّ، طاعة لله عَزَّوَجَلَّ، فلا شك أن الطائع أجره أعظم، أجر المحتسب أعظم من أجل غير المحتسب.

فانظر يقاتل شجاعة، يقاتل حمية، يقاتل ليرى مكانه، يقاتل للمغنم، يقاتل ليذكر، كلها ما ينتفع بها المقاتل، كما في حديث الثلاثة الذين يقضى عليهم يوم القيامة: عالم ومجاهد ومنفق، لم يخلصوا النيات فاستحقوا العذاب.

ومعنى (كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا) أي: دين الله، وكلمة التوحيد، هي الظاهرة، هي الحاكمة، هي القاضية على الناس، حتى ولو وُجد أهل ذمه تبقى كلمة الله العليا.

---

(١) انظر الحديث (٨).

١٣٤٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلاَّ كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورهُمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إِلاَّ تَمَّ لَهُمْ أُجُورهُمْ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(مَا مِنْ غَازِيَةٍ): سرية، جيش، كتيبة، حتى ولو كان واحدا خرج في سبيل الله.

(تَغْزُو) الكفار أو البغاة.

(فَتَغْنَمُ) العتاد والعدة، (وَتَسْلَمُ) من الجراحات والقتل.

(إِلاَّ كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورهُمْ): أجر السلامة وأجر المغنم، ويبقى له أجر لقتل النفس الذي لم يحصل، فيؤجر ثلثا، وينقص بعض أجره.

(وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إِلاَّ تَمَّ لَهُمْ أُجُورهُمْ)؛ لأن النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يصب منه».

ومع ذلك لا يجوز للإنسان أن يُلقي بنفسه إلى التهلكة، ويقول: أنا أريد أن أقتل، أنا أريد أن أموت من أجل أحصل الأجر، لا، حافظ على نفسك، حافظ على نفسك، حتى إن أبقاك الله أقر عينك بعذاب الكافرين وهلاكهم، وجعل الدبرة عليهم.

وهكذا تستمر في نصرة الإسلام، ولهذا كان قول أهل العلم: الحياة في سبيل الله أفضل من الجهاد في سبيل الله، كيف هذا؟ يوم يزيد في عمرك أفضل من أن تموت قبل ذلك، يزداد في صلواتك، في ذكرك، في دعائك، في رجائك، في بذلك، في علمك، في كثير من شأنك، فتؤجر على ذلك.

---

(١) حديث رقم: (١٩٠٦).

١٣٤٥ - وعن أَبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رجلًا، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ[1].

الشرح:

(ائْذَنْ لي فِي السِّيَاحَةِ) السياحة: الانطلاق من بلاد إلى بلاد للنزهة، والنظر في الآفاق.

(إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ) وهكذا الذهاب في طلب العلم سياحة عظيمة، وهكذا الخروج دعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ سياحة عظيمة، وهكذا الزيارة في الله سياحة عظيمة، وهكذا الذهاب في الحج والعمرة سياحة، سياحة مشروعة، سياحة عبادة، يؤجر الإنسان.

انظروا إلى السواح من الأوروبيين والأمريكيين ومن شابههم من الكافرين والعصاة يذهبون للسياحة لكن يريدون من وراء السياحة الزنا، وبعضهم اللواط، وبعضهم يريد شرب الخمر، وبعضهم المخدرات، وأحسنهم حالا يريد يضيع الوقت كما يقول العامة عندنا في اليمن: ينفخ، يضيع الوقت، ما لهم نية ولا مقصد، فيأثمون في صرفياتهم، ويأثمون في تحركاتهم، ويأثمون في كثير من شأنهم.

بينما الطائع لله عَزَّوَجَلَّ سياحة، ينظر إلى الأماكن الخلابة، وإلى الأماكن الجميلة، وفي نفس الوقت يخرج في طاعة، (إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ)، فهنيئا للطائع لله عَزَّوَجَلَّ، وينزل عند إخوانه، يبقى معهم، يؤانسونه، ويدخلون السرور عليه، ويحسنون إليه.

---

(١) حديث رقم: (٢٤٨٦).

بخلاف أصحاب الشرور، نسأل الله السلامة والعافية، الإنسان يخشى على نفسه والله من هذه السياحات، كان هناك كويتي يمكن أصحابه وزوجته وأولاده: أنا أذهب عمره، في كل إجازة، ويذهب وهم ينتظرون حتى يعود من العمرة، الله يعلم يقصر رأسه أو يحلق، واستمر على هذا فترة من الزمن، وفي يوم من الأيام اختُطفت طائرة آتية من بانكوك من تايلاند، بلاد الفساد، بلاد الزنا، بلاد الخمور، وإذا بصاحب العمرة داخل الطائرة، أيش وصله بانكوك؟ العمرة في مكة في بلاد الحرمين.

فانظروا إلى مثل هذا، والله أن بعضهم بلحيته ويذهب إلى مثل تلك البلدان ويفعل الأمور المستقبحة، أخبرني أخ قال: لما دخلت إلى لنبور قال: كنت لابسا ثوبا قميصا، وإذا بالنساء بعدي، الواحدة تعرض نفسها، قال: ورجعت إلى الفندق ولبست لي بنطال؛ خوفا على نفسي من الفتنه، قال: بعد أن لبست البنطال ما أحد أتت إلي.

لأن الكثير من بعض البلدان الله يهديهم شوهوا لباس أهل الاستقامة، عندهم أموال، عندهم كذا، وينزل إلى تلك البلاد يبحث عن النساء المومسات، وأحسنهم حالا هؤلاء الذي يتزوج بنية الطلاق، مع أن الأوزاعي يقول: متعة، والقول الصحيح: إن لم يكن متعة صريحة أنه شبيه بالمتعة، وأنه من الشبهات، «**ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**».

ونحن عندنا لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ وفق ذاك الرئيس السابق إلى منع ما يسمى بالزواج السياحي، وإلا كان قد فعلوا أفاعيل، يعني في موسم واحد أكثر من عشرين ألف امرأة، بعضهم مكرمي خبيث، بعضهم رافضي خبيث، صحيح، في دول الخليج فيهم رافضة، فيهم مكارمة، فيهم كثير من السيئين، نسأل الله السلامة والعافية، فربما يخرج يعطي لوالد المرأة عشرة آلاف ريال سعودي أو عشرين آلاف ريال سعودي، أيش

هي عندهم؟ لو ذهب إلى أوروبا يحتاج أكثر، لو ذهب إلى إندونيسيا إلى هذه الدول التي في هذا البلد يحتاج أكثر.

يأتي اليمن ربما ما يجد في كثير من الشأن هذا الفساد، فيقول: أشتي أتزوج، ويتزوجها بنية الطلاق، أو يتزوجها شبه متعة إن لم يكن متعة صريح، وفي آخر المطاف يوصلها إلى حرض ويقول لها: خلاص أعطني الذهب حقك، أخرج أبيع، ونتغدى، ونشتري لنا أمورا، وأول ما تدخل السعودية أشتري لك أضعاف هذا الذهب، ويخليها في الفندق ويهرب، قاتلهم الله أنى يؤفكون، هؤلاء الأصناف السيئة، أصحاب السياحات السيئة.

ومن أوسخ السياحيين من يسمون بشباب الهِبْز، شباب سيء بريطاني وأوروبي، تجدهم في المطارات ما يجلسون حتى على الكراسي، يمشي أحدهم مع ذاك العود الذي يضربون فيه، يسمونه الكَمَان، ثم يلقون بأنفسهم في طرقات الناس، لا حياء في رجالهم ولا حياء في نسائهم، أظنهم لوطة؛ لأن هذا الصنف أقل الناس حياء إن لم يكونوا ما عاد فيهم حياء، ونسأل الله السلامة والعافية، نسأل الله السلامة والعافية.

احمدوا الله يا طلاب العلم احمدوا الله، احمدوا الله الذي حفظكم من هذه البلايا والرزايا، صونوا عيونكم، صونوا استقامتكم، صونوا شبابكم، صونوا كهولتكم، صونوا شيخوختكم بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

السياحة أفسدت الكثير من الشعوب، هناك دول انتشر فيها السياحة انتشارا سيئا، تركيا، لبنان، مصر، المغرب، ماليزيا، إندونيسيا، سيريلانكا، الهند، كثير من البلدان، نسأل الله السلامة والعافية، قبل ذلك كانت سوريا إلا الآن مع الحروب.

وإذا وُجد الرافضة في بلاد السياحة النسائية تنتعش؛ لأن ما عندهم فروج محرمة الرافضة، ما عندهم فروج محرمة، يجوزون استعارة الفروج، يجوزون الاستمتاع في

الدبر، يجوزون المتعة، يجوزون كثيرا من الأمور، فنحن في آخر الزمان، يفشو الخمر والزنا، وهذه البلايا والرزايا.

١٣٤٦ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ[١].

(القَفْلَةُ): الرُّجُوعُ، وَالمراد: الرُّجُوعُ مِنَ الغَزْوِ بَعدَ فَرَاغِهِ؛ ومعناه: أنه يُثَابُ في رُجُوعِهِ بعد فَرَاغِهِ مِنَ الغَزْوِ.

الشرح:

كما قال رسول الله ﷺ لذلك الرجل: «**إن لك ما احتسبت**»، وهذا أجر عظيم، تؤجر على ذهابك وتؤجر على رجوعك.

١٣٤٧ - وعن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوك تَلَقَّاهُ النَّاسُ، فَتَلَقَّيتُهُ مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ. رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح بهذا اللفظ.

ورواه البخاري قَالَ: ذَهَبنا نَتَلَقَّى رسولَ اللهِ ﷺ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ[٢].

الشرح:

وهذا بيان أن كثير من المؤرخين الذين يجعلون تلك القصيدة: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع قيلت لما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة غير صحيحة؛ لأن ثنية الوداع على طريق تبوك، على طريق الشام.

---

(١) حديث رقم: (٢٤٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٨٣)، وأبو داود (٢٧٧٩).

وفيه الفرح بقدوم الغائب، والاستبشار بذلك، وفيه إكرام الصبيان، والعناية بهم، وإدخال السرور عليهم، وهكذا إذا هناك مسافر لا تمنع الولد لا يخرج لاستقباله، إنما انتبه له، وإلا اجعله يستقبل ويفرح ويستبشر، والنبي ﷺ ربما أردف.

١٣٤٨ - وعن أَبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيرٍ أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[١].

الشرح:

هذا موافق لحديث أبي هريرة السابق: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق**»، فلا بد أن تكون نيتك طيبة إلى الغزو، فإن لم تستطع فتجهيز الغزاة، فإن لم تستطع فمحبة أن تكون غازيا، وهكذا تنتبه لأبنائهم وترعاهم وتنفق عليهم، ولا تقع في حرماتهم.

وليس المراد بالقارعة يعني: صاعقة، قد تكون غير ذلك، قد يكون انحرافا.

١٣٤٩ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح[٢].

الشرح:

وهو حديث عظيم، دليل على فضيلة بث العلم، والدعوة إليه، والتحذير من أهل الباطل، من أهل البدع والمخالفات.

(جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ) وهكذا المنافقين، وهكذا المبتدعين الضالين.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٠٣).

(٢) حديث رقم: (٢٥٠٤).

(بِأَمْوَالِكُمْ)؛ لأن الجهاد يقوم على الجهاد بالمال والجهاد بالنفس، فإن تيسر لك أعلى المراتب وهو الجهاد بالمال والنفس وذاك أفضلها، فإن لم يتيسر لك الجهاد بالمال والنفس فالجهاد بالنفس، فإن لم يتيسر لك الجهاد بالنفس فالجهاد بالمال، فإن لم يتيسر لك ذلك فالنية الطيبة.

والناس كثير منهم ما عنده بعد نظر، وإلا مثل هذه الدور التي تقوم بتعليم الناس الكتاب والسنة وتدعوهم إلى التوحيد الخالص والعقيدة الصحيحة والعمل الصالح لو احتسب كثير من التجار المشاركة للمشايخ والعلماء لشاركوهم في كثير من الأجور، فيكون العالم مدرسا موجها، ناصحا مرشدا، ويكون ذلك معينا بما يسره الله عَزَّوَجَلَّ من مال، تُستأجر لهم البيوت، ويشترى لهم الغذاء، وتقضى لهم الحاجات.

لكن كثير من الناس لا يلتفت لهذا الباب، وأهل السنة بحمد الله في عزة، ما يوم من الأيام يذهبون إلى جمعية ولا إلى حزبية ويقولون: نريد أن تدعمونا وتعينوننا على ما نحن فيه، إلا يبقون في دور حديثهم، يسألون الله عَزَّوَجَلَّ العون والسداد والفرج، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢٢].

فالنبي ﷺ يقول: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ): بالكلام، التحذير من الباطل، الدعوة إلى الحق.

فهذا الحديث نص في الجرح والتعديل؛ لأن الجهاد باللسان أيش يكون؟ بجرح أهل الباطن والتحذير منهم، والتعديل لأهل الحق، وببيان العقائد الزائفة، والطرق الملتوية.

١٣٥٠ - وعن أَبي عمرو - ويقالُ: أَبُو حكيمٍ - النُّعْمَانِ بن مُقَرِّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْتُ رسولَ اللهِ ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ مِن أَوَّلِ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

وفيه فضيلة القتال في آخر النهار؛ لأن الجو يبرد، وهكذا الريح تهب، وينزل النصر من عند الله، وأول النهار يكون الجو باردا، يسهل فيه المسايفة، ويسهل فيه الكر والفر، بخلاف وسط النهار ربما تؤذيك الشمس، ويكرب الحال، يصعد الغبار مع شدة الحر مع كثرة العرق، يضيق حال المجاهد.

١٣٥١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

في حديث عبد الله بن أبي أوفى: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، حتى وإن رأيت نفسك قويا لا تتمن لقاء العدو، ربما تلقاهم وتبتلى بهم، فتصاب بالجراحات، وتصاب بأخذ الأموال وغير ذلك من البركات.

والنبي ﷺ لما غزا الطائف أراد أن يرجع، فقال الصحابة: نرجع قبل أن نفتح؟ فقال النبي ﷺ أو أمرهم بالانتظار، فأصبح اليوم الثاني وأكثبوهم بالنبل، فأصاب الصحابة جراحة، فأحبوا أن يرجعوا قافلين، فتبسم النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٥٥)، والترمذي (١٦١٣)، وأصله في البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٢٦)، ومسلم (١٧٤١).

فالإنسان لا يتمنى لقاء العدو، يقول: اللهم سلم، لكن إذا ابتلاك الله بعدو اصبر واثبت، لا تفتر ولا تتوانى.

١٣٥٢ - وعنه وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

يعني: تأتي بما ظاهره غير باطنه، ولكن بدون كذب، وبعضهم جوز الكذب في مثل هذا الحال في حال قتال الكفار؛ للمصلحة الشرعية، لكن إذا استطاع الإنسان أن لا يكذب لا يكذب، الكذب شر معصية، ما تأتي بالخير.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٩) ومسلم (١٧٣٩).

٢٣٥ - باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

لأن الشهداء ينقسمون إلى قسمين:

واحد: شهيد المعركة، فهذا شهيد في الدنيا والآخرة، لا يغسل ولا يصلى عليه على الصحيح.

والثاني: شهيد الآخرة، يُغسل ويكفن ويصلى عليه، لكن أجره أجر شهيد.

وأما من حيث الأجر فأجر الشهيد الذي يُقتل في المعركة أعظم من أجر الشهيد الذي يغرق، لكن ذاك له أجر شهادة.

١٣٥٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(المَطْعُونُ): الذي يموت بالطاعون.

(وَالمَبْطُونُ): الذي يموت بالأمراض البطنية، حتى ولو تليف الكبد، ولو كذلك الدودة الزائدة، أو الإسهال، أو أمراض الرئة، كل الأمراض الباطنية يدخل فيها هذا.

(وَالغَرِيقُ): الذي يموت في الغرق، في بحر أو نهر أو بركة.

(وَصَاحِبُ الهَدْمِ) ويدخل به الذي تنقلب سيارته، أو يتردى في بيته.

(وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ) وهو أفضلها، شهيد للمعركة، وهكذا، من مات في حال جهاده.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣)، ومسلم (١٩١٤).

١٣٥٤ - وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟» قالوا: يَا رَسولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَليلٌ»! قالوا: فَمَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهِيدٌ». رواه مسلم(١).

الشرح:

يعني سألهم النبي ﷺ؛ لتعليمهم، فقالوا: الشهادة من قتل في سبيل الله فقط، ظنوا هذا، فقال النبي ﷺ: (إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَليلٌ) إذا كان هذا الحال.

لكن (مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ) من قُتل في أرض المعركة، من قتل من أجل إعلاء دين الله فهو شهيد.

(وَمَنْ مَاتَ في سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ) انظر، تأمل، طالب العلم إذا مات في طلب العلم يرجى له أن يكون شهيدا، من مات في سبيل الله، من مات في الحج، من مات في الجهاد وإن لم يقتله الكفار فهو شهيد.

١٣٥٥ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

لكن هذه المسألة يُنظر فيها، إذا كان يستطيع أن يدفع عن ماله دفع، وإن كان الدفاع عن ماله سيؤدي إلى قتله لا سيما في هذا الزمن زمن القتل والقتال، زمن عدم الورع، يا أخي المال يذهب ويأتي بدلا عنه، والنفس إذا ذهبت لا يأتي بدل عنها، فإذا

(١) حديث رقم: (١٩١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١).

استطعت أن تضحي بمالك أو ببعض مالك من أجل سلامة نفسك فهو أحسن، وعند الله تجتمع الخصوم.

مع أنه لو قُتل دون ماله شهيد، له أجر شهادة إن شاء الله، لكن السلامة لا يعدلها شيء، ربما إذا قُتلت دون مالك يؤدي بعد ذلك إلى ثارات، وإلى قتل الأبناء، وإلى قتل من ذلك الصنف، ونحو ذلك.

١٣٥٦ - وعن أَبي الأَعْوَر سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل، أَحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بِالجَنَّةِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل هو وأبوه من المبشرين بالجنة.

وهذا يضاف إلى المعاني السابقة.

(مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) وإن ضحى بالمال لسلامة النفس لا حرج.

(وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) أراده أحدهم فدافع عن نفسه فقتل.

(وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) وهذا من أعظم الشهداء، أراد بك الردة عن دين الإسلام، أو الفتنة في الإسلام.

(وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) يدافع عنهم حتى لا يتمكن منهم الخصوم، لا سيما إذا كانوا فجرو ربما يفعلون فيها الفاحشة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١).

١٣٥٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أَرَأَيتَ إِنْ جَاءَ رجلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

على النوع السابق من فضل الشهادة في الدفاع عن المال.

بهذا نكون قد انتهينا من باب الجهاد وما يتعلق به، والحمد لله رب العالمين، ويليه إن شاء الله باب فضل العتق وما يتعلق به.

النووي رحمه فتح الله عليه في كثير من أبواب العلم والدين، وجعل الله عَزَّوَجَلَّ كتبه مراجع في كثير من أبواب العلم، سواء في الحديث كـ(رياض الصالحين)، في الشروح كشرحه على مسلم، في الفقه كشرحه على المهذب، وفي التراجم كـ(تهذيب الأسماء واللغات)، كثير من الناس ينقلون عنه من هذا الكتاب، وهكذا (روضة الطالبين) في الفقه، وهكذا (الأربعين النووية) و (الأذكار)، كتبه أغلبها مراجع.

وقعت له زلة في التأويل، ووقعت له زلة في التبرك بآثار الصالحين، ونحو ذلك، لكن نسأل الله أن يعفو عنه، وما نعلم أحدا من العلماء المعتبرين بدعه في هذه الزلات، أو كفره وفسقه، يلتمسون له العذر: لعله لم تبلغه حجة، وإن كان ربما قد عاصر علماء سنة لكن أحيانا يتغلب عليهم البيئة، فيتأثرون بمن يتتلمذون عليهم.

وأهل السنة الحمد لله وسط، لا نقول: تحرق كتبه ولا يستفاد منها، كما يقول بعض الغلاة، ولا نقول: كل ما قاله النووي شرع، النووي يعلم ويجهل، ويصيب ويخطئ، فما وافق الكتاب والسنة استفدناه منه، وما وقع فيه من الزلات رددناه عليه.

---

(١) حديث رقم: (١٤٠).

كان في إخوة على خير، أظن من البحرين، وكان عندهم محبة للعلم والتعليم، ودخلت عندهم هذه الشبهة النووي والحافظ ابن حجر، وازدروا طلاب العلم في دماج قالوا: لأنهم تلمذوهم على كتب النووي والحافظ ابن حجر، ما ندري ما صنعوا الآن ما أدري أين هم.

والأمور تترابط، يعني إذا قلت: لا أستفيد من كتب النووي والحافظ ابن حجر انطلقت إلى كتب الشوكاني في بعض شيئها، الصنعاني في بعضها، القرطبي في بعضها، المازري، القاضي عياض، الحليمي، البيهقي، كم تتحدث؟ الخطابي، كم تقول من علماء وقعت لهم زلات بين مستقل ومستكثر؟ وما زال الناس يستفيدون من كتبهم فيما لا يخالف الشرع.

ابن حزم كم له من زلات؟ ومع ذلك كتبه مراجع، والزلة تُترك، ابن حجر الهيتمي كثير من الناس يستفيدون من كتبه، مثل (الزواجر)، و (الفتاوى الحديثية)، ولما نقلنا عنه في بعض الكتب قام بعض المتعصبة مثل هذه الأصناف، هذه الأصناف قد عدموا الإنصاف، قال: لماذا ينقل عن الهيتمي، ينقل عنه اللجنة الدائمة، ينقل عنه غير واحد من العلماء من المتقدمين والمتأخرين.

ومرة نقلنا عن الجاحظ مسألة لغوية، والجاحظ معروف إنه معتزلي ضال، إلى الزندقة أقرب، لكن مسألة لغوية كما يستفاد منه في (كتاب الحيوان) وفي بعض كتبه، وربما تجد بعض العلماء ينقل من (الكشاف) للزمخشري وهو معتزلي إلى نخاعه.

لكن مع ذلك الطالب المبتدئ يبقى مع الكتب الصافية السليمة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويستفيد من الكتب المخدومة، ويمضي في سير علمائه وإخوانه، فلا إفراط ولا تفريط، لا إفراط بحيث نقول: لا نستفيد من كتبهم مطلقا، ولا تفريط بحيث يقال: لا، هؤلاء كل كلامهم حق، والله المستعان.

٢٣٦ - باب فضل العتق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ **[سورة البلد: ١١-١٣].**

الشرح:

يعني: عتق رقبة.

وقلت في كتابي البدر التمام في بيان آيات الأحكام:

العتق: هو تحرير الرقبة من الرِق وملكية الغير.

والعبودية التي هي مِلك اليمين تحقق بأمرين:

الأول: أن يقع حرب بين المسلمين والكفار فينتصر المسلمون ويغنمون الذراري والأموال، فيقسم الذراري على أنهم عبيد وإماء.

الثاني: أن يورث هذا العبد أو يُباع، أما بيع الأحرار فلا يجوز فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حذر من ذلك وأخبر عن جريمة؛ **ففي صحيح البخاري**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**».

وكان الرِق معمولًا به إلى عهد قريب حيث أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية وما إليها من عصبة الأمم قرارًا جائرًا يمنع الرِق، وإلى الآن كثير من الرقيق في العالم أخذ بهذا القانون وما رجع إلى سيده في عتقه، وإلا الأولى أن يرجع العبيد إلى أسيادهم أو أبناء أسيادهم فيقولون: نحن كنا لكم عبيد بحكم الإسلام، وجاء هذا القانون الباطل ومع ذلك نطلب منكم أن تحررونا.

ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ رغبَّ في عتق الرقبة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»، متفق عليه، يعتقه الله عَزَّوَجَلَّ، إلا إذا كان العبد أبًا أو أمًا فهنا وجوبًا بمجرد أن يتملكهم الابن صاروا أحرارًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**» أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثالث: وهي مسألة خلافية بين أهل العلم: وهي أُم الولد: رجل له جارية استمتع بها بأمر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦﴾ [المؤمنون:٦]، فإذا حملت منه ووضعت صارت حُرة؛ لأنها أم ولد، فيحررها ولدها.

* **فائدة:** الجارية إن ولدت من سيدها ولدًا أعتقها ولدها، لكن الحُكم عند جماهير العلماء: أنها تبقى مع واطئها في حُكم الإماء يشملها كل أمور الإماء من: اتيان، وعدم قسمة وغير ذلك، إلا أنها لا يجوز أن تُباع، ولا أن تؤجر أو تُهدى، فقد أعتقها ولدها، كما جاء في بعض الآثار: أن إبراهيم ابن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لمَّا وضعته أُمه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أعتقكِ ولدك؛ لأن أمه سرية لم تكن زوجة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فمارية القبطية كانت سرية جارية أهداها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المقوقس، ثم حملت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فوضعته فأعتقها.

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ سُبلًا لتحرير العبيد:

الأول: العتق المجرد المراد به: التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإن أجره عظيم كما تقدم وسيأتي، وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الرِّقَابِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟[1] قَالَ: «**أَغْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا**» أخرجه أحمد.

الثاني: العتق في كفارة الظهار، من قال لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، حَرُمَ عليه

---

(١) أي: في العتق.

الاستمتاع بها حتى يعتق رقبة مؤمنة كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

الثالث: كفارة قتل الخطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء:٩٢].

الرابع: كفارة الأيمان، فإن الله عَزَّوَجَلَّ شرع الله فيها العتق، ويدخل فيها كفارة النذر، وقد أعتقت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في يمين لها أربعين نفسًا، وكان السلف يتبارون في عتق العبيد والإماء حتى ذُكِرَ أن ابن عمر أعتق ألف نفس، فكان إذا رأى من يُصلي ويُحسن العبادة أعتقه، فقالوا له: يا ابن عُمر أفسدت عبيدك يتزينون لك، قال: ما لي ولهم من رأينا منه الخير أعتقناه.

ويقولون: أن ذا الكلاع الحميري أعتق اثنيَّ عشر ألفًا في حروب عُمر بن الخطاب وفتوحه، ويذكرون: أنهم المُشار إليهم: «**يَخْرُجُ مِنْ عَدَنٍ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» أخرجه أحمد عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

الأمر الثالث من أنواع العتق: العتق عن دُبر، يقول الرجل لعبده: إذا مِتُّ فأنت حُرم، وقد كان يُفعل في زمن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كانت قد دبرت جاريةً لها ثم إن الجارية سحرتها من أجل أن تتعجل موتها فباعتها من أشرس العرب في التعامل مع الإماء والعبيد، فالمُدبَّر إن كان دون الثُلث جاز.

مسألة العبد المشرك:

من أعتق شِركًا له في عبد فخلاصهُ من ماله، أعتقت رُبع عبدك احتسب الأجر وادفع الثمن إلى بقية الشُركاء حتى يصير العبدُ حُرًا؛ ليكتمل لك الأجر، إلا إذا لم يكن

لديه مال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، يعني: يبقى العبد بعضه حُر وبعضه عبد، ويسعى في عِتق نفسه إما بطلب العفو والتسامح، وإما بالمكاتبة؛ لأنه إذا صار بعضه حُر وبعضه عبد لا يعود التحكم فيه كما كان عبدًا خالصًا؛ لحديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ شِرْكًا لَهُ فِي مَمْلُوكٍ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْتِقَ كُلَّهُ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ قَدْرَ ثَمَنِهِ، يُقَامُ قِيمَةَ عَدْلٍ، وَيُعْطَى شُرَكَاؤُهُ حِصَّتَهُمْ، وَيُخَلَّى سَبِيلُ الْمُعْتَقِ**»، وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ شِقْصًا لَهُ فِي عَبْدٍ، أُعْتِقَ كُلُّهُ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَإِلَّا يُسْتَسْعَ غَيْرَ مَشْقُوقٍ عَلَيْهِ**». متفق عليه.

قد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وثبوته، **لكن الصحيح**: ما قررناه، فالحديث ثابت في الصحيحين كما ترى، ولا يخالف شرعًا ولا عقلًا، بل فيه تأدية الحقوق للمُلَّاك والمملوكين. اهـ

١٣٥٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ، عُضْوًا مِنْهُ فِي النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

في هذا الحديث فضل العتق، وأن هذا الفضل في عتق الرقبة المسلمة، وبعضهم أثبت الفضل ولو في عتق أي رقبة.

وهذا الحديث يُستدل به على أن من أعتق الذكر والأنثى فهو في الأجر سواء، وإن كان بعضهم يذهب إلى أن عتق الأنثى الواحدة تكون سببا في عتق نصفه من النار، وعتق الأنثى الثانية تكون سببا في عتقه من النار؛ قياسا على تنصيف الدية وغير ذلك

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

من الأحكام الشرعية، لكن الحديث الذي في الباب فيه ضعف، وهذا أصح منه في الصحيحين.

(مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً) يدخل في عمومها الذكور والإناث من المسلمين، الصغار والكبار، الأبرار والفجار.

١٣٥٩ - وعن أَبي ذرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ الأعمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الإيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ» قَالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

في هذا الحديث: سؤال أهل العلم فيما يشكل.

وفي هذا الحديث: تفاضل الأعمال الصالحة.

وفي هذا الحديث: أن الإيمان بالله أفضل الأعمال، إذ أن صحة الأعمال من فسادها عائد إلى صحة الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيله؛ لعظيم شأنه، فبه يُنصر الدين، وبه تعلى الكلمة، وبه يُقمع الباطل.

(أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟) أي في حال عتقها.

(أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا): التي يحبها أهلها؛ لأن الناس عادة يحبون الصالح، لو لم يكن إلا الصالح في بدنه، الصالح في خدمته، الصالح في أخلاقه.

(وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا): كلما بذل فيها أكثر كان أجرها أكثر، ويذكرون: أن عبد الله بن عمر كان إذا أُعطي في عبد من عبيده ثمنا كثيرا أعتقه، وهكذا علي زين العابدين أعتق غلاما قد أُعطي فيه ألف دينار أو أكثر.

---

(١) انظر الحديث (١١٧).

٢٣٧ - باب فضل الإحسان إلَى المملوك

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [سورة النساء: ٣٦].

الشرح:

هذه الآية تسمى بآية الحقوق العشرة؛ لأنها تضمنت عشر حقوق:

الأول: حق الله: (﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾).

الثاني: حق الوالدين من قوله: (﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾).

الثالث: حق ذي القربى من قوله: (﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾).

الرابع: حق اليتامى.

الخامس: حق المساكين.

السادس: حق الجار القريب.

السابع: حق الجار البعيد.

الثامن: الصاحب بالجنب، قيل: الزوجة، وقيل غير ذلك.

التاسع: ابن السبيل.

العاشر: ملك اليمين.

١٣٦٠ - وعنِ المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَيهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ سَابَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيديكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(فَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ سَابَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ) سب رجلا أسود وعيره بأمه.

هذا الحديث فيه تحريم سب المسلم وتعيير المسلم.

وفيه أن الإنسان قد يكون فيه من صفات الجاهلية وليس بكافر، فالنبي ﷺ قال لأبي ذر: (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ)، ففيه رد على الخوارج الذين يكفرون بمطلق المعصية.

(هُمْ إِخْوَانُكُمْ) أي: في الدين، (وَخَوَلُكُمْ) أي: خدمكم.

(جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيديكُمْ): تتصرفون فيهم بيعا وشراء، ورهنا وعتقا، وغير ذلك.

(فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ) حتى ولو كان عاملا، ليس بالشرط أن يكون عبدا.

(فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ): يحسن إليه في إطعامه، ويحسن إليه في كسوته إن كانت تلزمه الكسوة.

(وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ)؛ لأن العبد تلزم النفقة عليه.

(وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ) أي: لا تكلفهم من الأعمال ما يعجزون عن القيام به.

(فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

١٣٦١ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلَاجَهُ».

رواه البخاري[1].

(الأُكْلَةُ) بضم الهمزة: وَهِيَ اللُّقْمَةُ.

الشرح:

بمعنى ذلك: الإحسان إلى العبد، والإحسان إلى المملوك، لا تقل: هذا قد هو ملكي، أتصرف فيه كيف أشاء، ولا أعطيه شيئا، بل أحسن إليه، وهذه الأخلاق وهذه الآداب لا توجد في غير دين الإسلام، فالاشتراكية هضمت الإنسان، والرأسمالية كذلك عانى منها الإنسان.

حتى ما تسمى بالحرية الفردية ظلموا فيها الإنسان أيما ظلم؛ لأن الحرية الفردية التي ينادي بها الثوار امتدادا من الثورة الفرنسية وما بعدها هي في الحقيقة: تصيير الإنسان إلى أن يكون حيوانا، الحرية الفردية الحرية المطلقة معناها: تصيير الإنسان أن يكون حيوانا بالمفتوح، أن يكون حيوانا بهيميا في الفروج، أن يكون حيوانا بهيميا في المأكول، أن يكون حيوان بهيميا في جميع شأنه، ما عنده حلال ولا عنده حرام.

الآن الحمار متى أراد ينهق نهق، ومتى أراد يسكت سكت، وهؤلاء بدعواهم إلى الحرية المطلقة يعني يتكلم متى شاء بما شاء، ويسكت متى شاء، ويفعل متى شاء، ويلبس ما شاء، يعني معناه: يصير حيوانا غير مكلف، عندهم.

بينما الإسلام جاء بالتكليف، أن الإنسان يجب عليه أن يكون طائعا لله، ملازما لهدي رسول الله ﷺ، فأصحاب الدعوة إلى الحرية المطلقة أساؤوا إلى أنفسهم قبل الإساءة إلى غيرهم، وإلا فإن دين الله محفوظ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٧)، ومسلم (١٦٦٣).

أسألك بالله لما يبيحون له يركب له ذيل، قد وقع هذا ليس بالأمر الجديد، يركب لنفسه ذيل، أو خلقه الله ذكرا ويذهب يعمل لنفسه فرجا، أو كذلك يتعاطى ما شاء من المسكر، يتعاطى ما شاء من المخدر، يتعاطى ما شاء من الزنا، من اللواط، من غير ذلك، يعني صار كالبهيمة، بل أسوأ من البهيمة.

بينما المسلم مأمور باللبس الحسن، مأمور بنظافة البدن، أنت داري لماذا صنعوا الكزنوفا وهذا الطيب الفرنسي الذي يسمى هذا عطر فرنسي؟ لأنهم أصلا ما يستنجون، سراويلهم كلها مليئة بالبلاء، وما يحلقون آباطهم، تجد عندهم الكور، تصلي عند الواحد - هذا لو كان مسلما وما يحلق إبطه - ربما تجد رائحة تسبب لك جروحا، فما بالك بمثل هذا البقرة؟ هذا البهيمة الذي تشاهد أشعارهم وأبشارهم ما يعتنون بها.

أما الإسلام أمرنا أن نغتسل في كل سبعة أيام: «**يغسل رأسه وجسده**»، يقصر شاربه، ويقصر أظافره، ويحلق عانته، ويحلق إبطه، في أقل من أربعين يوما، ولا يجوز له أن يمشي مخلوسا، لا بد أن يلبس لباسا ساترا، ومن تمام الزينة تغطية الرأس، ولا يلعب برأسه يعمل قزعا، بل لا بد أن يكون رأسه حلاقة واحدة، ولا يذهب مع النساء يختلط بهذه وهذه، لا يجوز له، إلا أن يكون مع محارمه، أو الرجال من أمثاله.

وهكذا في الأكل لا يأكل ما يؤدي إلى ذهاب عقله، أو يأكل أموال الغير، أو يأكل ما يؤدي إلى ضرره، الإسلام هو الحل باختصار، الإسلام هو الحل لمشاكل العالم، أما الدعوة إلى الحرية المطلقة دعوة إلى البهيمية البحتة، بل إلى أسوأ من البهيمية، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [سورة الفرقان: ٤٤]، وهذا في جميع الأبواب.

أسألك بالله لما يكون معك امرأة ما تستطيع تأمرها ولا تنهها أيش من زواجة هذه؟ أو معك ولد، ما تدري أين هو، أو الأب مرمي به في الملاجئ، حياتهم حياة سيئة والله، نحن في خير، الحمد لله الذي من علينا بهذا الإسلام.

٢٣٨ - باب فضل المملوك الَّذِي يؤدي حق الله وحق مواليه

لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حق المملوك حتى لا يتبادر إلى الذهن أن المملوك يضيع حق الغير؛ ذكر الأحاديث المتعلقة بما يتعين على المملوك.

١٣٦٢ - عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ[١] إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ». متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

١٣٦٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أَجْرَانِ»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ لَوْلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

الشرح:

لفضل وأجر العبد الطائع لله عَزَّوَجَلَّ، يضاعف له الأجر مرتين، هنيئا له، لكن الحرية أفضل بلا شك ولا ريب؛ لأن الحر يتصرف في نفسه، يستطيع أن يحج ويعتمر ويتصدق، ويملك المماليك، ويعتق.

١٣٦٤ - عن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَالطَّاعَةِ لَهُ أَجْرَانِ». رواه البخاري[٤].

الشرح:

---

(١) أي: المملوك.

(٢) أخرجه: البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (١٦٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم (١٦٦٥).

(٤) حديث رقم: (٢٥٥١).

بهذا القيد: (الإحسان)؛ لأن أكثر المماليك على غير الإحسان إلا إن شاء الله، وإلا تجد عندهم الفساد، تجد عندهم القصور، تجد عندهم الخيانة، ولذلك كان الممتثل لشرع الله عَزَّوَجَلَّ أعظم أجرا.

١٣٦٥ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وهذا ليس على الحصر، فإن زوجات النبي ﷺ لهن أجران.

(رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ) فهنيئا لمن كان على دين سابق ثم آمن بالدين الحق، وأما من بقي على دينه الأول صار كافرا من شر البرية.

(وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ) بهذا القيد، فإن أدى حق الله وضيع حق مواله آبق ليس له ذلك الأجر، وإن أدى حق مواليه ولم يؤد حق الله هذا تالف، ليس له ذلك الأجر، لا سيما إذا ترك الصلاة كان كافرا.

(وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ): جارية.

(فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا): علمها القرآن والسنة.

(١) أخرجه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤).

٢٣٩ - باب فضل العبادة في الهرج

وَهُوَ: الاختلاط والفتن ونحوها

١٣٦٦ - عن مَعْقِلِ بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وأعظم العبادة في هذا الزمان: التفرغ لطلب العلم، والبقاء معه، ولا بأس أن يُضم إليها قيام الليل، وقراءة القرآن، والتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالصيام، وصلاة الضحى، وملازمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأن الهرج تقسو فيه القلوب، وتتنافر فيه الأبدان، وتكثر فيه الضغائن، ويلحق الإنسان بسببه الشر العظيم، فلذلك كانت العبادة ثقيلة على النفس، وهذا يجاهد نفسه من أجل أن يصل إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ على الوجه الأكمل، فهو كهجرة إلى النبي ﷺ.

(١) حديث رقم: (٢٩٤٨).

٢٤٠ - باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان، والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسِر المُعْسِر والوضع عَنْهُ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٥].

وقال تَعَالَى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [سورة هود: ٨٥].

وقال تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [سورة المطففين: ١-٦].

الشرح:

هذا باب عام لمحاسن الأخلاق، في البيع والشراء، والأخذ والعطاء، وما يتعلق بذلك، هذا باب يحتاجه الجميع، البائع والمشتري، التاجر والعميل، إلى غير ذلك.

(السماحة في البيع والشراء) يعني: تسمح في حال بيعك وتسمح في حال شرائك، مثلا البائع يقول: هذه بألف، رأى أن المشتري ما عنده ألف، خذها بتسعمائة، خذها بتسعمائة وخمسين، وهكذا ذلك يعني ربما البضاعة تكون بتسعمائة وخمسين ورأى أن البائع يطلب ألف، مثلا ما يبقى معه في أخذ وعطاء، ولا بد تنزل لي، وأنا مسكين، وجزاك الله خيرا، وأحسن إلي، هي خمسين ريال، يتجاوز، فالتجاوز تارة من المشتري وتارة من البائع.

(والأخذ والعطاء وحسن القضاء) يعني: تدينت من أحدهم رد له ماله، فإن أصبت بالعسر تلطف به في أن ينظرك.

(وإرجاح المكيال والميزان) «**زن فأرجح**»، يعني تارة تزيد عدة جرامات، أجر ومثوبة، وإنقاص عدة جرامات قد تكون من أسباب عذابك، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [سورة المطففين: ١].

(﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾) هذا من الأدلة العامة، وما تفعلوا من خير مطلق، فإن الله به عليهم، سواءً النوافل في الصلاة أو الصيام، أو في العطاء، أو في الأخذ، أو في التعاون.

(﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾) سواء المكيال والميزان في الحسيات كالكيل والوزن، أو في المعنويات في الكلام.

(﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾) يستوفون مالهم.

(﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾): ينقصون.

١٣٦٧ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا» ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ» قالوا: يَا رسولَ اللهِ، لا نَجِدُ إِلاَّ أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «أَعْطُوهُ، فإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً». متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

هذا حديث عظيم، في أن الإنسان إذا صار مستدينا ربما يغلظ له المدين، فعليه أن يصبر على إساءته، مع أنه ينبغي للمدين أيضا أن يكون رفيقا، وأن يكون متجاوزا، وأن يكون منظرا؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**».

وفيه حسن القضاء بأكثر مما أعطاك، أو بأنفس مما أعطاك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠١).

وفيه غضب الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ.

١٣٦٨ - وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى». رواه البخاري[1].

الشرح:

والنبي ﷺ قد سئل عن أحسن الإيمان قال: «**الصبر والسماحة**»، أفضل الإيمان الصبر والسماحة، يعني: يكون الإنسان عنده سماحة، ما يكون شديدا في جميع شأنه، في جميع معاملاته، ما كان لنفسه يريد على آخر مليم كما يقولون، وما كان لغيره لا يبالي، بل يعيش على السماحة، السماحة أمرها طيب، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الشورى: ٤٠].

(**سَمْحًا إِذَا بَاعَ**): بعت بضاعة كن سمحا يا أخي، إذا اشتريت بضاعة كن سمحا، وإذا اقتضيت دينا لك على الغير كن سمحا، وإذا قضيت دينا كن سمحا.

١٣٦٩ - وعن أَبي قتادة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ». رواه مسلم[2].

الشرح:

الجزاء من جنس العمل، «**من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**».

(**فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ**) يعني: ينفس في الوقت، يقول: أريد شهرا، قل له: خذ لك شهرين.

---

(١) حديث رقم: (٢٠٧٦).

(٢) حديث رقم: (١٥٦٣).

(أَوْ يَضَعْ عَنْهُ) يكون عليه عشرة آلاف يقول له: خذ لك ألفين وهات ثمانية، لا بد أن الناس يتعودون مثل هذه الأحاديث، السماحة في البيع والشراء، والأخذ والعطاء، المشاحة هذه يحاول الإنسان أن يضغط نفسه من أجلها، «إياكم والشح»، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [سورة الحشر: ٩].

١٣٧٠ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

الجزاء من جنس العمل، لقي الله فتجاوز عنه وأعتقه من النار.

١٣٧١ - وعن أَبي مسعود البدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

أبو مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو عقبة بن عمرو.

يعني: كان مسلمًا، لكن كان مسرفًا على نفسه في المعاصي والسيئات، إلا أنه كان حسن المعاملة في البيع والشراء، يتجاوز عن الناس، فتجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عنه.

فالإنسان يستغل المال لرفعة درجاته، لقضاء حاجاته، لتيسير أموره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٠)، ومسلم (١٥٦٢).

(٢) حديث رقم: (١٥٦١).

وفيه أن الله عَزَّوَجَلَّ يجازي العبد على قدر عمله، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠].

١٣٧٢ - وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ اللهُ تَعَالَى بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٤٢]، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»، فَقَالَ عُقْبَةُ بن عامِر، وأبو مسعودٍ الأنصاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هكَذا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِيِّ رسولِ الله ﷺ. رواه مسلم[(١)].

١٣٧٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٢)].

الشرح:

لا يلزم من كونه ظل عرش الله أن يكون الشمس فوق العرش، كما يتوهمه بعضهم، فنحن نؤمن أنه هو ظل يخلقه الله، نؤمن بهذا الظل أنه يخلقه الله يظل به من شاء من عباده.

فهذا فيه فضل إنظار المعسر أو الوضع عنه، الإنظار: تأخير الوقت، يستدين منك لشهر تؤخره لشهرين، لسنة تؤخره لسنتين، إلى غير ذلك على قدر الاستطاعة.

وكذلك الوضع عنه: ألف يعطيك خمسا، كما فعل النبي ﷺ مع ابن أبي حدرد.

---

(١) حديث رقم: (١٥٦٠).

(٢) حديث رقم: (١٣٠٦).

١٣٧٤ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ اشْتَرَى مِنْهُ بَعِيرًا، فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

يعني: أعطاه القيمة وزاد له، بل ورد إليه البعير، كما في الحديث: «خذ جملك ومالك، فهو لك»، هذا هو السماحة في البيع والسماحة في الشراء.

١٣٧٥ - وعن أَبي صَفْوَان سُوَيْدِ بنِ قيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَجَاءنا النبيُّ ﷺ فَسَاوَمَنَا بسَرَاوِيلَ، وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بِالأَجْرِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: «زِنْ وَأَرْجِحْ». رواه أَبُو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[٢].

الشرح:

يعني: أرجح في الوزن، وكيف يزن السراويل؟ كانوا يأخذون اللباس، نوع من القماش، فمثلا يزيد في القطعة، أو يزيد في وزنها، إلى غير ذلك.

لم يثبت أن النبي ﷺ لبس السراويل، لكن قال العلماء: ما اشترى هذا السراويل إلا للبسها، والله أعلم، ولبس السراويل من الأمور المستحبة؛ لما تؤدي إليه من تغطية العورة ونحو ذلك، والله المستعان.

كل هذه الأحاديث ساقها المصنف؛ لبيان فضل الإنظار، وفضل كذلك التجاوز في حال البيع والشراء، والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٠٤)، ومسلم (٧١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٣٦)، والترمذي (١٣٠٥).

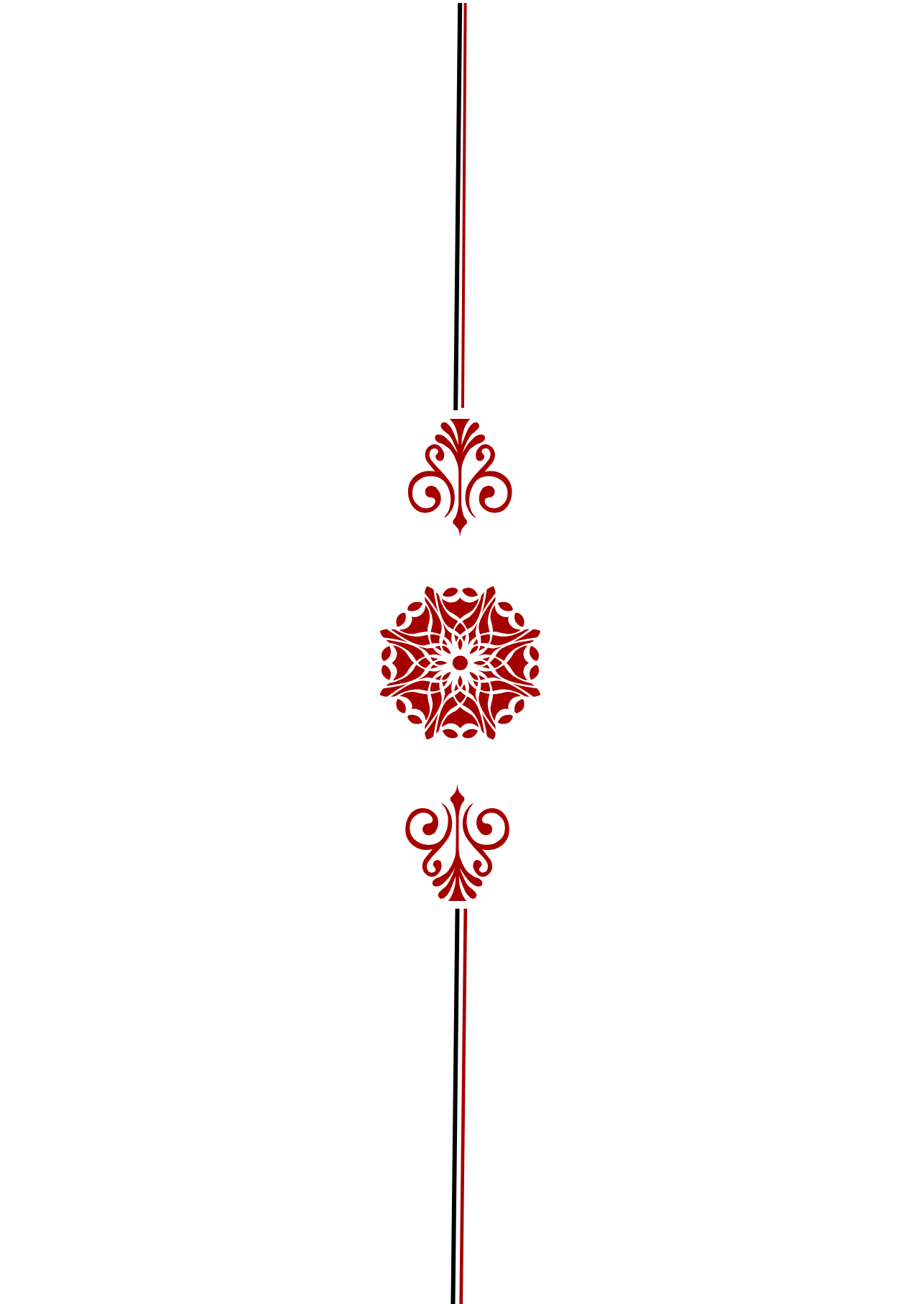

كتاب العلم

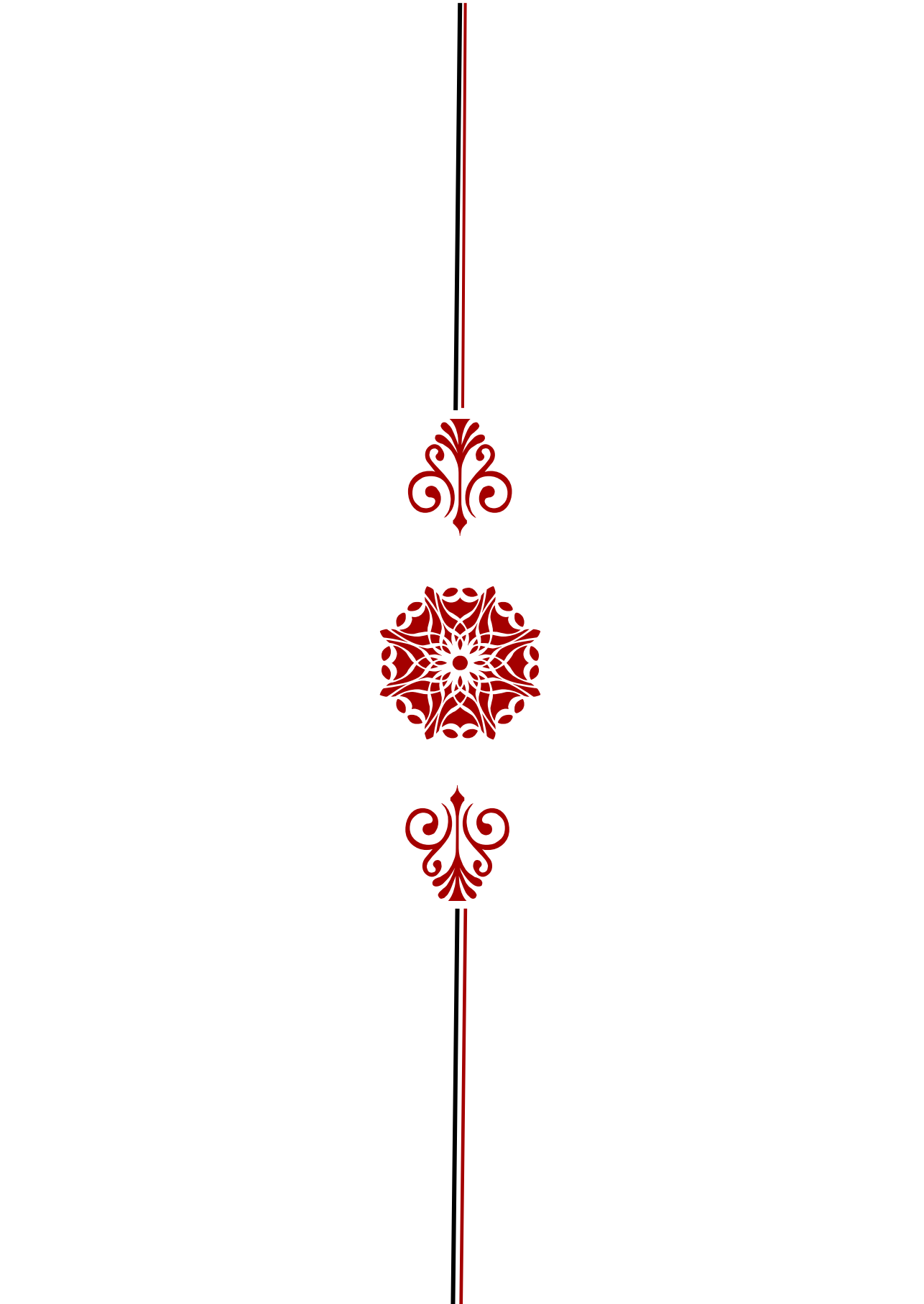

كتاب العلم

هذا كتاب مهم، ولذلك قلَّ أن تجد كتابا صُنف في الجوامع وفي غيرها إلا ويتكلم العلماء عن فضل العلم؛ لأن الذي يرشدك إلى العلم يرشدك إلى الإسلام الصحيح، يرشدك إلى السنة، يرشدك إلى طريق الجنة، يرشدك إلى أحسن الأخلاق، يرشدك إلى معاني القيم، يرشدك إلى التميز.

العلم به سجدت الملائكة لآدم حين أمرها الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة: ٣١]، العلم به بُعث الرسل، به أنزلت الكتب، العلم صفة الله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، العلم فضل الله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٣].

العلم سبيل الرفعة: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [سورة المجادلة: ١١]، العلم سبيل الخشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، وما عسانا نقول في العلم أكثر مما وصفه الله عَزَّوَجَلَّ ووصفه الرسول ﷺ، انظر إلى مبلغ علم النبي ﷺ، ومع ذلك يقول الله له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤].

حتى أن الكلب المعلم أبيحت ما يقع منه من الصيد إذا سُمي الله عليها، بخلاف غيره من الكلاب.

العلم يبني بيوتا لا أساس لها ... والجهل يهدم بيت العز والشرفِ
كن عالما وارض بـ صف النعال ... ولا تكن صدرا بغير الكمال
إذا تـ صدرت بلا حكمة ... صيَّرت ذاك الـ صدر صف النعال

العلم لا يزيد الشريف إلا شرفًا، ويرفع المملوك على السرير، يؤم القوم أهل العلم، يخطب القوم أهل العلم، يفتي القوم أهل العلم، ينصح القوم أهل العلم، يسوس الناس إلى الخير أهل العلم، بل يوم القيامة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [سورة الروم: ٥٦]، الناس يصابون بالحيرة في مدة لبثهم في قبورهم، فيجيبهم أهل العلم.

بل حين يأتي الله عَزَّوَجَلَّ في صورة غير التي يعرفون يقولون: نحن هنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، بصفاته التي علموها في الدنيا، بما أخبرهم ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما جعل بينهم وبينه من العلامة، ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [سورة القلم: ٤٢]، فيسجد من كان يسجد لله بنية صادقة، ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة، فيكون ظهره طِباقا كلما أراد أن يسجد وقع على قفاه.

والعلم الممدوح:

العلـــم قـــال الله قـــال رســـوله ... قـال الـ صحابة هـم أولـو العرفـان

وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

وأسوأ العلوم علوم المشركين، علوم المنددين، ومن ذلك علم النجوم الذي جعل تأثيرا بين النجوم وبين الحوادث الأرضية، يسمونه بعلم التأثير، ومن ذلك علم السحر والشعوذة، وعلم الفلسفة، وغير ذلك من العلوم التي هي بباب الجهل ملتصقة، قال بعضهم:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وصيرت طرفي بين تلك المعالم

فلـم أر إلا واضـعا كـف حـائر ... علـى ذقـن أو قارعـا سـن نـادم

فقال: لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن والاه من كل عالم.

يذكرون عن إمام الحرمين أنه قال في آخر عمره: ها أنا أموت على عقيدة أمي، وهنيئا له أن يموت على عقيدة العجوز، أحسن من أن يموت على عقيدة ابن كُلاب ومن إليه من الضالين المنحرفين.

فيا طالب العلم احمد الله الذي يسرك لهذا السبيل وهذا الطريق.

يا طالب العلم لا ترضى به بدلا لقد ظفرت ورب العرش والقلم

ما الذي يوازي العلم؟

لا شيء، إذًا إياك أن تفرط فيه، إياك أن تضيعه، الثعبان صاحب الجوهرة تلك إذا أخذت منه الجوهرة مات غمًّا، هذه الجوهرة لا يجوز البيع لها ولا الشراء لها؛ لأنها تستخدم من قبل السحرة والمشعوذين، ومع ذلك بعض طلاب العلم يُصرف عن العلم وعن الخير وهو منشرح، وهذا والله بسبب سوء حاله، وسوء سريرته، وسوء طريقته، وإلا لثبته الله وهداه، ووفقه، واجتباه.

فينبغي للإنسان أن يحرص على العلم أشد من حرص ذلك الثعبان على جوهرته، احرص على العلم والعمل به، والدعوة إليه، كحرصك على مقل العيون، ولا تلوثه بالتطلع إلى الدنيا، وبمجالسة المبطلين، والحزبيين المخالفين لدين رسول الله ﷺ الصادق الأمين.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظمَا

فإذا أردت أن تكون من أهل الفلاح والصلاح فعليك بصيانة علمك، وبحسن سيرك، وبمراقبة ربك في ليلك ونهارك، وفي سرك وجهارك، وأن تعمل بعلمك ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

وقلت في كتابي: "المقالات المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة":

وأسباب الاستفادة من العلم عدة أمور:

ﷺ **فأول أسباب الاستفادة**، التفرغ لطلب العلم:

بحيث أن الإنسان يَعطي وقته للعلم، وكما قال بعضهم: الْعِلْمُ إِذَا أَعْطَيْتَهُ كُلَّكَ أَعْطَاكَ بَعْضَهُ، بينما الذي لا يتفرغ ربما يحصل على بعض الخير، لكن لا يصل إلى الدرجة المطلوبة التي يرغب فيها، والذي يُعين على التفرغ أن الإنسان يعلم أن طلب العلم أشرف، وأزكى، وأعظم ما حَصَّلته النفوس.

ﷺ الأمر الثاني: الحرص على الطلب:

فإن الحرص على العلم، وعلى الزيادة من أسباب الاستفادة.

فعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِما رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»[1].

فَغَبَّطه النبي ﷺ لحرصه على العلم، وهكذا الحفظ.

ﷺ **الأمر الثالث: الحفظ:**

أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ[2].

وفي «الصحيحين» عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -**» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا

---

[1] أخرجه البخاري (٩٩).

[2] أخرجه البخاري (١١٣).

لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: «**المُقَيَّرِ**» وَقَالَ: «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»[(١)].

الرابع: الدعاء:ب

فالدعاء سببٌ عظيم في تحصيل المطلوب، وفي البعد عن المرهوب، والمكروه؛ ولهذا علَّمَ الله عَزَّوَجَلَّ نبيه محمد ﷺ أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا**»[(٢)].

الخامس: الاستمرار وعدم الانقطاع:

فمن ثبت نبت، ومن سار على الدرب وصل، بينما المنقطع وإن كان قد حفظ شيئًا فربما ضاع منه وفاته، والمستمر وإن كان قليل الحفظ، إلا أنه يوشك أن يدرك من سبقه.

السادس: الإخلاص:

فإن الإخلاص له بركة عظيمة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يؤيد، ويحفظ، وينصر من أخلص له، وطَلَب العلم لأجله، فيوشك أن يستفيد ويوشك أن يفيد وأن كان علمه قليل.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣) ، ومسلم (١٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٢٥).

السابع: المراجعة:

إذا حفظ الإنسان ودرس يحتاج إلى المراجعة، وفيما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قال: تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ بَعْضُهُ بَعْضًا[1].

بينما إذا حفظ الإنسان ولم يراجع يوشك أن ينسى ولا يستفيد؛ فالمراجعة شأنها عظيم وهي مطلوبة شرعًا وقدرًا؛ لأن الحفظ خوان، ولأن الإنسان ما سمي بهذا الاسم إلا لأنه ينسى، والمراجعة قد تكون مع نفسه وقد تكون مع غيره، وربما تكون مع غيره أنفع.

الثامن: البعد عن الشواغل:

فإن من شغل بشيء صُرِفَ عن غيره، ويوشع بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لِقَوْمِهِ: «**لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا - أَوْ خَلِفَاتٍ - وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا**»[2].

لأن الشواغل قد تحيل بين الإنسان وبين الوصول إلى المطلوب.

وفي المأثور عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا هممتُ بشراء بصلة ضاعت مسألة.

التاسع: ملازمة أهل العلم وعدم الانقطاع:

فإن أبَا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لازم النبي ﷺ في فترة وجيزة واستفاد، وقال عن نفسه: «**وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا**»[3].

---

[1] «العلل ومعرفة الرجال» (٢٠).

[2] أخرجه مسلم (١٧٤٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[3] أخرجه البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

وسفيان أبن عيينة لازم عمرو بن دينار عشرين سنة، وما زال العلماء يُلزمون مشائخهم حتى تحصل لهم الفائدة المرجوة.

العاشر: الهمة العالية:

بحيث أنه لا يرضى لنفسه أن يكون في الدون ويريد أن ينصر دين الإسلام، فإنه يرى أن هذا الإسلام يحتاج إلى من يقوم به دعوة وعملًا، ويريد أن يرضي الله عَزَّوَجَلَّ فلابد من الهمة العالية؛ لأن الهمة الهابطة تؤدي بصاحبها إلى المراتب الهابطة، والهمة العالية تؤدي بصاحبها إلى المنازل الرفيعة.

الحادي عشر: الكتابة:

فلابد من الإنسان أن يكتب ويُدَون ما حفظه وما علمه؛ فإن ذلك من أسباب حفظ العلم، ثم هو من أسباب رسوخ العلم في الذهن، وقديمًا قيل:

العِلمُ صَيدٌ والكِتابةُ قَيدُهُ ... قَيِّدْ صيودكَ بالحِبَالِ الواثِقَة

فَمِن الحَماقَةِ أَنْ تَصيدَ غَزالَةً ... وتَترُكها بَينَ الخَلائقِ طالِقَة

وقال بعضهم:

كل علم ليس في القرطاس ضاع ... كل سر جاوز الاثنين شاع

وقد تقدم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ.

الثاني عشر: التدريس:

فإن كل شيء ينقص بالإنفاق منه إلا العلم يزيد بكثرة الإنفاق منه.

يَزيدُ بِكَثرَةِ الإِنفاقِ مِنهُ ... وَينقُصُ أَن بِهِ كَفًّا شَدَدتا

فالعلم كلما أنفقت منه كلما زاد ونما، وتوسعت المدارك، واحتجت إلى البحث والطلب، فقد سئل سفيان ابن عيينة: من أحوج الناس إلى العلم؟ قال: العلماء.

الثالث عشر: النهمة في طلب العلم:

بحيث يكون عند طالب العلم نهمة، كما أن صاحب الدنيا عنده نهمة ما الذي يجعله يقوم إلى عمله وإلى شغله ويجد ويجتهد مع التعب والنصب؟

لأنه عنده نهمه لذلك، وهكذا طالب العلم ينبغي أن يكون منهومًا من العلم لا يقنع يريد أن يحفظ في هذا، ويحفظ في هذا ويريد أن يُحَصِلَ هذا، ويريد أن يعلم هذا، والنبي ﷺ يقول: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ، مَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْه»[1].

الرابع عشر: تقديم الأهم فالأهم:

إذا أردت أن تستفيد تأخذ الأهم فالأهم ومن حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول، ومن لم يقدم الأهم ربما لا يتحصل على الخير العظيم، والنبي ﷺ يقول لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى»[2].

فهكذا أنت تعلم التوحيد، والعقيدة، وتعلم ما تستفيد منه لهذا الأمر لتصل به إلى دراسة التوحيد والعقيدة، ونشر العقيدة الصحيحة، والفقه الصحيح، كما جاء عن رسول الله ﷺ.

الخامس عشر: عدم التشعب:

كثير من طلاب العلم يلازم العالم ويحفظ ويصبر في طلب العلم وغير ذلك، ولكنه يتشعب فيريد هذا، وهذا، وهذا فلا يحصل على شيء، من أراد العلم جملة فاته جملة.

والمَثل يقول: عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣١٤) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

فإذا كنت ستقرأ عشرة كتب ولا تستفيد منها، وتقرأ كتابًا واحدًا وتستفيد منه، فاقرأ الكتاب واحرص عليه وراجعه، وتحفظ فيه، ثم بعد ذلك تنتقل إلى غيره من الأبواب.

السادس عشر: البعد عن المعاصي:

فإن المعاصي سالبة للاستفادة. ومانعة من الاستفادة.

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المعَاصِي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونُورُ الله لا يُهْدَى لِعَاصِي

نسأل الله السلامة والعافية.

السابع عشر: الأكل من الطيبات:

فإن ذلك من أسباب صفاء الذهن، ومن أسباب البركة في العمر والعلم.

الثامن عشر: الصبر:

قيل لبعضهم بما نلت العلم قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب.

التاسع عشر: تنظيم الوقت:

بحيث أن الإنسان ينظم وقته، وقتًا للحفظ، ووقتًا للمراجعة، ووقتًا للتدريس، وقتًا للنوم والأكل والشرب، فإن النفس كالراحلة! إذا اجهدتها جَهِدت ولم تتحصل منها على شيء، وإذا أعطيتها حظها من أكلها، وشربها، وراحتها، وصلت.

العشرون: العمل بالعلم:

فإن العمل بالعلم يجعلك متذكرًا للأحاديث والآيات الدالة على هذه المسألة التي أنت بصددها.

الحادي والعشرون: التواضع للمدرس:

وفي أثر عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحُلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلِيَتَوَاضَعَ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ[1].

فلا يُؤخذ العلم من مبتدع، ولا جاهل، وإنما يُؤخذ العلم ويطلب عند أهله.

الثاني والعشرون:

البعد عن أهل البدع وكتبهم لما في ذلك من ضياع العمر والوقت والبركة، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

الثالث والعشرون:

التخصص في الفنون بحيث يأخذ من كل فن حاجته حتى يفهمه وينتقل إلى غيره، وقد نبه العلماء قديمًا على أهمية التخصص في العلوم، فقال الخليل ابن أحمد الفراهيدي: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا فَاقْصِدْ لِفَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا فَخُذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ[2].

وقال أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلامٍ: مَا نَاظَرَنِي رَجُلٌ قَطُّ وَكَانَ مُفَنِّنًا فِي الْعُلُومِ إِلا غَلَبْتُهُ، وَلا نَاظَرَنِي رَجُلٌ ذُو فَنٍّ وَاحِدٍ إِلا غَلَبَنِي فِي عِلْمِهِ ذَلِك[3].

الرابع والعشرون:

إدامة النظر في الكتب والمصنفات لما في ذلك من جوامع كالمراجعة وشحذ الذهن وزيادة العلم وقد قال بعضهم حين سئل: بما نلت العلم، قال: بدوام النظر.

---

(١) «الشريعه» (١/ ٤٧٤) للآجُري رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٢٢) لابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٢٣) لابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ.

فلا يخلو كتابًا من فائدة، قال أبو الفرج ابن الجوزي: فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطِّلاع على الكتب التي قد تخلَّفت مِن المصنَّفات، فليُكثِر من المطالعة؛ فإنه يرى مِن علوم القوم وعلوِّ هِمَمهم ما يشحذ خاطره ويُحرِّك عزيمتَه للجدِّ، وما يَخلو كتاب مِن فائدة[1]. اهـ.

ويدخل في ذلك معرفة سيرة السلف الصالح وما كانوا عليه من العلم والعمل.

الخامس والعشرون:

وهي ملاك ما تقدم، الاستعانة بالله تعالى فإنها نعم البلغة وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

بيان ذلك فلا قدرة على عبادة الله تعالى إلا بعونه، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ»[2].

ولو أراد أحد أن يُفصِّلَ لزاد، لكن هذه أمهات المسائل. فإذا أردنا الوصول إلى الاستفادة في الوقت القصير فما علينا إلا الاجتهاد.

فإذا أراد أحدٌ أن يسافر فإنه يسأل أين الطريق الموصل، والأقرب، والأسهل، فهكذا العلم يحتاج إلى أن يعرف الطالب الطريق الأسهل والموصل فيفيد ويستفيد. اهـ

---

[1] «صيد الخاطر» (٤٥٣).

[2] أخرجه مسلم (٦٦٤٤).

٢٤١ - باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤].

وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٩].

وقال تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر: ٢٨].

الشرح:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]، جعل الله عَزَّوَجَلَّ شهادتهم مقترنة بشهادة الله.

١٣٧٦ - وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

مفهومه: أن من لم يرد الله به خيرا لم يفقه في الدين، وقد سئل النبي ﷺ عن أكرم الناس قال: «أتقاهم لله»، وأتقى الناس لله عَزَّوَجَلَّ أهل العلم، أهل الفضل، أهل المنزلة، الذين يعملون بعلمهم.

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

١٣٧٧ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

والمراد بالحسدِ: الغِبْطَةُ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى مِثله.

الشرح:

تقدم الحديث، وساقه المصنف؛ لبيان فضل العلم.

(وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ) أي: العلم.

(فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا): يعمل بها ويعلم غيره، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

١٣٧٨ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

هذا حديث عظيم، ضربه النبي الكريم ﷺ؛ لبيان حال الناس مع العلم، فشبه الناس بالأرض، وشبه العلم بالماء بالغيث، والناس بالأرض، والأرض أنواع: منها

(١) انظر الحديثين: (٥٤٣) و (٥٧٠).

(٢) انظر الحديث (١٦٢).

الطيبة التي ينزل عليها الماء فتقبله، وتخذله، وتنبت من خيرها وبركتها، وهذا مثل للرجل الطيب المتقبل للعلم العامل به، انتفع هو ونفع غيره.

اعمل بعلمك تفلح أيها الرجل لا يحسن القول إن لم يحسن العملُ

والطائفة الثانية: أرض غير طيبة طيب الأولى، لا تنبت الكلأ، ولكنها تمسك الماء، فمسكت الماء، وجاء الوارد إليها، شرب، اغتسل، سقى، أخذ حاجته، وهؤلاء أناس علموا وما عملوا، مع أن الماء واحد الذي سُقيت به الأرض الأولى والتي سقيت به الأرض الثانية.

والطائفة الثالثة: قوم جاءهم العلم، وأرضهم سيئة، لم يقبلوا علما، ولم يعملوا به، فهم مثل الأرض السبخة، التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فهذه أسوأ الدرجات.

فأعلى الدرجات أن تكون مثل الأرض الطيبة التي نفعها لنفسها ولغيرها، ويليها الأرض التي نفعها لغيرها لا لنفسها، وأسوؤها من لا نفع فيها لنفسها ولا لغيرها.

فانظر لنفسك أيها الإنسان من أي الطوائف أنت؟ كلما زاد علمك وازداد عملك فأنت آخذ بوحي الله.

(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ) غيث مدرار، يأتي بالخير، يأتي بعده الفرج.

وفي الحديث: ضرب الأمثال؛ لإيصال الفائدة، وفي الحديث تفاضل الناس، وفي الحديث فعل الأسباب الشرعية لنيل العلوم، فشربوا، سقوا، ونحو ذلك يدل على الأسباب.

وفيه: أن قابل العلم هو قابل الإسلام الصحيح، وراد العلم هو راد الإسلام الصحيح، بقدر بعده عن العلم.

١٣٧٩ - وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا فيه فضل تبليغ العلم، وقد تقدم نحوه.

أقسم النبي ﷺ وهو الصادق بدون يمين، لكن؛ لتوكيد الأمر.

(لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا) تبلغه العلم والدين.

(خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ): الإبل الكثيرة الحمراء.

١٣٨٠ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري[2].

الشرح:

ساق المصنف هذا الحديث؛ لبيان فضل الدعوة إلى العلم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سورة فصلت: ٣٣].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [سورة الجن: ١٩]، يعني: أن الجن أحاطوا بالنبي ﷺ إحاطة حتى غطوه، فلا يكن الجن أحرص على الخير منكم، فالإنسان يحرص على الخير.

---

(١) انظر الحديث (١٧٥).

(٢) حديث رقم: (٣٤٦١).

(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) لكن بعد علمها، هذا الحديث يستدل به جماعة التبليغ على بدعتهم، وعلى مخالفتهم، ويقولون: قد قال النبي ﷺ: **(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)**، هذا إذا قد علمتها، وفهمتها وفقهتها، أما بلغ ولو آية وأنت ما تفهم الآية، وأنت قد جهلت ما هو من مهمات العقيدة الصحيحة.

فهم قوم قد زهدوا في العلم، فلا يجوز لهم الدعوة إلى الله أبدا، إلا إذا كان من باب: صل، أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فيما يعلمونه مما هو من ضروريات الشريعة، أما يتصدر للدعوة والخطابة، والقيام بين الناس، وجولة صباحية، وجولة مسائية، وما أدري أيش من هذه الخزعبلات.

ثم اعلموا أن جماعة التبليغ أصلا جماعة صوفية، الناس قد ملوا التصوف؛ لكثرة ما عندهم من الخزعبلات، تجد الشعوذة عندهم، تجد السحر عندهم، تجد شد الرحال إلى القبور عندهم، تجد بناء القباب على القبور عندهم، تجد الخرافات عندهم، تمسح بالركب، تمسح بالتفال حق من يسمونهم بالأوليات، التمسح بالأتربة.

وهؤلاء يريدون أن يعيدوا لنا التصوف من جديد، وإن أظهروا أنهم ليسوا بصوفية، هم صوفية عصرية، فليكن أهل الهدى في بعد ومنأى عنهم، الذي يبلغ دين الله هم أهل العلم، الذين علموه، فقهوه، درسوه، نظروا إلى ما سطره العلماء، ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [سورة الزمر: ٩].

يأخذوه من البادية وهيا اخرج معنا، أو من السوق وهيا اخرج معنا دعوة، ويوازون به من قد برك لسنوات بين يدي أهل العلم.

(وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ) يعني مما لا يخالف القرآن والسنة؛ لأن المروي عن بني إسرائيل ثلاثة أشياء:

الأول: ما خالف الكتاب والسنة، هذا لا يجوز، الرواية له.

الثاني: ما وافق الكتاب والسنة، هذا لا بأس بذكره؛ موافقة لما في كتابنا.

الثالث: ما لم نر فيه مخالفة للكتاب والسنة، هذا يُروى ولا يصدق ولا يكذب.

(وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا) وهذا حال دعاة الضلال.

(فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) وعيد عظيم من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمن يكذب على رسول الله ﷺ ويقول عنه ما لم يقل.

هذا الحديث خرج له الألباني في (الجامع الصغير) عن أكثر من مائة وعشرين صحابيا.

١٣٨١ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم في فضل العلم.

(مَنْ سَلَكَ): سار في طريق العلم، ولو برحلة، ولو بزيارة، ولو باتصال، ما دمت تبتغي العلم فأنت داخل في هذا الفضل.

و (علم) نكرة في سياق الإثبات، يفيد العموم، أي علم شرعي، في مسألة عقدية، في مسألة علمية، في مسألة عملية.

(سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)؛ لأنه سلك سبيل الأنبياء والمرسلين، واقتفى آثار الصالحين.

---

(١) انظر الحديث (٢٤٥) وهذا جزء منه.

١٣٨٢ - وعنه أَيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا». رواه مسلم[1].

الشرح:

فيه فضيلة الدعوة إلى العلم، فإذا علمت ما أوجب الله على عباده فاعمل وادع، لا تكتفي بنفع نفسك، بل يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

(مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً): إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إلى العلم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [سورة التوبة:٣٣]: العلم.

(كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ) ولو كان بعد موته إلى آخر المطاف، فتأمل رسول الله ﷺ له مثل أجور أمته الذين يعملون بشريعته إلى قيام الساعة، وهكذا كل من روى من صحابة النبي ﷺ علما له مثل أجور من عمل بذلك العلم إلى قيام الساعة.

وهكذا أصحاب الكتب المصنفة، كالبخاري ومسلم، وأبي داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني، والطبري، والبزار، والطحاوي، والإمام أحمد، والدارمي، ومالك، وغير ذلك من الكتب الكثيرة التي يأخذ الناس منها العلم ويعملون بها، لهم مثل أجور من استفاد منهم وعمل بعلمهم.

وهكذا كل من نشر العلم وسعى في تفقيه الناس، له مثل أجور من تبعه.

(لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا) كل واحد منهم يوفى أجره، فلا أبرك على الإنسان من أن يكون من حملة العلم والدعاة إليه، بسهولة تحصل على الدرجات

---

(١) انظر الحديث (١٧٤).

العلا، والنعيم المقيم، والأجور المضاعفة، أهم شيء أن تكون مخلصا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن تكون متابعا لرسول الله ﷺ.

يا أخي ربما تخطب خطبة تحث فيها على صلاة الضحى، سمعها منك أناس كثير بدأوا يصلون الضحى وكانوا ما يصلونها، أو تحث على قيام الليل ما شاء الله، أو تحث على صلاة الجماعة، وكان ذلك ما يصلي جماعة، أخذ عنك، أو على فضل قراءة القرآن والعمل به، وهكذا في جميع الأبواب.

١٣٨٣ - وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

المحفوظ: «**إذا مات الإنسان**».

(صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ): بناء مسجد، إجراء سبيل، أو حفر بئر، أو طباعة كتاب، ونحو ذلك.

(أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ) مؤلَّف، درس، إلى غير ذلك.

(أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) رُبِّيَ على العلم والعمل، يدعو لأبيه، وهذا من المتعينات أن الابن يدعو للأب، حتى يدعو ابنه له، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٤]، فاجعل لك عملا يبقى بعد موتك.

وقد تجتمع هذه الثلاث الصفات في حق العالم، علمه صدقة جارية، علمه ينتفع به، علمه يقوم مقام الولد الصالح، الآن تجد المسلم العامي المغمور يدعو له ولده، وربما صاحب، أو حفيد، لكن العالم يعتبر كالأب للأمة، فهذا يدعو له، وذاك يدعو له، وذاك يدعو له، إما في حال ذكره، وإما في صلواتهم.

---

(١) انظر الحديث (٩٤٩).

قال ابن مهدي: منذ كذا كذا وأنا لا يمر عليَّ يوم إلا وأدعو للشافعي، هكذا الإمام أحمد يذكرون عنه أنه كان يدعو لغيره.

فمثل هذه الأمور يحرص الإنسان على العلم؛ لأهميته، لعظيم بركته، لعظيم منزلته.

١٣٨٤ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

قَوْله: «وَمَا وَالَاهُ»: أَيْ طَاعة الله.

الشرح:

(الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ): مطرودة؛ لكثرة ما تُشْغِل عن طاعة الله.

(مَلْعُونٌ مَا فِيهَا) من الملهيات، من المفسدات.

(إِلاَّ ذِكْرَ الله تَعَالَى)؛ لأنه يذكر بالآخرة، وسبب للرفعة في الآخرة، وسبب لذكر الله للعبد.

(وَمَا وَالاهُ): ما كان في بابه من الصلاة، والصيام، والحج، والقيام، والطاعة والمبرة، فذكر الله أعم من ذكر اللسان.

(وَعَالِمًا) علم وعمل.

(أَوْ مُتَعَلِّمًا) للعلم، سالكا سبيل أسلافه، فهو مستثنى من هذه اللعنة، ومن هذا الطرد، ولو تأملنا لحال الناس لوجدنا أن أكثرهم همج رعاع، ليسوا في هذا الباب من سرد ولا ورد، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) انظر الحديث (٤٧٧)، صحيح لغيره.

وقد رُوي: أن عمر بن عبد العزيز ذكر عنده بعضهم: كن عالما، فإن لم تستطع فمتعلما، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم، وأثنى على هذه المقولة.

هذا الحديث فيه التزهيد من الدنيا، والرغبة في الآخرة، والرغبة في العلم والعمل، فمهما قل مالك يا طالب العلم فأنت أحسن من غيرك، وأنت الرابح، وأنت المرفوع، وأنت الذي يُعزك الله ويعلي شأنك.

١٣٨٥ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

ومع ذلك المعنى صحيح، أن من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله، فإن العلم من سبيل الله، وطالب العلم من المجاهدين للشيطان وللهوى، وإذا كان من أهل بيان سبيل المبطلين للمنافقين وللكافرين فهو داخل في الجهاد من أوسع أبوابه، وإن كان جهاد السنان قد يتعين في بعض المواطن وأجره عظيم فكذلك جهاد البيان منزلته رفيعة.

(١) حديث رقم: (٢٦٤٧)، هذا الحديث يضعفه العلماء، ويغني عنه حديث أبي هريرة السابق: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»، في سند هذا الحديث خالد بن يزيد العتكي، وأبو جعفر الرازي، وكلاهما ضعيف، وقد ضعفه الألباني وغيره.

١٣٨٦ - وعن أَبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

يعني: صاحب العلم لا يشبع، قيل لابن معين عند موته: أي شيء أحب إليك؟ قال: بيت خال، وسند عال، يعني: يحب أن يبث العلم ويسمع العلم حتى عند موته.

قيل للإمام أحمد: إلى متى تطلب العلم؟ قال: مع المحبرة إلى المقبرة.

قيل لعبد الله بن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: إلى الموت.

وهكذا، النبي ﷺ جعل في مرض موته يبث العلم والخير.

وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع ابنته وهي تقول:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعلهِ

قال لها: قولي يا بنية: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة ق: ١٩].

١٣٨٧ - وعن أَبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»، ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

أبو أمامة هو صدي بن عجلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) حديث رقم: (٢٦٨٦)، بل هو ضعيف، من طريق دراج عن أبي الهيثم، ودراج ضعيف، وروايته عن أبي الهيثم أشد ضعفا، ويغني عنه حديث أنس عند الحاكم، وصححه شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «منهومان لا يشبعان: منهوم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع».

(٢) حديث رقم: (٢٦٨٥)، حسن بشواهده.

(فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ) انظر، مع أن هذا عابد يصلي بالنهار، ويصلي بالليل، ويصوم بالنهار، وربما قرأ القرآن، وغير ذلك، لكن العالم أفضل؛ لأن العالم نفعه متعدٍّ إلى الغير، العالم من حفاظ الشريعة، من حفاظ القرآن، العالم يصعب أن يصل الشيطان إليه، بخلاف الجاهل ربما يورده الموارد، ويورده البدع، العالم يعلم الفتنة وهي مقبلة، والجاهل لا يعلمها إلا وهي مدبرة، العالم أرفع درجة في الدنيا والآخرة.

(لَيُصَلُّونَ) أي: يدعون، الله عَزَّوَجَلَّ يذكره في الملإ الأعلى، ومخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ تدعو له: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم صلي عليه.

بينما أهل الباطل تلعنهم الملائكة، وقبل ذلك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، حتى الخنافس، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩]، قيل: حتى الخنافس، نسأل الله السلامة والعافية.

ففرق عظيم بين العلماء وبين دعاة الشر، هؤلاء يُدعى لهم ويثنى عليهم، وأولئك يُلعنون ويدعى عليهم.

١٣٨٨ - وعن أَبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». رواه أَبُو داود والترمذي[(١)].

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وهذا حديث صحيح لغيره.

الشرح:

وقد حوى جملا كثيرة مفيدة:

(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ) هذا يشهد له حديث أبي هريرة، وقد تقدم معنا.

(وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ) هذا يشهد له حديث صفوان بن عسال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصته مع زر بن حبيش، وهذه فضيله عظيمه، إذْ تفعل الملائكة هذا الأمر؛ تواضعا للعلم والعلماء.

(وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) وهو نائم، وهو مضطجع، بل وربما هو ميت.

(حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ)؛ لأنه من أسباب ملازمة الشرع فيها، بعضهم الآن ربما يقتل السمك لغير ما سبب، ويظلم الحيوان، وربما مُنعت الحيوان القطر من السماء بسبب ظلم الإنسان، فلذلك العالم بركة على الناس.

(وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ) أشد إضاءة، وأعظم نفعا، وهكذا، مع أن التفضيل بين العالم والعابد، أما العالم والجاهل هذا لا مفاضلة بينهما، أو العالم والعاصي هذا لا مفاضلة، لكن رجل تفرغ في المسجد لقيام الليل وصيام النهار لكنه ما يطلب علما، والآخر يطلب علما، وربما قصر في بعض الاشياء من هذه المذكورات، أعظم أجرا وأعظم نفعا.

(وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ) والجمع بينه وبين حديث: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**» أي: أنهم ورثوا العلم، لم يورثوا الدنيا.

(فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) يعني بخير عظيم، ونال أمرا عظيما ينتفع به في دنياه وأخراه.

١٣٨٩ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

ويشهد له في الباب حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد وغيره.

وهذا دعاء من النبي ﷺ لطلاب العلم:

(نَضَّرَ اللهُ امْرَأً) أي: ألبسه الله النضارة، نضارة الوجه، نضارة الحال، نضارة المآل.

(سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا) أي من العلم، وإن كان قليلا.

(فَبَلَّغَهُ) لغيره، كما قال: «بلغوا عني ولو آية»، «فليبلغ الشاهد الغائب»، وقال: «تسمعون، ويُسمع منكم، ويُسمع ممن سمع منكم».

(فَرُبَّ مُبَلَّغٍ) بالعلم (أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)، رب سامع سمع واستفاد نوع شيء، لكن الذي يبلغه العلم يأتي عليه بفوائد كثيرة، ويستنبط منه أحكاما كثيرة.

١٣٩٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

كما أن العلم شأنه عظيم، كذلك لا يجوز إذا سُئل الإنسان أن يكتم علما إذا كان الناس بحاجة إليه، أما علم لا يحتاج الناس إليه فلك أن تكتمه، فقد سأل أبو بكر

(١) حديث رقم: (٢٦٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ عن شيء فقال: «**لا تقسم**»، وهكذا ترك النبي ﷺ تحديثهم بما كان قد عزم عليه يوم الخميس.

وهكذا أبو هريرة يقول: حفظت من النبي ﷺ وعائين، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر لو بثثته؛ لقطع هذا البلعوم، لكن إذا سألك مثلا عن مسائل في الصلاة علمه، في مسائل في الطلاق علمه، مسائل في الزكاة علمه.

وإذا سألك في مسائل ربما تجر إلى سفك الدماء وإلى خروج على الحكام لعدم الفهم فيها فلك أن تسكت عن الفتوى عما يثير الفتن بين المسلمين.

١٣٩١ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ» يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[(١)].

الشرح:

ومع ذلك النيات شأنها عظيم، من تعلم ونيته الدار الآخرة رفعه الله بعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه، كما تقدم معنا: «**القرآن حجة لك أو عليك**».

١٣٩٢ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٣٦٦٤)، هو حديث معل، ضعفه شيخنا مقبل في (أحاديث معلة)، وصححه الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

في رواية البخاري: «**فأفتوا برأيهم، فضلوا وأضلوا**».

وهذا حديث عظيم، فيه بيان لمنزلة العلم والعلماء.

(إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعهُ مِنَ النَّاسِ) يعني بحيث يكون الإنسان عالما بعد نصف ساعة يكون جاهلا، أو نحو ذلك.

(وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ) يموت العالم ولا يجد له خُلْفا، من يقوم بتعليم الناس؛ لأن العالم ما يصل إلى درجة العلم إلا بعد سنين طويلة، إلا بعد عمر مديد، فلذلك إذا مات العالم من أين لنا خلف منه؟

(حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا) في رواية: «**لم يَبْق عالمٌ**».

(اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا)؛ لأنه لا يصلح الناس بدون رئيس.

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جُهَّالهم سادوا

(فَسُئِلُوا) أي هؤلاء الجهال.

(فَأَفْتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ): بجهل، بهوى، بتقليد.

(فَضَلُّوا) في أنفسهم، **(وَأَضَلُّوا)** غيرهم، نسأل الله السلامة والعافية.

فهذا دليل على أن قبض العلم سيكون في آخر الزمان، ولذلك كثر موت العلماء، قال النبي ﷺ: «**وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عز وجل فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**»، نسأل الله السلامة والعافية، إذا رُفع القرآن من صدور الناس ذهب ما بقي فيهم من خير، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

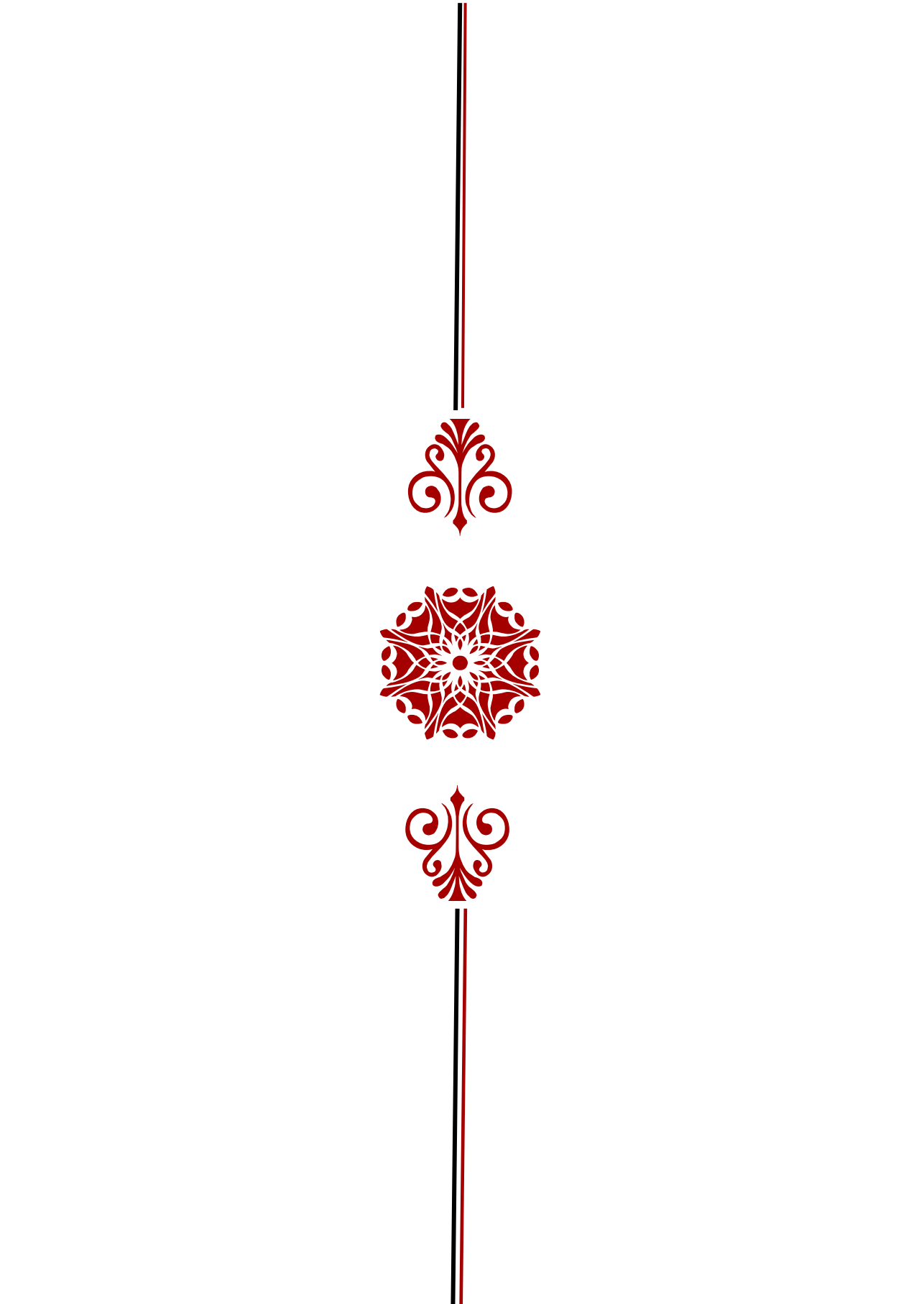

كتاب حمد الله تعالى وشكره

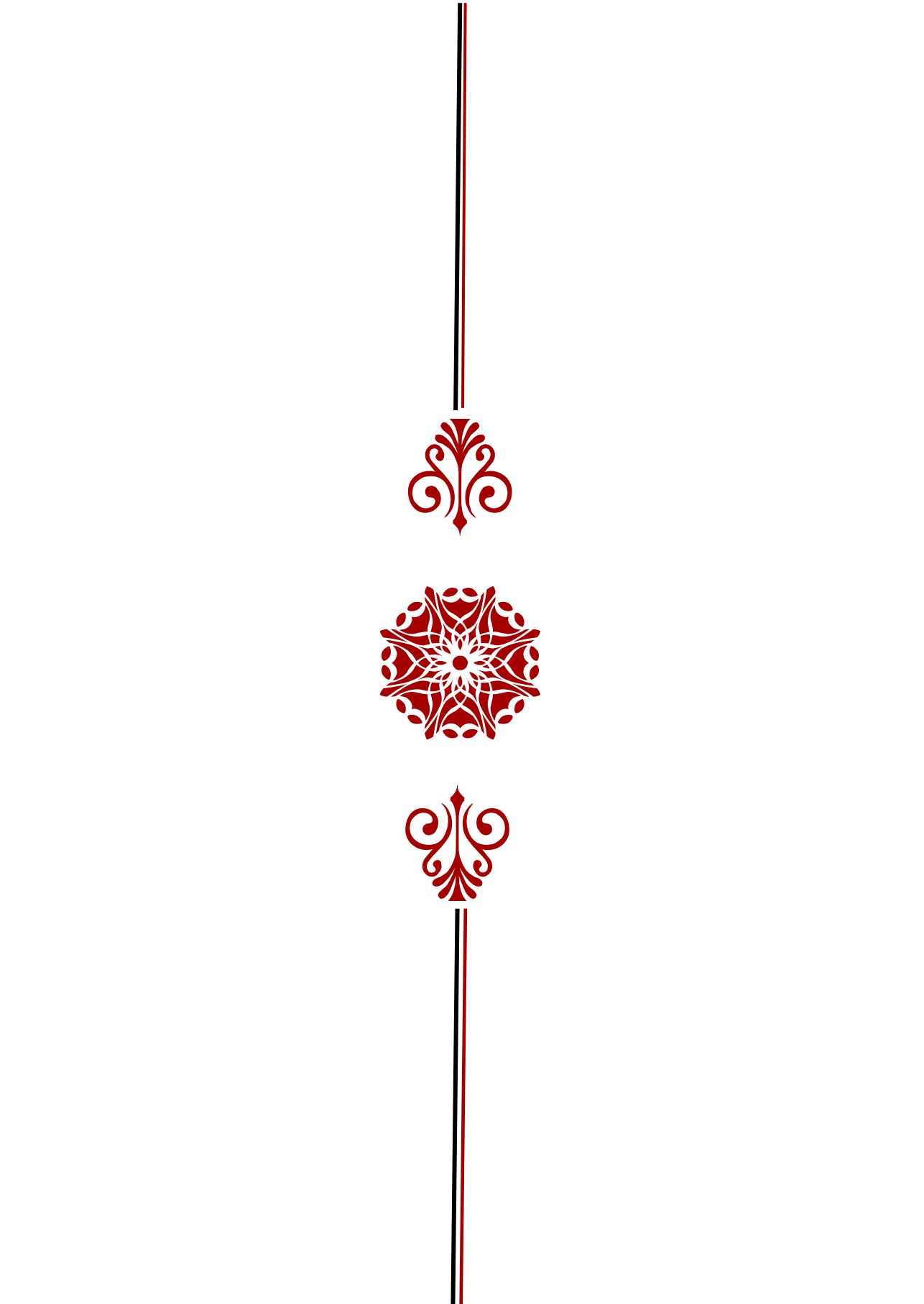

كتاب حمد الله تعالى وشكره

٢٤٢ - باب وجوب الشكر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ **[سورة البقرة: ١٥٢].**

وقال تَعَالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ **[سورة إبراهيم: ٧].**

وقال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ **[سورة الإسراء: ١١١].**

وقال تَعَالَى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **[سورة يونس: ١٠].**

الشرح:

(﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾): بلسان حالكم ومقالكم، والذكر طاعة الله كما قال سعيد بن جبير، وعليه العلماء، هذا من حيث الاسم العام، وأما من حيث الاسم الخاص فالمراد به: ذكر اللسان، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥].

(﴿وَٱشْكُرُواْ لِي﴾) أي: اشكروا الله على نعمه بألسنتكم قولا، وبقلوبكم استكانة، وبجوارحكم انقيادا.

أفادتكم النعماء مني ثلاثةً يدي، ولساني، والضمير المحجبا

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ: ١٣]، فكم من هؤلاء القليل الذين أثنى الله عَزَّوَجَلَّ عليهم.

(﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾) شكرت الله على العلم يزيدك علما، شكرت على الأولاد يزيدك أولادا، شكرته على الصحة يزيدك صحة، شكرته على أي خير يزيدك خيرا، لفظ عام، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ [سورة إبراهيم: ٧] الله على نعمه الكثيرة

وآلائه الغزيرة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [سورة إبراهيم: ٧]، وهذه مؤكدة بالقسم المحذوف: والله لأزيدنكم، وهو الصادق في وعده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من غير قسم، فاشكروا الله على نعمه يزدكم، «**إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له**».

(﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾) يعني: يُحمد الله على نعمه كما يحمد على صفاته وعلى كماله.

(﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾) حين يُدخلون الجنة ويكرمون بالكرامات العظيمات، والهبات الجليلات.

فهنيئا لمن لازم هذه العبادة، وعرف عظيم نعمة الله عليه، والله لا يلازم الحمد والشكر لله عَزَّوَجَلَّ إلا من عرف عظيم النعمة، هب أن عندك قصورا في باب من الأبواب أنت تراه قصورا لكن الله عَزَّوَجَلَّ اختاره لك على مقتضى علمه وحكمته، ما أدراك؟

الآن نحن نرغب أن يكون لدينا مال كثير نقضي به الديون، تفرج به الهموم، يوسع به على العيال، وكل ما نتمناه نأخذه، لكن لله حكمة، ما أدراك، ما أدراك أن لو فيه مال كثير إنك ما أنت طالب علم، ما أنت في الصف الأول، ربما تكون مع الضائعين.

كنا في دماج مرة وكنا في غداء عند شيخنا يحيى حفظه الله، فبعد الغداء قدم شيئا من الحلوى، فقال بعض الناس الذين لديهم الملايين قد فتح الله عليهم في باب الدنيا قال: والله يا شيخ أحيانا ما حال بيني وبين دماج إلا هذه، وأشار إلى الحلوى، قال له: الشيخ: انزل واطلب علم وأنا أعمل لك كل يوم حلوى، إذا كان القضية هذه القضية.

لكن ما يستطيعون، ما يستطيع يصبر على المسجد من بعد الفجر إلى الليل، ما يستطيع يصبر على الحفظ، على المراجعة، على أمور كثيرة، فلذلك الله عَزَّوَجَلَّ له الحكمة، نحمده على كل حال.

فيه أثر عن عبد الله بن مسعود بمعناه ذكره الحافظ ابن رجب، ربما إذا أعطاك مالا كان سببا في انحرافك، فلذلك يقتر الله عَزَّوَجَلَّ عليك، وهكذا إنسان يعطيه الله صحة ربما لو كان صحيح البدن كالأقوياء الأشداء لفعل الأفاعيل من الظلم والجبروت، وعدم المبالاة، لكن تارة مرض، تارة صحة، تارة فقر، تارة غنى، تارة نشاط، تارة كسل.

إذًا نحن نتقلب في نعم الله على أي حال، فعلينا أن نشكر الله على نعمه وآلائه الكثيرة، وأن نحمد الله على مقتضى علمه وحكمته، وغير ذلك، إذا مرضت فلله حكمة، احمده على حكمته، احمده على علمه، إذا شفاك فلله حكمة، احمده على نعمه، واحمده على حكمته.

المهم: أننا بحاجة إلى شكر الله وحمده، وعدم التقصير في هذا الباب؛ لأنك إذا قصرت في هذا الباب اعرف أن النعمة أمامك محتقرة يسيرة غير معظمة، وإلا فنحن في خير، نحن في نعمة، لو لم يكن إلا نعمة الإسلام، نعمة السنة، نعمة العلم، نعمة المجالسة لأهل الخير والصلاح، نعمة الأمن والأمان، نعمة الملبس والمسكن والمشرب والمنكح، وغير ذلك من النعم، ماذا نريد فوق هذا؟

جاء رجل إلى عبد الله بن عمر فقال: يا أبا محمد اشفع لنا عند الأمير، فأراد أن يشفع لهم، فقالوا: نحن معنا سكن، قال: إذًا أنتم من الأغنياء، فقالوا: ولنا عبيد، قال: إذًا أنتم من الملوك، إنسان معه سكن من الأغنياء، إذا كان معه عبيد في مرتبة الملوك.

فالشاهد: علينا أن نشكر الله كثيرا، وأن نحمده كثيرا، بلسان الحال وبلسان المقال:

أولًا: معرفة لعظيم حقه علينا.

ثانيًا: طلب الزيادة والبركة والنماء، والصلاح، والخير، إلى غير ذلك.

١٣٩٣ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبريل ﷺ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ. رواه مسلم(١).

الشرح:

الشاهد: قول جبريل: **(الحَمْدُ للهِ)** حين رأى عظيم نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على محمد ﷺ.

(أنَّ النبيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ) وهذا كان قبل الهجرة قيل: بثلاث سنين، وقيل غير ذلك، والإسراء كان من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج كان من بيت المقدس إلى حيث الله من العلى.

والعجب أن المعتزلة ومن إليهم من الرافضة ينكرون المعراج، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ قد ذكر شيئا منه في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [سورة النجم: ١٣-١٨].

فهذه إشارات إلى المعراج، زد على ذلك: أن الأحاديث المتواترة الكثيرة في إثباته ربما لو صُنف لها مصنف لبلغت العدد الغير يسير، فلا نلتفت إلى هؤلاء القادحين في سنة النبي الكريم، وفيما ثبت من عقيدة المؤمنين.

فقد ظهر أناس ينكرون يأجوج ومأجوج وهو في القرآن، وينكرون الحوض والميزان، وينكرون الصراط، وينكرون الدجال، وينكرون أغلب أشراط الساعة، بل ينكرون طلوع الشمس من مغربها، ماذا تفعل لهؤلاء؟ تتأثر بهم تسير على سيرهم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠٩)، ومسلم (١٦٨).

الأمر الذي يليه: أن الخمر سبب الغواية، سبب الضلالة، سبب الشرور، انظر (لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ) تصبح أمة خمارة، ماذا تحصل فيهم من خير؟ وما تؤمله وترجوه منهم من نفع وأحدهم سكران لا يدري ما يقول وما يفعل؟ وإذا سكر توقع منه كل شر، الزنا، اللواط، القتل، الأفعال القبيحة من سب وشتم وضرب، وغير ذلك، مجنون، السكران مجنون.

وفيه فضيلة اللبن، غذاء ودواء وشراب، وجعل في الجنة منه نهر؛ لعظيم نفعه وبركته، وهو الفطرة، فطرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهكذا فطرة آدم شرب اللبن.

١٣٩٤ - وعنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدأُ فِيهِ بِالْحَمْدُ للهِ فَهُوَ أَقْطَعُ». حديث حسن، رواه أَبُو داود وغيره(١).

١٣٩٥ - وعن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدي؟ فَيقولون: نَعَمْ، فيقول: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقول: ماذا قَالَ عَبْدِي؟ فَيقولون: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فيقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدي بَيتًا في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن(٢).

الشرح:

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١٨٩٤)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) (٤٩٤) و (٤٩٥) و (٤٩٦)، حديث ضعيف، الصحيح أنه ضعيف، من طريق قرة بن عبد الرحمن، وأُعل بالإرسال.

(٢) انظر الحديث (٩٢٢)، قال: أخرجه الترمذي وأحمد، من طريق محمد بن سلمة، عن أبي سنان عيسى بن سنان، عن أبي طلحة الخولاني، عن الضحاك بن عبد الرحمن، عن أبي موسى، وأبو سنان عيسى بن سنان ضعيف، وأبو طلحة الخولاني مجهول.

ومع ذلك الصبر فضله عظيم، الصبر على موت الولد، وفقد الأب أو الأم، أو الحبيب أو القريب، له أجر عظيم، لو لم يكن إلا داخلا في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

معنى قول الملائكة: (حمدك واسترجع) أي قال: الحمد لله، «**لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب**»، ونحو هذا.

١٣٩٦ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رسول الله** ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأْكُلُ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**». **رواه مسلم**[(١)].

الشرح:

هذا خبر من النبي ﷺ.

(**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ**) من الرجال أو النساء، وسبب رضاه: (**يَأْكُلُ الأَكْلَةَ**) ولو اللقمة يسيرة (**فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**): يشكره عليها.

(**وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**) فيبارك الله له فيها، ويزيده من فضله، ويأجره على هذا الحمد وعلى هذا الثناء.

ومن أعظم الشكر على الأكلة والشراب، ما جاء عن أبي أمامة عند البخاري[(٢)]: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مكفيٍّ وَلَا مُودَّع ولا مُستغنًى عنه، ربنا**».

(١) انظر الحديث (١٤٠).

(٢) حديث رقم: (٥١٤٩).

كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ

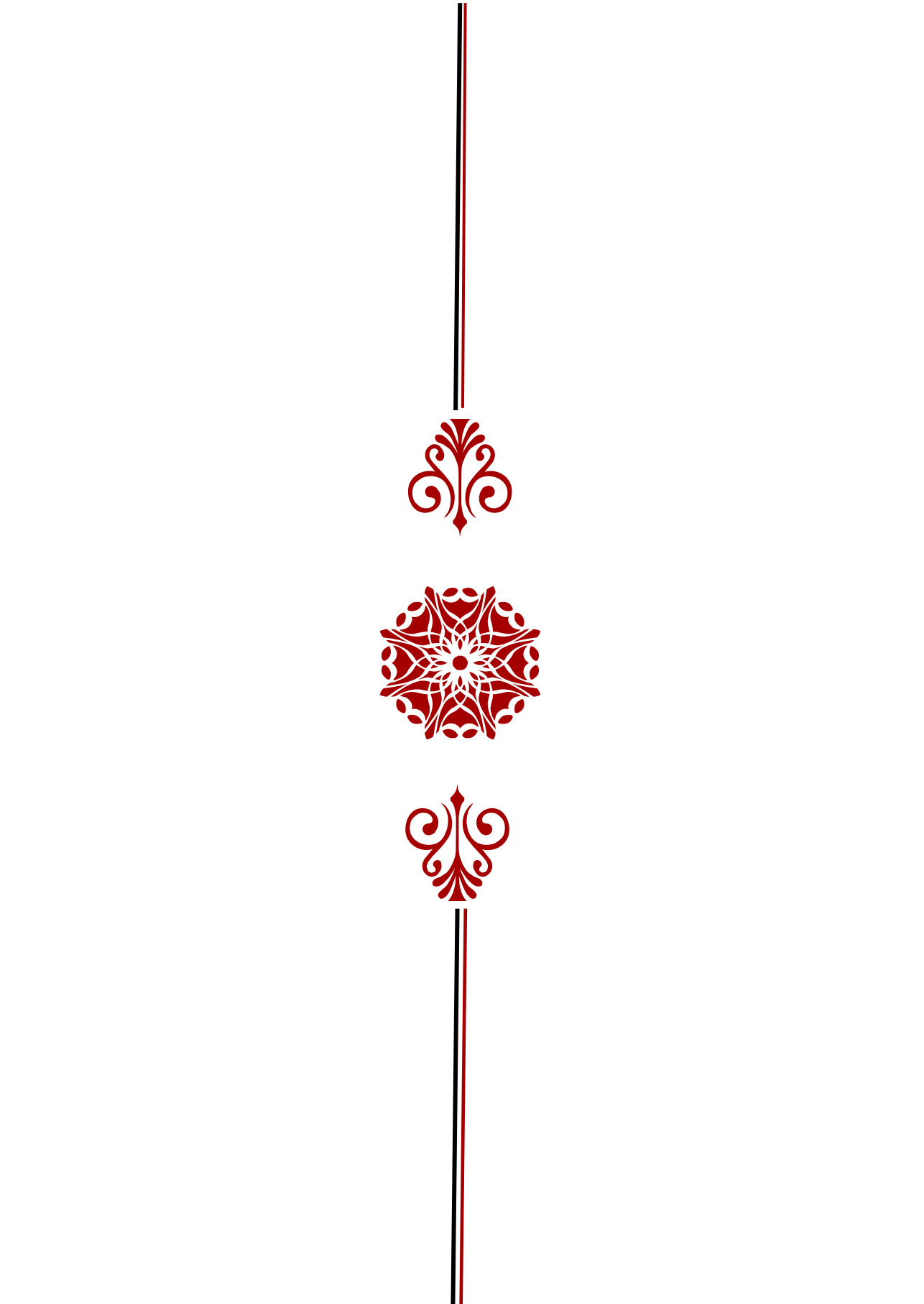

كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ

وهي من أفضل الأعمال وأزكاها، والصلاة من الملائكة ومن البشرية: الدعاء، والصلاة من الله: ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في الملإ الأعلى، كما صح عن أبي العالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٤٣ - باب الأمر بالصلاة عَلَيْهِ وفضلها وبعض صيغها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ **[سورة الأحزاب: ٥٦].**

الشرح:

تجب في الصلاة عند قول كثير من العلماء، وبعضهم ذهب إلى الاستحباب، ولها مواطن كثيرة، لو لم يكن من فضلها إلا: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»، إذا دعيت للنبي ﷺ بصلاة واحدة؛ أكرمك الله بعشر صلوات.

فإذا أردت أن تفرج كربتك وأن تقضى حاجتك وأن يعلى شأنك وأن ترفع درجتك؛ فكن مصليا على محمد صلى الله عليه وسلم، مسلما عليه، وتؤجر، وتُشكر، والله المستعان.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾) إخبار أن الله عَزَّوَجَلَّ يصلي على محمد ﷺ، وملائكة الله تصلي على محمد ﷺ، ومن هذا الباب حض الله عَزَّوَجَلَّ الذين آمنوا وانقادوا لأمره أن يصلوا

عليه، وأن يسلموا عليه تسليما، وإذا سلموا عليه فإن لله ملائكة سيارة يبلغون محمد صلى الله عليه وسلم من أمته السلام.

ليس معناه أنه يسمع سلام المسلم، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [سورة فاطر: ٢٢]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٠]، وهذا من أسباب ضلال الصوفية ومن إليهم، أنهم اعتقدوا أن النبي ﷺ يسمع سلام المسلم، ثم قالوا: ندعو ونرجوه ونستغفره وغير ذلك وهو يسمع، هو لا يسمع، إنما يبلغه الله، الله أعلم.

مع أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون حياة برزخية، وهذا الحديث أنكره بعض أهل العلم، وصححه بعضهم، حياة بزخية، «**مررت ليلة أسر أبي على موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وإذا هو قائم عند الكثيف الأحمر يصلي**».

١٣٩٧ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا». رواه مسلم[(١)].

١٣٩٨ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(٢)].

١٣٩٩ - وعن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ قَالَ: يقولُ بَلِيتَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح[(٣)].

---

(١) حديث رقم: (٣٨٤).

(٢) حديث رقم: (٤٨٤)، من طريق محمد بن خالد بن عَثْمة، عن موسى بن يعقوب الزَّمْعي، عن عبد الله بن كيسان، عن عبد الله بن شداد، عن ابن مسعود به، وضعفه غير واحد من العلماء. هكذا قال المحقق.

(٣) انظر الحديث (١١٥٨)، أخرجه أبو داوود والنسائي وابن ماجه وأحمد، من طريق حسين بن علي الجعفي، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس به، ووقع عند ابن

١٤٠٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

أي: أُلصق أنفه بالتراب، فينبغي للإنسان أن يصلي على النبي ﷺ، ويكثر من ذلك.

ومن أعظم بركات الحديث أننا لا نذكره إلا ونصلي عليه، بركات عظيمات، انظر لما تدرس (رياض الصالحين)، تدرس (عمدة الأحكام)، تدرس في (البخاري)، تدرس في (مسلم)، أو تقرأ في هذه الكتب وفي غيرها: قال ﷺ، فعل ﷺ، نهى رسول الله ﷺ، ترك رسول الله ﷺ، أجر عظيم.

فلذلك أنصح نفسي وإياكم بعدم الكسل من هذا، لا كتابة ولا نطقا، أنت مأجور.

١٤٠١ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح[2].

الشرح:

الشاهد من هذا الحديث: أن الصلاة تبلغ محمدا ﷺ حيث كان، ليس فيها يسمع، ركزوا على هذه الفائدة، ليس هناك دليل على أن النبي ﷺ يسمع، الدليل

ماجه في الموضع الأول: شداد بن أوس، وهو خطأ، وهذا حديث معل؛ لأن ذكر عبد الرحمن بن يزيد بن جابر خطأ، وصوابه: عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، وهو متروك.

وقد أعله عدد من الحفاظ، وهم: أبو حاتم الرازي، والبخاري، وأبو داوود، والترمذي، وأبو زرعة، وابن حبان، وموسى بن هارون، والخطيب البغدادي، وابن رجب، والسخاوي، وابن العربي، وصححه عدد من الحفاظ؛ اعتمادا على ظاهر الإسناد. إذًا حديث ضعيف.

(١) حديث رقم: (٣٥٤٥).

(٢) حديث رقم: (٢٠٤٢).

على أن الصلاة تبلغه بواسطة ملائكة من الله، وهو ميت في قبره، وإنما الحياة حياة برزخية.

١٤٠٢ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح[(١)].

الشرح:

وهذا أيضا ليس فيه أنه يسمع السلام فيرد، وإنما هذا على المعنى الأول: أن الله يبلغه من أمته السلام، وهو عند ذلك يرد، مع إيماننا بأنها حياة برزخية، يُركز على هذه الفائدة وتُكرر من أجل أن تقرر؛ لأن بعضهم قد وهم، وظن أن النبي ﷺ يسمع سلام المصلين عليه والمسلمين عليه، ومن اعتقد هذا من أهل السنة لم يعتقد أنه ينفع ويسمع ويجيب.

لكن اتخذ هذا السبيل قوم من أهل البدعة، وزعموا كما يسمع السلام عليه؛ إذًا يسمع الدعاء له، والاستغاثة به، وهكذا.

١٤٠٣ - وعن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٢)].

الشرح:

يعني البخيل؛ لأنه يبخل على نفسه، «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا»، وهو يبخل على نفسه.

---

(١) حديث رقم: (٢٠٤١).

(٢) حديث رقم: (٣٥٤٦)، قال: صوابه مسند الحسين لا من مسند علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٤٠٤ - وعن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ رسُولُ الله ﷺ رَجُلًا يَدْعُو في صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «عَجِلَ هَذَا» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ - أَوْ لِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم، فيه أنك إذا أردت أن يستجيب الله دعوتك فتوسل إليه أولا: بأسمائه وصفاته، ثانيا: بالصلاة على النبي ﷺ؛ فإن هذا أجدر أن يستجاب لك.

(لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى) أي: لم يثني على الله بأسماء العظمة والكبرياء والسعة.

(عَجِلَ هَذَا) يعني: استعجل الدعاء.

وسبحان الله لعظيم حكمته وعظيم منته على عباده أنه شرع لنا التحيات: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، ثم: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، ثم تدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، وغير ذلك من الأدعية.

إذًا الصلاة شرعها الله عَزَّوَجَلَّ على هذا الترتيب: الثناء على الله، الصلاة على النبي ﷺ، الدعاء، ولذلك كان أدبار الصلاة من أرجا المواطن لاستجابة الدعاء.

بل مرة من المرات عملت كلمة في الأدعية في دبر الصلاة، فكانت عدة أحاديث، عندك هذا الحديث المشهور: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم»، عندك حديث:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧).

«اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا»، عندك حديث: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك».

عندك حديث: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر»، عندك حديث: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»، إلى غير ذلك من الأحاديث.

١٤٠٥ - وعن أَبي محمدٍ كعبِ بن عُجْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا أكمل الصلاة، وإلا يجوز أن تصلي عليه بما شئت من الصلوات الغير مبتدعة الغير محظورة.

وأما بعضهم: اللهم صل على محمد، اللهم تحنن على محمد، اللهم كذا على محمد، وأذكار جماعية يأتون بها، فليكن الإنسان على حذر من البدع والمحدثات في باب الصلاة على النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

١٤٠٦ - وعن أَبي مسعودٍ البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَانَا رسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحنُ في مَجْلِسِ سَعدِ بن عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعدٍ: أَمَرَنَا الله تَعَالَى أَنْ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْت عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ) لعله انتظر الوحي.

وهنا فائدة: فقد استشكل بعضهم: محمد ﷺ أفضل من إبراهيم، وأفضل من آل إبراهيم، وهذا أمر معلوم، فكيف هنا يقول: (صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْت عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ)؟

قال العلماء: يصلى على النبي ﷺ مفردا: اللهم صل على محمد، ثم تقول: كما صليت على آل إبراهيم، وهو داخل في آل إبراهيم، فتكون الصلاة على محمد ﷺ مرتين: صلاة مستقلة، وصلاة مع آل إبراهيم.

(١) حديث رقم: (٤٠٥).

١٤٠٧ - وعن أَبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالوا: يَا رسولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

حتى كلمة «في العالمين» بعضهم انتقدها، والصحيح أنها قد جاءت، فمن جاء بها لا ينكر عليه.

فعلينا أن نكثر من ذكر الله وشكره، والصلاة على نبيه ﷺ، فهذه أبواب عظيمة، فيها الحث على أسباب نفع العبد، فمن ذكر الله ذكره الله، ومن شكره الله زاده الله، ومن حمد الله أكرمه الله، ومن صلى على رسول الله ﷺ صلى الله عليه به عشرا، ومن صلى على رسول الله ﷺ ودعا الله يرجى أن تستجاب دعوته، وأن تفرج كربته، وأن تقضى حاجته، وأن ييسر أمره.

لو لم يكن إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ يصلي عليك عشر مرات، وصلاة الله: ذكر العبد في الملإ الأعلى، يذكرك عند المقربين من ملائكته الكَرُّوبِيِّين، الذين يحملون العرش ومن حوله.

وأولئك قد سخرهم الله للاستغفار لك، ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٖ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [سورة غافر: ٧-٩].

أنت نائم والملائكة تدعو لك بهذا الدعاء العظيم، أنت تطلب علما والملائكة تدعو لك بهذا الدعاء العظيم، أنت تصلي والملائكة تدعو لك بهذا الدعاء العظيم، إذًا هذا من فضل الله عليك حين تصلي على محمد ﷺ، يذكرك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا ذكرك الله عَزَّوَجَلَّ أكرمك وأدناك وقربك.

أما إذا كنت على غير ذلك ربما ذهبت مذهبا بعيدا، وخسرت خسارة كبيرة، ولذلك عود نفسك لو لم يكن إلا لما تقوم تقرأ الحديث أنك تقوم تصلي على النبي ﷺ، انظر، تقوم تقرأ الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ، يصلي الله عليك بها عشرا، أنت ما أنت خاسر.

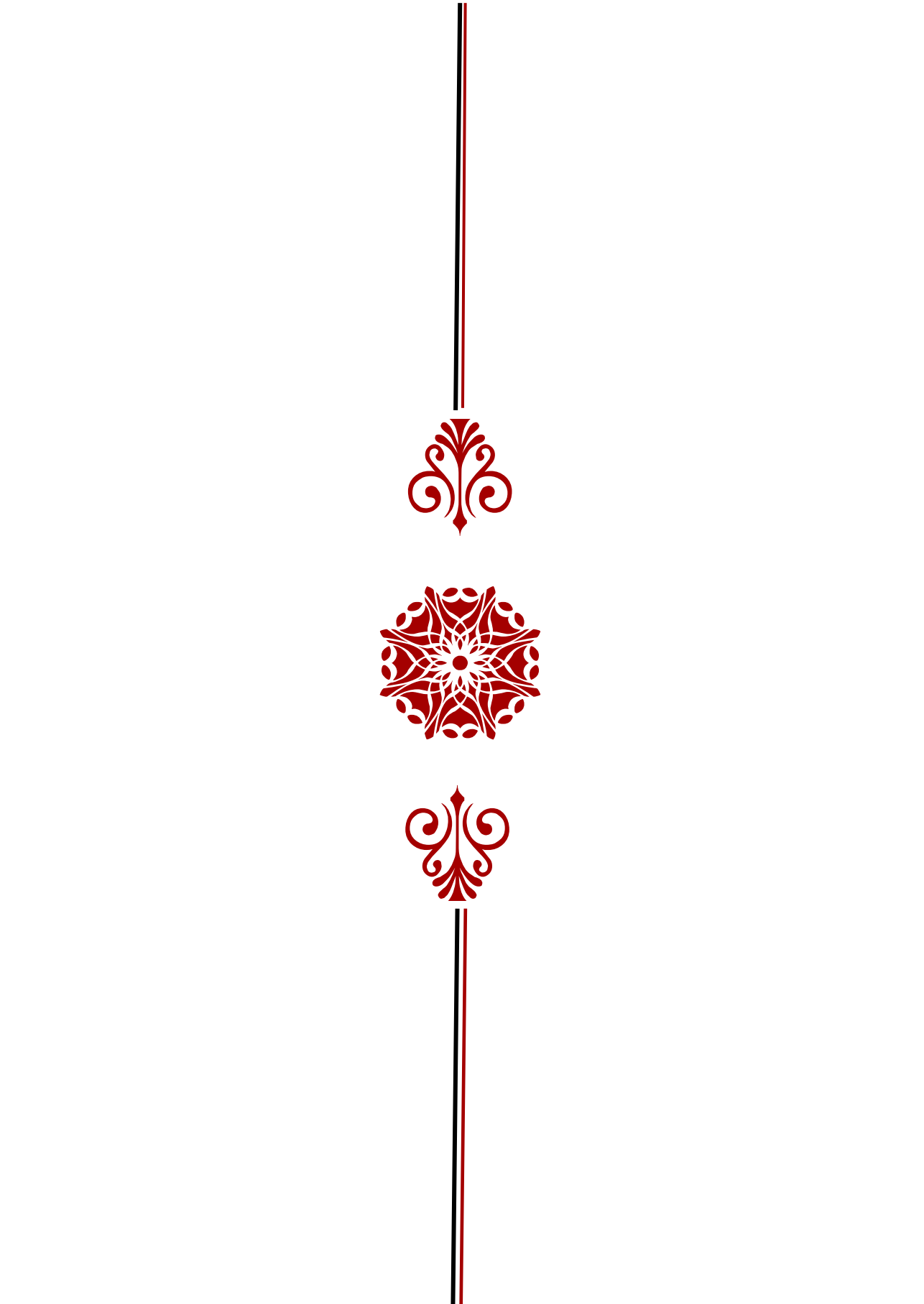

كتاب الأذكار

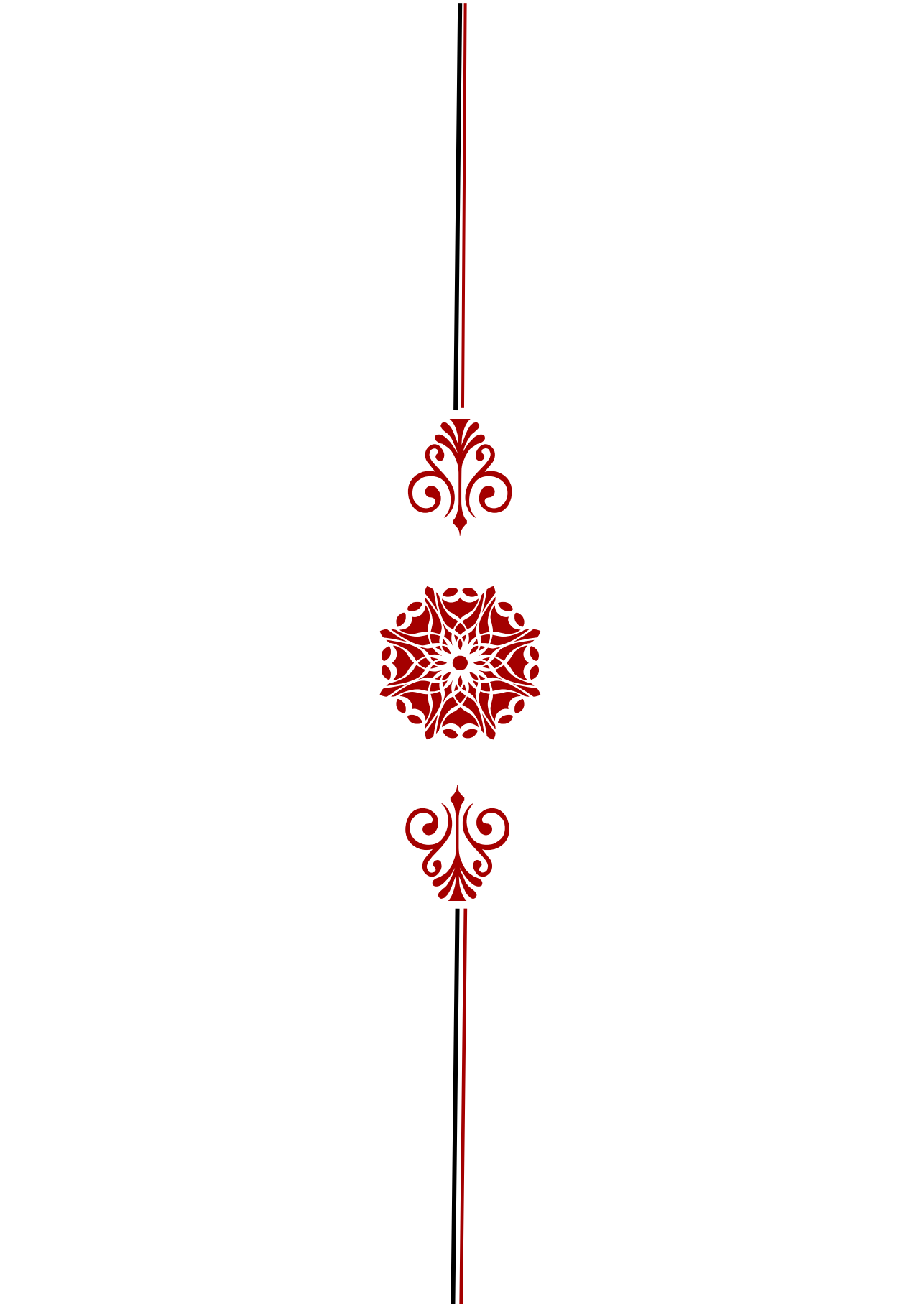

كتاب الأذكار

هذا كتاب مهم يذكره المصنفون في كتبهم، سواء الجوامع أو الكتب المفردة، في الزهديات ونحوها، إذ أن الأذكار من أعظم العبادات، فما من عبادة من العبادات إلا ويدخلها الذكر، كما تأتي الأدلة الكثيرة.

والأذكار المتتبع لأحاديث النبي ﷺ يجد أنها داخلة في إقامته وضعنه، وفي حضره وسفره، وفي ليله ونهاره، وفي خلوته وجلوته، وفي جميع أنحاء عمره.

الأذكار هي دأب الأنبياء والمرسلين، والصديقين والصالحين، الأذكار بها تقرب من الله، وبها يذكرك الله، وهي أكبر الأعمال التي تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، متضمنة للتوحيد، متضمنة للتنزيه، دالة على عظيم صفات الله عَزَّوَجَلَّ، دالة على عظيم كرمه وجوده.

والمحب لا يفتر ولا يعجز عن ذكره حبيبه، والله عَزَّوَجَلَّ محبوب إلى عباده المؤمنين، فلذلك يذكرونه في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، وفي الحضر والسفر، وفي الصغر والكبر، ومع الغنى ومع الفقر، يذكره الرجال والنساء، يذكره الأعراب، ويذكره أهل القرى، يُذكر في البحر وفي البر وفي الجو، وعلى كل حال، ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾ [سورة آل عمران: ١٩١].

وذكر الله نوعين:

النوع الأول: طاعة الله، ويدخل فيها كل طاعة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [سورة طه: ١٢٤]، أي: عن طاعتي.

والذكر الثاني: هو ذكر اللسان، وما فيه من أذكار اليوم والليلة، وهذا هو المقصود في كتاب الأذكار.

٢٤٤ - باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ **[سورة العنكبوت: ٤٥].**

وقال تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ **[سورة البقرة: ١٥٢].**

وقال تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ **[سورة الأعراف: ٢٠٥].**

وقال تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ **[سورة الأنفال: ٤٥].**

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ **[سورة الأحزاب: ٣٥] إِلَى قَوْله تَعَالَى:** ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ **[سورة الأحزاب: ٣٥].**

وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ **[سورة الأحزاب: ٤١-٤٢] الآية.**

والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

الشرح:

(﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾) وهذه من عظيم فضائل الذكر، أنك إن ذكرت الله ذكرك الله، في نفسك ذكرك في نفسه، في ملإ ذكرك في ملإ خير، وإذا ذكرك الله وصلك وأعطاك، واجتباك، واصطفاك، وأكرمك، وأعز ك، ودافع عنك، وحفظك، إلى غير ذلك.

١٤٠٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

انظر إلى فضيلة هذا الذكر، (كَلِمَتَانِ) أي: جملتان.

(خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ) نطقهما لا يستغرق الثواني.

(ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ) يوم القيامة.

(حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمانِ) يحبهما، ويثيب عليهما.

(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ) جمعتا بين التنزيه وبين إثبات الكمال لله عَزَّوَجَلَّ، وهما تسبيح الملائكة كما سيأتي.

١٤٠٩ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ؛ وَلَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

لأن هذه من الباقيات الصالحات، الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [سورة مريم: ٧٦].

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) حديث رقم: (٢٦٩٥).

١٤١٠ - وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ».

وقال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

وهذا من جوامع الذكر، قول: (لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، سواء مرة، أو عشر مرات، أو مائة مرة، أو ما تيسر، وهكذا: سبحان الله بحمده، في صباحك ومسائك، إذا استطعت أن تأتي به أمر طيب، وإذا أكثرت فالله أكثر.

١٤١١ - وعن أَبي أيوب الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

سبحان الله! فضل الله واسع، من قال مائة مرة كأنما أعتق عشر رقاب، ومن قال عشر مرات كأنما أعتق أربع أنفس من ولد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، النسب الذي ينتسب إليه النبي ﷺ، والنبي ﷺ لما سئل: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند أهلها، وأغلاها ثمنا».

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٣) و (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣).

١٤١٢ - وعن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». رواه مسلم(١).

الشرح:

وقد تقدم أنها ثقيلة في الميزان، حبيبة إلى الرحمن، خفيفة على اللسان.

١٤١٣ - وعن أَبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

(الطُّهُورُ) المراد به: الوضوء، (شَطْرُ الإيمانِ) المراد به: الصلاة.

(وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ) الميزان، الذي يزن الله فيه أعمال العباد يوم القيامة.

(وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) فضل عظيم، وأجر جليل، ومع ذلك ما أكثر التفريط الذي يحصل منا! نسأل الله السلامة والعافية.

١٤١٤ - وعن سعد بن أَبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ. قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ»، قَالَ: فهؤُلاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي». رواه مسلم(٣).

الشرح:

(١) حديث رقم: (٢٧٣١).

(٢) انظر الحديث (٢٥).

(٣) حديث رقم: (٢٦٩٦).

علمه كيف يثني على الله عَزَّوَجَلَّ.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي) وهذه الكلمات قد جاء أن من سألها صلحت له دنياه وأخراه، كما في حديث طارق بن أشيم عند مسلم.

١٤١٥ - وعن ثَوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ».

قِيلَ لِلأَوْزَاعِيِّ - وَهُوَ أَحَدُ رواة الحديث -: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: يقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا حديث عظيم، جاء أيضا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو من أذكار أدبار الصلاة، والإنسان إذا طلب المغفرة غفر الله له، والمغفرة هي التجاوز، والرحمة هي التوفيق والتسديد، (اهدني) سواء إلى الإسلام والإيمان والعلم، يدخل فيها جميع أنواع الهداية.

(وارزقني) رزق الإيمان، ورزق العلم، ورزق المال، ورزق الذرية، ورزق الأخلاق الحسنة، فالرزق كلمة عامة، إذا رزقك الله عَزَّوَجَلَّ من أنواع رزقه فأنت الموفق.

فبعضهم مرزوق بالمال غير مرزوق بالدين، وبعضهم مرزوق بالدين لكن ما عنده رزق العلم، فأكمل الرزق: أن تكون مسلما عالما عاملا، يرزقك الله ذرية طيبة، ربما تكون من أسباب الدعاء لك بعد موتك، وهكذا زوجة طيبة تعينك على طاعة الله،

---

(١) حديث رقم: (٥٩١).

وخير ما يدخر الإنسان في دنياه كيما يستقيم دينه: قلبا شكورا، ولسانا ذاكرا، وزوجة صالحة تعينه.

وهكذا يرزقك الله مالا يكف وجهك عن التطلع لما في أيدي الناس.

١٤١٦ - وعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أي: لا ينفع ذا العظمة منك العظمة، بعضهم قال: لا تقل: الجَد قل: الجِد؛ لأن الله ليس له جَد، وهذا من قصور فهمه، فإن الجِد من الجَد، الجِد المراد به: الغنى، فأنت لما تقول: وتعالي جِدك أي: غناك، لكن لما تقول: جَدك أي: عظمتك بما فيها الغنى، فهو أبلغ في الثناء على الله.

(وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ): لا ينفع صاحب العظمة منك عظمته، ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [سورة الجن: ٣].

ومن عجيب بعضهم قال: إنما هذا قول الجن، والله لقد هزُلت، أصبح يتكلم في الدين من لا يفهم شيئا، يقول: هذا إلا قول الجن، نعوذ بالله، يعني أكان الله عَزَّوَجَلَّ يقر الجن على منكر؟ أكان النبي ﷺ يقر الجن على منكر؟ لكن هذا لسوء فهمهم، أصلا ما يعرفون الجد إلا أبو الأب، لا، الجد العظمة، الجد الكبرياء، الجد الغنى، الجد السعة، الجد كل صفات الجمال والجلال والعظمة والكبرياء منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٠)، ومسلم (٥٩٣).

١٤١٧ - وعن عبدِ الله بن الزُّبَيْرِ رضي الله تَعَالَى عنهما أَنَّه كَانَ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، حِيْنَ يُسَلِّمُ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ».

قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ. رواه مسلم[1].

الشرح:

دبر الصلاة يطلق على آخرها قبل السلام، ويطلق على بعد السلام، ولكن للجمع قال العلماء: ما كان من الأدعية فهو قبل السلام، وما كان من الأذكار فهو بعد السلام، وهذا اختيار غير واحد من العلماء.

ومن باب التنبيه: بعض الذين يكتبون اللوائح للأذكار جمع بين حديث المغيرة وبين عبد الله بن الزبير، فأخذ من حديث المغيرة: «**لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، وحذف من حديث عبد الله بن الزبير، ثم انتقل إلى قوله: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، وهذا غير صحيح، فهذا ذكر مفرد، يؤتى به بتمامه، وهذا ذكر آخر يؤتى به بتمامه.

ولو أردنا شرح هذه الأذكار لطال المقام؛ لأنها كلمات جامعات عظيمات، دالات على كمال الله المقدس، دالات على التوحيد، دالات على الإخلاص من العباد لله عَزَّوَجَلَّ، دالات على عظيم نعمة الله عَزَّوَجَلَّ، على تعين الثناء الحسن على الله عَزَّوَجَلَّ، على وجوب الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، على نصرة الله عَزَّوَجَلَّ لدينه ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون.

---

(١) حديث رقم: (٥٩٤).

لكن لتعلموا ضعف حالنا، شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل موته أوصاهم وصية قال: إذا رأيتموني في سياقة الموت فاقرؤوا علي كتاب الأذكار من (رياض الصالحين)، يريد أن يموت وهو يذكر الله، يريد أن يسمع فضائل هذه الأحاديث لعل الله يوفقه لقول: لا إله إلا الله، كم له من الأجر! أو بقول: سبحان الله، والحمد لله، أو بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأن الإنسان عند الموت يشغل، يشغل بهم الموت، بهم السكرات، بهم المرض، فهو يقول: ذكروني.

وأحسن ما يُذكر به هذا الكتاب العظيم؛ لأن كتاب الأذكار يدل على عظيم سعة الله عَزَّوَجَلَّ وعلى عظيم كرمه، الحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض، تملأ الميزان، من قال: لا إله إلا الله كذا كذا، من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله كذا، هذه تزيد الإيمان، فعلى الإنسان أن يعتني بهذا الكتاب.

ويسوء طالب العلم أن يبقى مع (حصن المؤمن) أو (حصن المسلم)، يا أخي فرغ نفسك لحفظ الأذكار، فرغ لك يوما يومين ثلاثة، حتى أسبوعا إذا كنت من الكسالى، واحفظ هذه الأحاديث، عندك حوالي إحدى عشر حديثا لأذكار الصباح والمساء، وعندك كذا كذا أحاديث في أذكار النوم، وعندك كذا حديث في أذكار الصلاة، أشياء تحتاجها طول اليوم، أشياء تحتاجها.

وبعدين إذا حفظت هذه الأذكار ما عاد تحتاج منك مراجعة؛ لأن أذكار الصباح تأتي بها في الصباح، وتأتي بها في المساء، أذكار النوم تأتي بها كل يوم، أذكار الصلاة تأتي بها دبر كل صلاة، خلاص صارت معك زادا.

أما أن تبقى تركب السيارة خرجت (حصن المسلم)، أو (حصن المؤمن)، انتهيت الصلاة تخرج الأذكار، احفظ، احفظ، دعك من الكسل، دعك من الفتور، دعك من وساوس الشيطان وتلبيسة.

ثم أيضا من أين لك (حصن المسلم) في كل مكان؟ ثم إن الإنسان لما يأتي بها من حفظه؛ يكون تدبرها أعظم، والله المستعان.

١٤١٨ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، فَقَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَكُون أَحَدٌ أَفْضَل مِنْكُمْ إِلاَّ منْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ».

قَالَ أَبُو صالح الراوي عن أَبي هريرة لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ قَالَ: يقول: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ واللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رسولِ الله ﷺ فقالوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]».

(الدُّثُورُ) جمع دَثْر - بفتح الدال وإسكان الثاء المثلثة - وَهُوَ: المال الكثير.

الشرح:

هذه صورة أن تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين فقط، من كل واحدة إحدى عشر مرة، وجاء من حديث أم سليم: سبحان الله عشرا، الحمد لله عشرا، الله أكبر عشرا، جاء من حديث عبد الله عمرو أيضا عند أحمد.

وجاء أيضا كما أسلفت لكم: سبحان الله ثلاثا وثلاثين، الحمد لله ثلاثا وثلاثين، الله أكبر أربعا وثلاثين.

(١) أخرجه: البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

جاء: سبحان الله خمسا وعشرين، الحمد لله خمسا وعشرين، الله أكبر خمسا وعشرين، لا إله إلا الله خمسا وعشرين.

جاء أيضا: سبحان الله ثلاثا وثلاثين، الحمد لله ثلاثا وثلاثين، الله أكبر ثلاثا وثلاثين، تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

كل هذا قد ثبت.

قوله: (ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثورِ) أي: أهل الأموال، **(بِالدَّرَجَاتِ العُلَى)** ربما تجده يبني مسجدا، «**من بني مسجدا لله بنى الله له بيتا في الجنة**»، ربما يكفل يتيما، «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**»، ربما يحج، يعتمر، يفعل أشياء كثيرة، جعل الله لك ما تسبقه إن كنت صادقا، وما تلحقه، ألا وهو الذكر، ذكر دبر كل صلاة، ما عليك إلا أن تحافظ على هذه الأذكار، وأبشر من الكريم بالخير.

(سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ) هذا أهل الأموال زمان، صاحب المال يسابق الفقير على الصف الأول، يسابق الفقير على الذكر، يسابق الفقير على حفظ العلم، أما الآن انظروا لأصحاب الأموال بعضهم ما يصلي، خلاص، متربع على صرافة، متربع على دكانه، هذه الصلاة إلا على البطالين الفقراء، نسأل الله السلامة والعافية.

بعضهم ما يحج ولا يعتمر، بعضهم يمر عليه العام ما يقرأ قرآنا، زهد، والله نخشى عليهم من سوء ظنهم بالله عَزَّوَجَلَّ، كما قال ذلك: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [سورة مريم: ٧٧]، كما آتاني في الدنيا يؤتيني في الآخرة، لا، لا بد من العمل، فالمفروض إنه صاحب المال يسارع أكثر من الفقير.

أولًا: شكرا لله على نعمته.

ثانيًا: حفاظا على نعمته لا تسلب.

ثالثًا: قد تفرغ، الفقير يحتاج يشتغل مسكين من الصباح إلى المساء، يأتي بالليل وهو متعب، ما يستطيع يصلي بالليل، مشغول، أما صاحب المال يستطيع يتفرغ، يجعل له عمالا، يحضر الدروس، يقيم الليل، يحفظ القرآن، يصلي الضحى، يروح عمرة، يروح حجا، يبني مسجدا، يكفل يتيما، يكفل أرملة، يكفل طالب علم.

لكن نسأل الله السلامة والعافية، الناس في هذا الباب في جهل سحيق، إما أخذا للمال من غير حله، وإما تصرف في المال في غير حله، وإما بخل بما أوجب الله عليهم، وإما ركون إلى المال وعدم النظر إلى الدين والعمل به.

أبو بكر رضي الله عنه أنفق أربعين ألفا على النبي ﷺ، أربعين ألف دينار اضربها في أربعة جرام، كم كيلوهات أنفقها في شراء العبيد ليتفرعوا لطاعة الله؟ أنفقها في إعزاز دين الله، حتى قال النبي ﷺ: «**أمن الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر**».

هذا هم، **(ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى)** ما هو: ذهب أهل الدثور بالدثور، ربما يصلح لك مجلسا طويلا عريضا، لماذا؟ للمخزنين، والشاشة فيه تسد بابا، وقيل وقال، ما هم حول قال الله ولا قال رسوله ﷺ، نسأل الله السلامة والعافية.

هذا الحديث يستدل به أيضا على فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر، وإن كان بعضهم يقلب الاستدلال به، لكن الصحيح أنه دليل على فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر.

وبيانه: عندنا فقير صابر، وعندنا غني شاكر، كلاهما محافظ على الصلاة، محافظ على الصيام، محافظ على القيام، محافظ على الذكر، لكن عندنا زيادة في الغني: يحج ولا نحج، يعتمر ولا نعتمر، يجاهد بفضل ماله، يتصدق.

فالغني الشاكر قد وافق الفقير في جميع العبادات التي هي مشتركة، ثم تميز عنه بعبادة الإنفاق في أوجه الخير، هذا هو بارك الله فيكم.

أما الغني غير الشاكر هذا بلا شك ولا ريب أن الفقير الصابر أحسن منه حالا ورفعة وفضلا.

١٤١٩ - وعنه، عن رسولِ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ الله في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلاثًا وَثَلَاثِينَ، وقال تَمَامَ المِائَةِ: لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». رواه مسلم[١].

الشرح:

الزبد: الذي يحمله البحر من الأشياء، فالله عَزَّوَجَلَّ يغفر له جميع الذنوب والمعاصي بمثل هذه الأذكار الطيبة.

والمراد بالخطايا المغفورة هي الصغائر، أما الكبائر لا بد لها من توبة، كما هو معلوم في هذا الباب.

١٤٢٠ - وعن كعب بن عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسولِ الله ﷺ قَالَ: «مُعَقِّباتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاثٌ وَثَلاثونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلاثٌ وثَلَاثونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثونَ تَكْبِيرَةً». رواه مسلم[٢].

١٤٢١ - وعن سعد بن أَبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ الصَّلَواتِ بِهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ». رواه البخاري[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٧).

(٢) حديث رقم: (٥٩٦).

(٣) حديث رقم: (٤٨٤٤).

الشرح:

هذا يكون قبل السلام، والأدعية التي قبل السلام ستة أدعية:

الأول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**».

الثاني: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

الثالث: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**».

الرابع: «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من فتنة القبر**».

الخامس: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**».

السادس: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر**».

هذه أحاديث ثبتت عن النبي ﷺ أنه كان يقولها قبل السلام، والله المستعان، وإذا تأملت هذه الأحاديث وعظيم ما فيها من الدعاء تجد أن فيها صلاح الدنيا الآخرة.

(**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ**) الخالع، الذي يمنعك من الطاعات والمبرات، ويمنعك من النفقات الواجبات.

والجبان والبخيل بينهما مقارنة، حتى قال أهل العلم: لا يوجد شجاع بخيل، كما لا يوجد كريم جبان، فهذه الصفات مترابطة متوافقة.

(**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ**): تكبر حتى تخرف، تصير مثل الصغار، يلعب بك الصبيان.

(وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا): فتن الدنيا الكثيرة، سواء في باب النساء، في باب الأموال، في باب السياسات، في غير ذلك من الأبواب.

١٤٢٢ - وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسُولَ اللهِ ﷺ أخذ بيده، وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاة تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

هذا الحديث سبحان الله! جاء من فعل النبي ﷺ، وجاء التحضيض عليه من النبي ﷺ، وجاء الوصية به من النبي ﷺ، أما حديث معاذ كما ترى: (أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاة تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ).

وأما حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

وأما حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم أن يجتهد في الدعاء فليقل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥].

(عَلَى ذِكْرِكَ): على طاعتك، أو على ذكر اللسان.

(وَشُكْرِكَ): على نعمك الكثيرة.

---

(١) انظر الحديث (٣٨٤).

(وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) تصلي كما صلى النبي ﷺ، وتصوم كما صام النبي ﷺ، وتحج كما حج النبي ﷺ، وجميع شأنك على الإخلاص والمتابعة، فحسن العبادة تكون على الإخلاص والمتابعة، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧].

فمثل هذه الأحاديث تُحفظ، ويؤتى بها، وتُكرر، مهما كررتها فأنت الرابح.

١٤٢٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يقُول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ». رواه مسلم[1].

١٤٢٤ - وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ». رواه مسلم.

الشرح:

هذه الدعوات أحاطت بجميع الذنوب والمعاصي، والدعوات التي تضمنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء أيضا عن ابن عباس وجاء عن عائشة تضمنت الأمور العظام، «**أعوذ بك من عذاب جهنم**»، أشد ما يكون، «**أعوذ بك من عذاب القبر**»، يليه في الشدة، «**أعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»، سبب عذاب جهنم وسبب عذاب القبر، «**وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال**».

هذه أربعة أحاديث من الأحاديث التي قلت لكم أنها ثبتت عن النبي ﷺ دبر الصلاة، فاحفظوها، حديث سعد بن أبي وقاص، ومعاذ، وأبي هريرة، وعلي رضي الله عنهم.

---

(١) حديث رقم: (٥٨٨).

١٤٢٥ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

يجمع بين الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ وبين الدعاء.

١٤٢٦ - وعنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يقولُ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

(سُبُّوحٌ) أي: منزه ومقدس عن كل نقص وعيب.

(قُدُّوسٌ): المنزه أيضا عن النقص والعيب.

وهو (رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ) رب الملائكة ورب الروح أي: جبريل، ذكرهم؛ لعظيم شأنهم.

١٤٢٧ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ». رواه مسلم(٣).

الشرح:

ادع الله بما شئت مما لم يكن فيه إثم ولا قطيعة رحم، وأعظم ما تدعو الله به مثل ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠١]، والأدعية النبوية.

(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) حديث رقم: (٤٨٧).

(٣) حديث رقم: (٤٧٩).

ومع ذلك إذا دعا في الركوع الركوع من مواطن الدعاء، إلا أن الدعاء في السجود أجوب.

١٤٢٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». رواه مسلم(١).

الشرح:

مع أن الله في علوه على عرشه.

١٤٢٩ - وعنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ في سجودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

وهذا محيط بالذنوب والمعاصي، بصغارها وكبارها، بعظيمها وجليلها، بظاهرها وباطنها، بأولها وآخرها.

١٤٣٠ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: افْتَقَدْتُ النَّبيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَتَحَسَّسْتُ، فإذا هُوَ راكِعٌ - أَوْ سَاجِدٌ - يقولُ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إلهَ إلاَّ أنت»، وفي روايةٍ: فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ في المَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». رواه مسلم(٣).

الشرح:

(١) حديث رقم: (٤٨٢).

(٢) حديث رقم: (٤٨٣).

(٣) حديث رقم: (٤٨٥).

وهذا أيضا جاء من حديث علي بن أبي طالب، أن النبي ﷺ كان يقوله في الوتر، فيحافظ الإنسان عليه؛ لما فيه من البركة.

(أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ) إذا رضي الله عنك أكرمك وأدناك، واجتباك واصطفاك، وإذا غضب الله عليك سخط وأقصاك وأبعدك.

(وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ): يعافيك من الأمراض، يعافيك من الانحرافات، يعافيك من الجهل، يعافيك من كل شر.

(وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ) ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٠].

(لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) دليل على أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير محصورة بعدد معلوم لنا.

١٤٣١ - وعن سعد بن أَبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنا عِنْدَ رسول الله ﷺ فَقَالَ: «أيعجزُ أحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ في كلِّ يومٍ ألْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ ألفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ ألْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ ألفُ خَطِيئَةٍ». رواه مسلم[1].

قَالَ الحُمَيْدِيُّ: كذا هُوَ في كتاب مسلم: «أَوْ يُحَطُّ»، قَالَ البَرْقاني: ورواه شُعْبَةُ وأبو عَوَانَة، وَيَحْيَى القَطَّانُ، عن موسى الَّذِي رواه مسلم من جهتِهِ فقالوا: «ويحط» بغير ألِفٍ.

الشرح:

والله ربما يأتي بها في أقل من دقيقة.

(أَوْ يُحَطُّ) وهي بمعنى (ويحط).

فضل عظيم في تسبيح الله عَزَّوَجَلَّ وتنزيه الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) حديث رقم: (٢٦٩٨).

١٤٣٢ - وعن أَبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وأَمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى». رواه مسلم[1].

الشرح:

ساق المصنف الحديث؛ لبيان فضل التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وما يلي ذلك من الأعمال قد تقدم.

١٤٣٣ - وعن أم المؤمنين جُوَيْرِيَةَ بنت الحارِث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِيْنَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ في مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الحالِ الَّتي فَارقتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «سُبْحانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وفي رواية الترمذي: «ألا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا؟ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[2].

الشرح:

(١) انظر الحديث (١١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٦)، والترمذي (٣٥٥٥).

وجاء عن أبي أمامة نحو هذا، علمه النبي ﷺ: «**سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في السماء والأرض، سبحان الله ملء ما في السماء والأرض، سبحان الله عدد ما بينهما، سبحان الله ملء ما بينهما، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء، سبحان الله عدد ما أحصاه كتابه، والحمد مثل ذلك**»، وجاء في بعضها: «**والتكبير مثل ذلك**»، هذا من الذكر الجوامع.

١٤٣٤ - وعن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبيّ** ﷺ **قَالَ:** «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**». **رواه البخاري.**

ورواه مسلم فَقَالَ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**»[1].

الشرح:

يعني الذاكر كالحي، والغافل كالميت، والميت لا يستفاد منه، الميت يتخلص الناس منه ويذهبون به القبر، والحي يبقيه الناس ويفرحون به، فكن حيًا، لا تكن ميتًا، واجعل بيتك بيت الأحياء لا بيت الأموات.

١٤٣٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنَّ رسولَ الله** ﷺ **قَالَ:** «**يقول الله تَعَالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإِنْ ذَكَرَنِي في ملأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**» **متفق عَلَيْهِ**[2].

الشرح:

والله لو لم يكن من فضل الذكر إلا هذا الحديث أن تجعل الله عَزَّوَجَلَّ يذكرك، اذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

١٤٣٦ - وعنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قالوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رسولَ الله قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِرَاتِ». رواه مسلم(١).

وَرُوي: (الْمُفَرِّدُونَ) بتشديد الراءِ وتخفيفها والمشهُورُ الَّذِي قَالَهُ الجمهُورُ: التَّشْديدُ.

الشرح:

يعني سبقوا غيرهم إلى الجنان، وإلى أعالي الدرجات، وإلى الفرج العظيم، وإلى المكارم، وإلى كل خير.

١٤٣٧ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن(٢).

١٤٣٨ - وعن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رجلًا قَالَ: يَا رسولَ الله، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبثُ بِهِ قَالَ: «لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن(٣).

الشرح:

يعني: أكثر من ذكر الله، لكن مع المجيء بالفرائض، ما تقول: خلاص سأذكر الله وتترك الفرائض، كما هو غلاة الصوفية الذين يستدلون بقول الله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [سورة الحجر: ٩٩] على ترك الواجبات والفرائض، واستباحة المحرمات، ويأخذ أحدهم مسبحة تحتاج في جرها إلى بكرة.

وهذا ليس على سبيل المبالغة، هذا صحيح، هناك مساجد فيها مسابح في بكَرات، ويجرونها المجموعة، سبحان الله، سبحان الله، كأنهم يطلعون برميلا من الماء، وهم بعيدون عن تسبيح الله، وإن نزهوه بلسان المقال فهم يذمونه بلسان الحال، إذ

---

(١) حديث رقم: (٢٦٧٦).

(٢) حديث رقم: (٣٣٨٣)، حسن لغيره.

(٣) حديث رقم: (٣٣٧٥).

يعتقدون أنه في كل مكان، ويتركون ما أمر به من الواجبات، ويرتكبون المحرمات، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

١٤٣٩ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «من قَالَ: سُبْحَانَ الله وبِحَمدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن(١).

١٤٤٠ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَقِيْتُ إبْرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وأنَّهَا قِيعَانٌ وأنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلَا إلهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكْبَرُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن(٢).

١٤٤١ - وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعْمالِكُمْ وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أن تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «ذِكر الله تَعَالَى». رواه الترمذي، قَالَ الحاكم أَبُو عبد الله: إسناده صحيح(٣).

الشرح:

حديث عظيم، في (الصحيح المسند) لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ، أفضل الأعمال.

(ألا أُنَبِّئُكُمْ): ألا أخبركم (بِخَيْرِ أعْمالِكُمْ) على الإطلاق.

(وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ): أطهرها عند الله.

(وأرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ) إلى الدرجات العلا في الجنة.

---

(١) حديث رقم: (٣٤٦٤)، من طريق أبي الزبير، لكن قد جاءت له شواهد.

(٢) حديث رقم: (٣٤٦٢)، هو ضعيف من هذه الطريق، من طريق سيار بن حاتم، عن عبد الواحد بن زياد، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، وسيار ضعيف، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف جدًّا، لكن هو في الباب.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، والحاكم (١/ ٤٩٦).

(وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ) مع أن إنفاق الذهب والفضة في أوجه الخير خير.

(ذِكر الله تَعَالَى) ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥].

١٤٤٢ - وعن سعد بن أَبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه دخل مَعَ رسُولِ الله ﷺ عَلَى امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْها نَوىً - أَوْ حَصَىً - تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ أفْضَلُ؟» فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ في السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ في الأرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وسُبحَانَ الله عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، واللهُ أكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، والحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا إلَهَ إلاَّ اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ مِثْلَ ذَلِكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

١٤٤٣ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟» فقلت: بلى يَا رسولَ الله قَالَ: «لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ» متفق عَلَيْهِ[(٢)].

الشرح:

كنز من كنوز الجنة، فعليك أن تحافظ على هذا الكنز العظيم، وعلى هذا الذكر الجليل، وعلى هذه الأعمال التي تقربك وتدنيك من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) حديث رقم: (٣٥٦٨)، بل ضعيف، في سنده خزيمة، غير منسوب، الراوي عن عائشة بنت سعد عن أبيها، وهو مجهول، وقد استغربه الترمذي، وضعفه الألباني في (ضعيف أبي داود)، و (الضعيفة)، ويجزئ عنه ما ذكرناه من حديث جويرية ومن حديث أبي أمامة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤).

٢٤٥ - باب ذكر الله تَعَالَى قائمًا أَوْ قاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلاَّ القرآن فَلا يحل لجنب وَلا حائض

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ **[سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١].**

الشرح:

(إلاَّ القرآن) بل والقرآن، كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، ومن ذكر النبي ﷺ القرآن، والنبي ﷺ يقول: «**المؤمن لا ينجس**»، وما وقع فيه من البلل هذا ليس بنجس، وما يخرج منه من المني ليس بنجس، النجس: دم الحيض، دم النفاس، البول، الغائط، هذه هي النجاسة في الإنسان، غير ذلك ما في نجاسة.

فالصحيح أن لا حرج من قراءة القرآن على أي حال من الأحوال، إلا أن الإنسان إذا كان متوضئا أفضل؛ لأن النبي ﷺ كان يلازم الطهارة.

أما أن يُمنع غير المتوضئ من قراءة القرآن وتمنع الحائض من قراءة القرآن أو من حمل المصحف وأخذه فالصحيح في هذا وإن قال به الجماهير خلاف ما ذهبوا إليه: «**يا عائشة ناوليني الخُمْرة**»، قالت: إني حائض، قال: «**حيضتك ليست في يدك**»، الحيضة في موطنها.

معي مقال مطبوع ضمن (كتاب المقالات المفيدة، في التوحيد والأخلاق والفقه والعقيدة).

(﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾): لأصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة، الذين من شأنهم أنهم ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٩١].

يا أخي والله لو كان الوضوء شرطا في ذلك؛ لبينه الله وبينه رسول الله ﷺ، هذا أمر الناس يحتاجون إليه، ما ورد حتى حديث واحد (لا يمس القرآن إلا متوضأ)، أما حديث «**لا يمس القرآن إلا طاهر**» فهو حديث مرسل، وعلى صحته يحمل على المسلم؛ لأن المسلم طاهر.

وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٧٩] فالمراد بالمطهرين في الآية: الملائكة، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ؛ لأن الله قال بعد أن ذكر هذا الكتاب: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الواقعة: ٨٠]، غير الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ الذي لا يمسه إلا المطهرون.

ولو أراد المتوضئين: لا يمسه إلا المتطهرون، لكن قال: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٧٩] يعني: المطهرون عن الشرك، المطهرون عن الكفر، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [سورة التوبة: ٢٨].

١٤٤٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. رواهُ مسلم[1].

الشرح:

وهذا حديث عام يدخل فيه الذكر بالقرآن، والذكر بالتسبيح، والذكر بالتهليل، والذكر بالدعاء، والذكر بالفِكرة، كله داخل فيه، يدخل فيه أنه يذكر الله قبل جنابته وبعد جنابته، أليس كان يجنب وربما لا يغتسل إلا مع الصباح؟ يعني ما يذكر الله في هذا الليل كله ولا يتلو آيات من القرآن؟.

(وأما ما جاء أن القرآن أو المصحف لا يمسه إلا متوضئ أو لا يقرأه إلا متوضئ فهذه مسألة خلافية بين العلماء، وجمهورهم على المنع، والصحيح جواز ذلك، وإن

(١) حديث رقم: (٣٧٣).

كان الإنسان متلبسا بالحدث إلا أنه مع رفع الحدث أفضل، والدليل على هذا حديث الباب، وكان النبي ﷺ ربما قرأ القرآن في حجر عائشة وهي حائض وقال: «نَاوِلِينِي الْخُمْرَةَ» قَالَتْ: إِنِّي حَائِضٌ قَالَ: «حَيْضَتُكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ»، وقد تقدم حديث: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ».

وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة:٧٩] فالمراد بالكتاب هنا اللوح المحفوظ، والمراد بالمطهرين الملائكة، ولو كان المقصود لا يمسه إلا رافعي الحدث لقال: لا يمسه إلا المتطهرون أو المتوضئون ونحو ذلك). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

١٤٤٥ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ». متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

هذا ذكر طيب لمن جامع أهله؛ حتى لا يشاركه الشيطان؛ لأن الشيطان حريص، يحضر الإنسان في شأنه كله، روي عن مجاهد وغيره: أنه يكون على ذكر الرجل مطويا، فإذا جامع أهله شاركه في أهله، فالله أعلم، ما هناك ما يثبت، لكن دليل على أنه يشاركه في ولده، كيف سيشاركه في ولده إلا بجماع زوجته، بل ربما قذف منيه مع منيه، نسأل الله السلامة والعافية.

فعلى الإنسان أن يستعين بالله، ويستعيذ من الشيطان الرجيم، فإذا نسي الرجل ذكرته المرأة، ولا بأس أن تسمي هي أيضا: (بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ

(١) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤).

الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا)، ولم يقل: لم يصبه الشيطان، قال: **(لَمْ يَضُرَّهُ)**، قد يصيبه لكن لا يضره.

فمن أسباب صلاح الأبناء التسمية عند وقاع النساء، ومن أسباب فساد الأبناء عدم التسمية، ولذلك نلاحظ كثيرا من الأبناء الآن على ضياع على فساد، والسبب أن الشيطان قد شارك فيهم، بغض النظر عن طريقة مشاركته، ولو لم يكن إلا بالوصول إليهم لإفسادهم؛ لأنه لم يحرز من وصول الشيطان.

٢٤٦ - باب مَا يقوله عِنْدَ نومه واستيقاظه

١٤٤٦ - عن حُذَيفَةَ، وأبي ذرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأموتُ»، وَإِذَا اسْتَيقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

لو لم يكن إلا هذا الحديث تحفظه، مع أنه سيأتي أحاديث أخر، (بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأموتُ)، وإذا قمت: (الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ)، والنوم موتة صغرى.

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢) عن حذيفة، و (٦٣٢٥) عن أبي ذر.

٢٤٧ - باب فضل حِلَقِ الذكر والندب إلَى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

الشرح:

ومن حلق الذكر: الدروس العلمية، بل هي أفضل من دروس المحاضرات، وإن كانت المحاضرات مفيدة إلا أن الدروس أفضل، فأنا أحرج على المتخلفين أن لا يتخلفوا، أخشى عليهم من عقوبة من الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن التخلف عن دروس أهل العلم لا سيما من طالب قد التحق بالمركز خيانة لهذا الدار، خيانة، والخائن لا يفلح، إلا واحد معذور، فلا نحرج عليه، المعذور معذور، كل حجيج نفسه، لكن أن يتخلف بدون عذر.

(﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾) أمر من الله لنبيه ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [سورة الكهف: ٢٨]، ألا تأخذ بهذا الأمر وتلازم هؤلاء الأخيار الذين لازموا أحسن البقاع؟

١٤٤٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَم -: مَا يقولُ عِبَادي؟ قَالَ: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فيقول: هَلْ رَأَوْنِي؟ فيقولونَ: لا واللهِ مَا رَأَوْكَ، فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، فَيَقُولُ: فماذا يَسْألونَ؟ قَالَ: يقُولُونَ: يَسْألُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْها؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يقول: فكيفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لَوْ أَنَّهُمْ

رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وأشدَّ لَهَا طَلَبًا، وأعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولون: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فيقولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ مَا رَأَوْهَا، فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ ! قَالَ: يقولون: لَوْ رَأَوْهَا كانوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فيقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم، قَالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهم فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلمٍ عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إن للهِ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فإذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ -وَهُوَ أَعْلَمُ -: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ في الأَرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لا، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فكيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: ويستجيرونك، قَالَ: ومِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَاري؟ قالوا: لا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: وَيَسْتَغفِرُونكَ؟ فيقولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فيقولون: ربِّ فيهمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فيقُولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَومُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

الشرح:

كان هنا بعض طلبة العلم نسأل الله لنا وله الهداية، بدأ يتخلف عن الدروس بحجة: أنه لا يفهمها، فإذا به مسكين ضاقت عليه الأمر ورحل.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

فأنا ناصح لطلاب العلم أن يلازموا الدروس؛ حتى لا يُصرفوا ويحال بينهم وبين ما أملوا المجيء إليه، لو لم يكن إلا تكثير السواد، لو لم يكن إلا لهذا **(هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)**، والذي ما يحضر سيبقى في أحسن الأحوال عند امرأته، ربما تارة غيبة، وتارة كذا، وتارة أخذ، وتارة عطاء، ما بالك بمن في أسوأ من هذا؟ نسأل الله السلامة والعافية.

فهذه المجالس من أسباب استجابة الدعاء، وهذه المجالس من أسباب مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، وهذه المجالس من أسباب التجاوز عن تفريط العباد وتقصيرهم، فلا نفرط فيها، نعمة هذه نعمة، والنعمة إذا شُكرت قرّت، وإذا كُفرت فرت.

والإنسان على ما تعود إذا أدنى فتور يقول: والله الليلة أرتاح سيجلس هكذا يجرجر نفسه إلى التخلفات، لكن إذا قال: والله أني متعب، أرتاح إن شاء الله في الحلقة العلمية، سيجد نفسه أنه إلى تطور، إلى خير، إلى رقي، أيش تظنون؟

والله بعض الليالي أتمنى أني ما أدرس، يكون في نفسي هكذا أقول: أصلي وأخرج، ما أريد أدرس، متعب مرهق، لكن حين أطلع على الكرسي يجعل الله بركة، وأحمد فعلي الذي فعلته.

فالإنسان قد يُشغل، قد يقلق، قد ينصب، قد يتعب، لكن هذه وظيفتنا، الذي وظيفة في الدولة تجد وظيفته يبكر كل يوم ولو كان متعبا، الذي وظيفته في المدرسة يبكر كل يوم ولو كان متعبا، صاحب الدكان في دكانه ولو كان مرهقا، كل واحد في وظيفته.

فأنت وظيفتك يا طالب العلم في العلم، إلا أن تكون مشغولا، ما وجدت وقتا لقضاء شغلك إلا في هذا الوقت، قد تُعذر، ما بقي إلا حفالة كحفالة الشعير، وإلا

الناس برجت عهودهم، وتغيرت طباعهم، وفسدت عقائدهم، إذا صرنا مثلهم لا نحزن على فراق هذه المجالس لا خير فينا.

١٤٤٨ - وعنه وعن أَبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

ومما يدل على حف الملائكة: الطمأنينة التي يشعر بها الجالس في هذه المجالس، انظر لو أنت في أي مجلس تخرج إلى البحر الساحل تقول: أتفرج، قليلا إلا وأنت ضيق تقول: أرجع، يخرج بعضهم إلى الحديقة يريد يتنفس، يضيق ويروح، يجلس في البيت يضيق.

وهذه المجالس سبحان الله نجد السكينة فيها، والطمأنينة والراحة، والفتح، والله فيها فتح عظيم لا يعرف ذلك إلا من تدبر، يعني ربما لو طُلبت منك نصيحة ما تستطيع تأتي بها، وإذا جلست بين إخوانك وبين طلابك ما شاء الله يجعل الله بركة.

(وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) أنت جالس والله يذكرك في الملإ الأعلى، يذكرك بالذكر الحسن، والملائكة حملة العرش يسبحون الله ويستغفرون لك، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة غافر: ٧]، فإذا كان استغفارهم للذين آمنوا عاما فأنت تدخل دخولا أوليا في استغفارهم.

---

(١) حديث رقم: (٢٧٠٠).

١٤٤٩ - وعن أَبي واقدٍ الحارث بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ والنَّاسُ مَعَهُ إذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ واحِدٌ، فَوَقَفَا عَلَى رسولِ الله ﷺ، فأمَّا أَحَدُهُما فَرَأَى فُرْجةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأَمَّا الثَّالثُ فأدْبَرَ ذاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فآوَاهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الآخَرُ فاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وأمّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أبو واقد الحارث بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الليثي.

انظروا إلى هذا الفضل العظيم لحضور مجالس الذكر، يأويك الله، وإذا تحرجت من الدخول استحيا الله منك، وإذا آواك الله واستحيا منك نالك منه الفضل العظيم والخير الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والذي أعرض أعرض الله عنه، ومن أعرض الله عنه ناله الشر والنقص.

١٤٥٠ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خرج معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ. قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذاك؟ قالوا: مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ، قَالَ: أما إِنِّي لَمْ اسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسولِ الله ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَديثًا مِنِّي، إِنَّ رسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ؛ عَلَى مَا هَدَانَا للإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟» قالوا: واللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ولكِنَّهُ أَتَانِي جِبرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

يباهي الله عَزَّوَجَلَّ بالملائكة أهل عرفة، ويباهي الله بالملائكة هذه المجالس الطيبة.

وفيه حرص الصحابة والتابعين على مجالس الذكر والخير.

وفيه فضيلة شكر الله عَزَّوَجَلَّ على نعمه، ومنها: الهداية للإسلام والمنة به، فلا نعمة أفضل وأزكى منها، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣]، لأنها نعمة بها صلاح الدنيا والآخرة، بقية النعم مفيدة، لكن هذه النعمة بها صلاح الدنيا والآخرة، نعمة الإسلام.

(١) حديث رقم: (٢٧٠١).

٢٤٨ - باب الذكر عِنْدَ الصباح والمساء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥].

قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: (الآصَالُ): جَمْعُ أصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ العَصْرِ وَالمَغْرِبِ.

وقال تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ [سورة طه: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾ [سورة غافر: ٥٥].

قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: (العَشِيُّ): مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وغُرُوبِهَا.

وقال تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ **[سورة النور: ٣٦-٣٧] الآية.**

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [سورة ص: ١٨].

الشرح:

وذكر الصباح يكون من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذكر المساء يكون من بعد دخول وقت العصر إلى غروب الشمس، وقيل: من بعد الظهر، أهم شيء اذكر الله وحافظ على ذكره.

(﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾) الغدو: الصباح، والآصال: من بعد الظهر، ويدخل فيه الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

(﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾) سواء الصلاة المفروضة، أو الأذكار.

(﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾) ولذلك تروح عليهم أنعامهم في الجنة أكثر بكرة وعشيا؛ لأنها أوقات العبادة.

(مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وغُرُوبِهَا) لو أتيت بأذكار المساء من بعد الظهر لنالك الفضل.

الكفار يعبدون أصنامهم في العشي والإبكار، والمؤمنون يعبدون ربهم في العشي والإبكار، فاملأ وقتك بطاعة الملك الغفار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٤٥١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ) يعني في دقيقة ونصف بالكثير تستطيع أن تأتي بهذا الذكر.

١٤٥٢ - وعنه، قَالَ: جَاءَ رجلٌ إِلَى النبيّ ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ الله مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّك». رواه مسلم[2].

الشرح:

قلها مرة، وإن شئت ثلاثا كما جاء خارج الصحيح، تسلم من لدغ العقارب، وإن أصابتك العقرب تسلم من ضررها، وهكذا ضر غيرها من المضرات، (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) من الجن والإنس، بل من شر نفسك، من شر زوجتك، من شر ولدك، من شر جارك، من شر عدوك، من شر صديقك.

---

(١) حديث رقم: (٢٦٩٢).

(٢) حديث رقم: (٢٧٠٩).

(أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) الآن كثير من الناس يشكون من العيون، يشكون من المس، يشكون من الحسد، يشكون من السحر، السبب البعد عن هذه الأذكار، السبب عدم التحرز، عدم التحصن، الحصن الحصين في ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، كما ضرب له رسول الله ﷺ بذلك مثلا: «فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج بعده العدو سراعا، فدخل في حصن وقال» ذكر الله.

١٤٥٣ - وعنه، عن النبيّ ﷺ أنَّه كَانَ يقولُ إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ». وإذا أمسَى قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»[(١)]. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[(٢)].

١٤٥٤ - وعنه: أنَّ أَبَا بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رسول الله مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وإذا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ»[(٣)] قَالَ: «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وإِذَا أَمْسَيْتَ، وإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٤)].

الشرح:

زاده موطنا، سأله أن يعلمه ذكر الصباح والمساء فزاده عند المضجع، حديث عظيم، فيه الاستعاذة من شر الشيطان وشرك الشيطان.

---

(١) وفي رواية: «وإليك المصير».

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١).

(٣) وفي رواية: «وشَرَكِهِ».

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢).

١٤٥٥ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ نبيُّ الله ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وأَمْسَى المُلْكُ للهِ، والحَمْدُ للهِ، لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، قَالَ الراوي: أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي القَبْرِ»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيضًا: «أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

فهي أذكار مع أنها جامعة للأدعية فيها خير عظيم، أذكار وأدعية، جامعة لدعاء المسألة ودعاء العبادة، فأنت إذا طبقت هذا تستعيذ بالله من النار في كل صباح، تستعيذ بالله من عذاب القبر في كل صباح، تستعيذ بالله من الكسل وسوء الكبر، أشياء هي مارة عليك إن لم يسلمك الله منها.

ففرغ من وقتك يا أخي خمس دقائق، عشر دقائق، ساعة، حتى تحفظ هذه الأذكار، ثم تعبد لله بها الدهر، هب أنك ما تستطيع تجلس بعد الفجر في المسجد، ألقها وأنت تمشي من المسجد إلى بيتك، أو خارج لصلاة الفجر قلها من البيت إلى المسجد، وهكذا في العصر.

(١) حديث رقم: (٢٧٢٣).

١٤٥٦ - وعن عبد الله بن خُبَيْب - بضم الخاء المعجمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رَسولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ: قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ حِيْنَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ تَكْفيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[١].

١٤٥٧ - وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ في صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلَا في السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ إِلاَّ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[٢].

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، يحسنه كثير من أهل العلم، وفيه اختلاف، فمن رأى أن يأخذ بتحسين من حسنه من العلماء كالألباني وشيخنا يحيى الحجوري ومن إليهم لا حرج عليه، ومن رأى أنه لا يثبت له ذلك، ويقرأ ما ثبت.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) و (٥٠٨٩)، والترمذي (٣٣٨٨)، هو مخرج في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رحمه الله، والمحقق هنا يقول: ضعيف، على ما أذكر كأنه من رواية أبي الزناد عن أبيه، ورواية أبي الزناد عن أبيه أحسن من غيرها.

٢٤٩ - باب مَا يقوله عِنْدَ النوم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ **[سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١] الآيات.**

١٤٥٨ - وعن حُذَيْفَةَ، وأبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِراشِهِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وأَمُوتُ». رواه البخاري[1].

١٤٥٩ - وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ ولِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - أَوْ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، واحْمِدا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ»، وفي روايةٍ: التَّسْبيحُ أرْبعًا وثلاثينَ، وفي روايةٍ: التَّكْبِيرُ أرْبعًا وَثَلَاثِينَ. متفق عَلَيْهِ[2].

الشرح:

«خير لكما من خادم»، ذكر شيخ الإسلام: أن مثل هذا الذكر يقوى به الإنسان حسيا، فضلا عن القوة المعنوية، فضلا عن كثرة الحسنات التي فيها، كما في حديث عبد الله بن عمر بن العاص: فإن له ألف وخمسمائة حسنة، ألف وخمسمائة حسنة في أذكار الصلاة، وألف حسنة في أذكار النوم.

---

(١) انظر الحديث (١٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧).

١٤٦٠ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ» متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

هذا من الهدي النبوي، قد يخلفك على فراشك عقرب، قاعد يطلع عليها ثعبان، قد يقع عليها ولو نملة، أو حتى إبرة، فبنفضك للفراش تسلم إن شاء الله، ثم تأتي بهذا الدعاء.

١٤٦١ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بالمُعَوِّذَاتِ، ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ. متفق عَلَيْهِ.

وفي رواية لهما: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرأَ فيهِما: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» ثُمَّ مَسَحَ بِهِما مَا استطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بهما عَلَى رَأسِهِ وَوجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. متفق عَلَيْهِ(٢).

قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: (النَّفْثُ) نَفْخٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيقٍ.

الشرح:

عندك ثلاثة: عندك (نفخ) وهو: الهواء، إخراج الهواء من الفم، و (نفث) وهو: إخراج الهواء مع رذاذ من الريق، وعندك (بصاق) وهو: إخراج الريق بدون هواء.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٧) و(٦٣١٩)، ومسلم (٢١٩٢).

١٤٦٢ - وعن البراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَتَيتَ مَضْجعَكَ فتَوَضَّأْ وَضُوءكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَن، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوضْتُ أَمْرِي إليكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرهْبَةً إليكَ، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إليكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فإنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ» متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وقد تقدم، حديث عظيم، فيه الاستسلام، فيه اللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فيه غير ذلك.

١٤٦٣ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ». رواه مسلم[2].

الشرح:

حديث جامع، تحمد الله على ما أطعمك طول النهار، وسقاك طول النهار، وكفاك به من المكفيات، من ظل، من مركب، من مرقد، من زوجة، من ولد، من علم، من غير ذلك، (فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ)، وأيضا تحمد الله على أن آواك إلى مسكنك.

---

(١) انظر الحديث (٨٠).

(٢) حديث رقم: (٤٧١٥).

١٤٦٤ - وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

ورواه أَبُو داود من رواية حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيهِ: أنه كَانَ يقوله ثلاث مراتٍ[2].

الشرح:

حديث عظيم، ذكر ودعاء، والله لو استجاب الله لك هذه الدعوة أنها لا تريد غيرها.

(اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ): سلمني من عذابك، سلمني من أهوال القيامة، سلمني من النار، سلمني من أهوال الصراط.

وجاء أيضا: أنه يقوله إذا انصرف من الصلاة، لكن بعضهم قد أعله.

(١) حديث رقم: (٣٣٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٤٥).

كتاب الدعوات

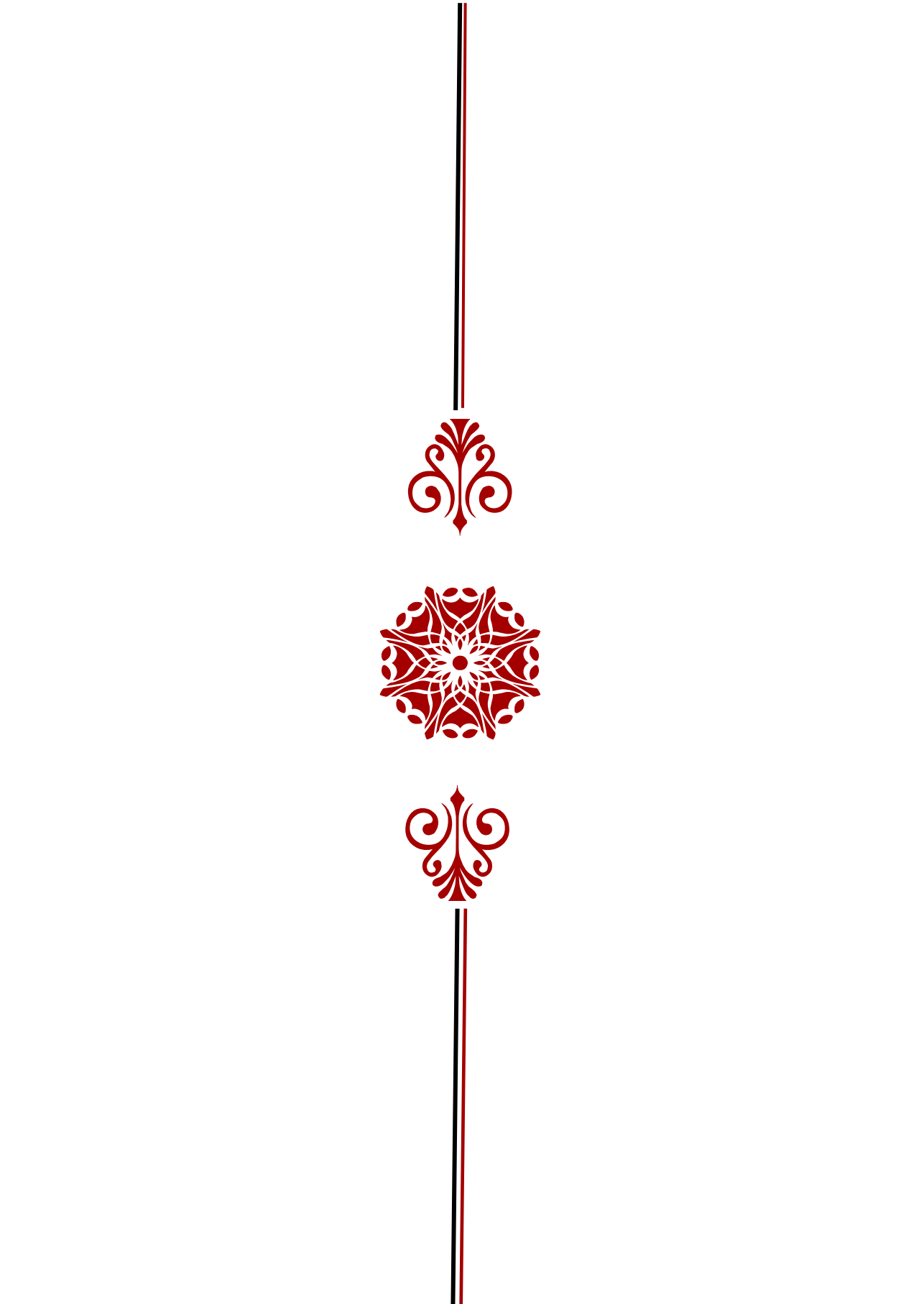

كتاب الدعوات

وهو الكتاب السابع عشر من هذا الكتاب، والمراد بالدعوات: الدعوات المأثورات عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، التي يُدعى الله عَزَّوَجَلَّ بها لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، وللحفظ والكلاءة والسلامة، ولصلاح الحال والمآل.

فلا أعظم من سبب الدعاء، فإنه عبادة موصلة إلى المطلوب، سلاح تنتصر به بفضل علام الغيوب، سبب يوصلك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تدعو قريبا مجيبا، «**أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»، مع أنه على عرشه، قد استوى عليه، بائن من خلقه.

الدعاء دمر الله به أمما، وأفنى الله عَزَّوَجَلَّ به جيوشا، وسلم الله به أمما وجيوشا، دعوات غيرت التاريخ، دعوة نوح أهلكت من على وجه الأرض، إلا من ركب السفينة، ودعوة موسى أغرق الله عَزَّوَجَلَّ بها فرعون وقومه، ودعوة محمد ﷺ في حفظ المؤمنين ليلة بدر هُزمت بها قريش، ونُصر بها محمد صلى الله عليه وسلم، ودعوة ذي النون أخرجه الله عَزَّوَجَلَّ بسببها من بطن الحوت، وقد التقمه في بحر لجي عظيم، ودعوة أيوب شفاه الله من مرض، ذكروا: أنه لحقه ثمانية عشر سنة.

وكم هي الدعوات التي غير الله عَزَّوَجَلَّ بها حال الناس من شدة إلى رخاء أو من رخاء إلى شدة! من سعة إلى ضيقة، أو من ضيقة إلى سعة، انظروا إلى دعوة قوم سبأ ماذا صنعت بأهلها وبمن جاء بعدهم: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ [سورة سبأ: ١٩].

إلى الآن وقوم سبإ في الآفاق، تحولت بلادهم التي كانت جنة وبلدة مباركة إلى صحراء لا يوجد فيها إلا السدر، وهو أحسنها، وهكذا يوجد فيها شيء من الأراك، ترعاه الدواب، ويوجد فيها الإثل لبناء البيوت.

بعد أن كانوا سادة العالم وقادة العالم، فسدوا بسبب هذه الدعوة، فلا أعظم من هذا السبب، إذا أعياك عدو فاستنصر عليه بالله، واستخدم الدعاء، إذا نزلت بك حاجة فارفعها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولازم الدعاء.

إذا ضاق صدرك فادع الله بانشراحه، إذا فسد ولدك فادع الله بصلاحه، إذا فسدت زوجتك فادع الله بصلاحها، إذا فسدت نفسك فادع الله بصلاحها، إذا أردت العز والتمكين فادع لنفسك ولغيرك، «**ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، يقول الملك: آمين ولك بمثل**».

٢٥٠ - باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [سورة غافر: ٦٠].

وقال تَعَالَى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٥].

وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦] **الآية.**

وقال تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [سورة النمل: ٦٢].

الشرح:

(﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾) وعد الله، فإذا تخلفت الاستجابة فلفساد في طريقتك أنت، أما الله يقول: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [سورة غافر: ٦٠]، لكن «**يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»، وأيضا ما لم يكن «**مطعمه حرام، وملبسه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟**».

(﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ﴾) تضرعا: تسمعون فيها، وخفية: لا يسمعكم أحد.

(﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾) في الدعاء، كأن تدعو على مسلم أن يسلب الله منه الإيمان، أو يظلمك أحدهم في شيء يسير وتدعو عليه بما هو أشد.

(﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾) لكن بشرط: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

١٤٦٥ - وعن النعمان بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ) سواء دعاء المسألة أو دعاء العبادة؛ لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء العبادة، مثل: الصلاة، والصيام، والحج وغير ذلك، ودعاء المسألة مثل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني.

١٤٦٦ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو داود بإسناد جيدٍ[2].

الشرح:

ولا أحسن من أدعية النبي ﷺ، انظر إلى الحديث الذي سيأتي معنا: «رب اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، وعافني»، قال: «جمعت لك دنياك وآخرتك»، «اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف والغنى»، «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»، أدعية جوامع.

وقال ﷺ: «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر هداي إلي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك ذاكرا، لك شاكرا، لك مخبتا، إليك منيبا ومطواعا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري».

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩).

(٢) حديث رقم: (١٤٨٤).

واما حديث أنس عند ابن حبان ذكر فيه ثمانية عشر مسألة: «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن، والكسل، والهرم، والكفر، والفقر، والذلة، والمسكنة، وأعوذ بك من سيء الأسقام**»، وأشياء كثيرة: «**من البرص والجذام**»، ثمانية عشر مسألة.

١٤٦٧ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَكثرُ دعاءِ النبيّ ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد مسلم في روايتهِ قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، وَإِذَا أَرادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

الشرح:

حسنة الدنيا: العلم، والعمل، وصلاح الذرية، وصلاح الجار، وصلاح الرزق، يعني حسنة عظيمة شاملة، حسنة، الحياة الحسنة، الحياة الطيبة، وتشمل العلم، والعمل، والدعوة، والخير، والسلامة، والأبناء الطيبين، والزوجات الطيبات، والأرزاق الواسعات، وغير ذلك.

(وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً) فسر بعضهم: النظر إلى وجه الله، وكذا، لكن شاملة لكل خيري الآخرة.

(وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ): سلمنا من النار.

فأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التزم بما سمعه من النبي ﷺ.

(فلا تدع على نفسك، ولا على أهلك، ولا على أحد من المسلمين بعذاب الله، وإن كنت قد أوذيت من بعضهم قل: اللهم اكفنيه بما شئت، اللهم اكفني شره، اللهم ادفع ضرره، إلى غير ذلك من الأدعية التي يرجى أن يدفع الله عَزَّوَجَلَّ بها الشر، وتسلم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

ويسلم المسلم، فإن الأمراض والأسقام تحيل بين العبد وبين طاعة الله). من "شرحي على صحيح مسلم".

١٤٦٨ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى، والتُّقَى، والعَفَافَ، والغِنَى». رواه مسلم[1].

الشرح:

(أسْألُكَ الهُدَى): الهداية إلى الإسلام، الهداية إلى العلم، الهداية إلى ما يصلحني في الدنيا والآخرة، حتى الهداية إلى الأرزاق الطيبة، الهداية إلى طريقة تربية الأبناء، الهداية إلى صلاح الحال والمآل.

(والتُّقَى): المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ في السراء والضراء.

(والعَفَافَ) بنوعيه: العفة عن الحرام، والعفة عما في أيدي الناس، والاستغناء بالله عَزَّوَجَلَّ.

(والغِنَى) «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»، ولا يمنع أن يدخل فيه الغنى الحسي، يرزقك الله عَزَّوَجَلَّ مالا، وذرية، وأرضا، وسيارة، ونحو ذلك مما يحتاجه الإنسان.

١٤٦٩ - وعن طارق بن أَشْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهؤلَاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي». رواه مسلم[2].

---

(١) انظر الحديث (٧١).

(٢) حديث رقم: (٢٦٩٧).

وفي روايةٍ له عن طارق: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ وأتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسول اللهِ كَيْفَ أَقُولُ حِيْنَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وارْزُقْنِي؛ فإنَّ هؤلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ».

الشرح:

وطارق بن أشيم ليس له في مسلم إلا هذا الحديث، وحديث آخر: «من وحد الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله».

انظر (كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ)؛ لأنها أول واجب بعد التوحيد.

(ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهؤلَاءِ الكَلِمَاتِ) يعني قبل أن يعلمه الزكاة، قبل أن يعلمه الحج، قبل أن يعلمه الصيام، قبل أن يعلمه كثيرا من الأحكام.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) أي: تجاوز عني يا رب في ذنوبي وخطاياي وسيئاتي.

(وَارْحَمْنِي) أي: وفقني يا ربي فيما يأتي.

(وَاهْدِنِي) للإسلام والإيمان، والعمل والعلم، وأيضا ثبتني، الهداية تشمل الثبات.

(وَعَافِنِي) من الأمراض الحسية، ومن الأمراض المعنوية، الأمراض الحسية: مثل السرطان، مثل السكر، مثل كذلك السل، مثل كثير من الأمراض التي يعانيها الناس، والأمراض المعنوية: مثل النفاق، مثل البدعة، مثل قسوة القلب، مثل المعاصي.

(وَارْزُقْنِي) العلم والعمل، وارزقني المال، وارزقني الجاه، وارزقني الأبناء، كلمة عامة، لأن الرزق ينقسم إلى قسمين: رزق بالحسيات، وهو: المأكل والمشرب والملبس والمركب، ورزق المعنويات: رزق الإسلام، رزق الإحسان، رزق العلم.

كثير من الناس يكون قد رزقه الله وهو ما يدري، يظن أن الرزق فقط أن يحصل له خمسين ألف في الشهر، أو مائة ألف في الشهر، أو تزيد أو تنقص، وقد رزقه الله عَزَّوَجَلَّ علما ليس عند غيره، قد رزقه الله استقامة ليست عند غيره، قد رزقه الله قيام ليل، قد رزقه الله صلاة ضحى، قد رزقه الله ذرية طيبة، قد رزقه الله جيران طيبين، قد رزقه الله خيرا عظيما.

(تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ) يعني: يصلح بها الحال والمآل.

١٤٧٠ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا أيضا من الأدعية الجوامع، إذا صرف الله قلبك على طاعته سهلت الطاعة عليك، وأحببتها، وارتحت بها، وانشرح صدرك معها، أما إذا لم يصرف قلبك على طاعته والله ما تستطيع ربما تصلي، ولا تزكي، ولا تذكر ربك، ولا تقرأ قرآنا، ولا تفعل شيئًا.

١٤٧١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». متفق عَلَيْهِ[2].

وفي روايةٍ قَالَ سفيان: أَشُكُّ أَنِّي زِدْتُ واحدةً مِنْهَا.

الشرح:

وهذا حديث أيضا فيه جوامع الدعاء.

(تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ): مما ينزل بكم ولا تتحملونه، ومنها الديون.

---

(١) حديث رقم: (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).

(وَدَرَكِ الشَّقَاءِ): أن يدركك الشقاوة، فتصير من أصحاب النار، أو تشقى حتى في دنياك وفي أخراك، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ [سورة الأعلى: ١١-١٢].

(وَسُوءِ القَضَاءِ) أي: ما ينزل بك من المصائب السيئة التي تؤذيك وترديك وتشقيك.

(وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ)؛ لأن شماتة الأعداء شديدة على النفس، أنت في مصيبة وهم يضحكون عليك، ولذلك قال هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠﴾ [سورة الأعراف: ١٥٠].

١٤٧٢ - وعنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». رواه مسلم[1].

الشرح:

أيضا في بعضها خارج الصحيح: «**اللهم بارك لي في ديني الذي هو عصمة أمري، وبارك لي في دنياي التي فيها معاشي، وبارك لي في آخرتي التي إليها معادي**»، هذا من جوامع الكلم، تدعو الله بصلاح الدين، وإذا صلح دينك صلحت دنياك وأخراك، تدعو الله بصلاح دنياك، بحيث لا تحتاج إلى الغير، بحيث تُقضى حاجتك، وتُفرج كربتك، ويعافى مريضك، ويكثر مالك، ويكثر عيالك، ويتسع دارك، ويحسن مركبك، ادع الله بصلاح الدنيا.

(وأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي): الجنة، يعد لك فيها المكان الواسع، والنزل الطيب، هذا حديث من أجمع الأحاديث.

---

(١) حديث رقم: (٢٧٢٠).

ثم قال: (وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ) إن أحييتني.

(وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) إن أمتني.

١٤٧٣ - وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وسَدِّدْنِي».

وفي رواية: «اللَّهمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى والسَّدَادَ». رواه مسلم[(١)].

الشرح:

أما الدعاء بالهداية فهو أفضل الدعاء؛ لأمور:

أولًا: ترى أن الله أوجب على كل مسلم أن يقرأ في كل صلاة بل في كل ركعة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦].

الأمر الثاني: أن النبي ﷺ كان يدعو به لنفسه كثيرا.

الأمر الثالث: أن النبي ﷺ علم الغير أن يدعو به لنفسه.

الأمر الرابع: أن النبي ﷺ علم أقاربه كعلي بن أبي طالب والحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الدعاء بالهداية.

الأمر الخامس: أن كثيرا من المنحرفين عن دين رب العالمين كان النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية فيقع منهم الإسلام والإيمان، كما دعا لأم أبي هريرة، وكما دعا لدوس.

(والسَّدَادَ) السداد في القول، السداد في الفعل.

إذا لم تجد قولًا سديدا تقوله ... فصمتك عن غير السداد سدادُ

---

(١) حديث رقم: (٢٧٢٥).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

١٤٧٤ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ».

وفي رواية: «وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». رواه مسلم[(١)].

الشرح:

هذا الحديث تضمن جملا مما يُستعاذ منه مما يؤذي الإنسان:

(أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ) ربما يعجز الإنسان عن خدمة نفسه، ربما يعجز الإنسان عن الخروج من بيته، ربما يعجز الإنسان عن قضاء حوائجه، لذلك استعاذ بالله من العجز، والعجز يشمل أنه ربما يكون مشلولا، ربما يكون كذلك مكسورا، فالإنسان يستعيذ بالله من العجز؛ حتى يسلمه الله.

(وَالكَسَلِ): الفتور، الذي قد يكون سليم الأعضاء ولكنه كسل، فيدعو الله برفع الكسل عنه.

(وَالجُبْنِ): الخوف الهالع، الخوف والفزع، الخوف من الأرزاق، الخوف من الأعداء، الخوف المتسلط على القلوب، الذي يجعل صاحبه يبقى في قلق وهم وغم.

(والهَرَمِ) يعيش حتى يحتاج إلى من يدخله الحمام، يحتاج إلى أن يلبسوه حفاظات كما كان صغيرا، فالموت أهون من أن يصل الإنسان إلى الهرم، فلذلك

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

يدعو الله أن يعيذه من الهرم، وكان يقول أيضا: «**اللهم إني أعوذ بك أن أُرد إلى أرذل العمر**».

(والبُخْلِ)؛ لأن البخل يمنع الإنسان من الإنفاق في أوجه الخير، يمنع الإنسان من التوسعة على أبنائه، يمنع الإنسان من التوسعة على نفسه، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [سورة الحشر: ٩]، البخل من أشد الأدواء، يمنع الإنسان من البذل في أوجه الخير.

(وأعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ) وهي الحياة البرزخية، نعيم للمؤمنين، وعذاب على الكافرين ومن شاء الله من عصاة المسلمين، نسأل الله السلامة والعافية.

(وأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ) فتنة المحيا: مثل الحزبيات، مثل البدع، مثل الزنا، مثل الكذب، مثل اللواط، مثل القتل والقتال، والممات: الانحراف عند الموت، سوء الخاتمة، فأنت تدعو الله بحسن الخاتمة.

(وَضَلَعِ الدَّيْنِ): شدة الدين، حتى لا يستطيع أن يقضيه، وأصحاب الدين يشددون عليه.

(وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ) ربما يحيطون بك ويغلبونك، لا تستطيع أن تدفع عن نفسك، ولا أن تنتصر عليهم بالحجة ولا بالمحجة.

١٤٧٥ - وعن أَبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه قَالَ لرسُولِ الله ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عَلَيْهِ(١).

وفي روايةٍ: «وفي بيتي»، وَرُوِيَ: «ظلمًا كثيرًا» ورُوِي: «كبيرًا» بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة، فينبغي أَنْ يجمع بينهما فيقال: كثيرًا كبيرًا.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٦)، ومسلم (٢٧٠٥).

الشرح:

نعم، انظر إلى حرص أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الدعاء؛ لعلمه بفضله ومنزلته.

(أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي) وعلمه النبي ﷺ أن يدعو به أيضا في ليله، وأن يدعو به في صباحه ومسائه.

(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا) أو كبيرا، وأي إنسان إلا وعنده؛ لأن الظلم قد يكون بترك المأمور، أو يكون بفعل المحظور، وليس بالشرط أن الظلم لا يكون إلا في الغير، قد تظلم نفسك ولم تظلم الغير، مثل تارك الصلاة ظالم لنفسه، مثل متعاطي الزنا ظالم لنفسه، مثل الكذاب ظالم لنفسه، مثل آكل المخدرات ظالم لنفسه، شارب الخمر ظالم لنفسه، وربما يدخل فيه ظلم الغير أيضا.

(وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ) ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥].

(فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ) تذهب جميع خطاياي وذنوبي وسيئاتي.

(وارْحَمْنِي) برحمتك الواسعة التي وسعت كل شيء.

(إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ): المتجاوز، (الرَّحِيمُ) الموفق، توسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ باسمه الغفور والرحيم؛ للتجاوز عنه.

١٤٧٦ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّه كَانَ يدْعُو بِهذا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩).

انظر هذا الحديث كم جمع:

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي) أي: ذنبي الذي أرتكبه.

(وَجَهْلِي) المراد به هنا: الجهل الذي يؤدي بالإنسان إلى فعل المعصية، وهكذا الجهل الذي هو فقد العلم، قد يكون الإنسان مستطيعا لتحصيل العلم ويفتر في ذلك، فيدعو بالتجاوز.

(وإِسْرَافِي فِي أَمْرِي) أي بارتكاب المعاصي والسيئات.

(وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي) يعني: اغفر لي ما علمته وما لم أعلمه.

(وَهَزْلِي): مزحي، (وَخَطَئِي وَعَمْدِي) يعني كله، تأتي على جميع الذنوب والتقصيرات.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ) من الذنوب.

(وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ) دعا الله بمغفرة الذنوب المتقدمة والمتأخرة، الظاهرة وغير الظاهرة، ثم قال: (وَمَا أَنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي).

(أَنْتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ): المحيط بكل شيء.

(وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لا يعجزك شيء.

١٤٧٧ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول في دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ومِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ». رواه مسلم[1].

الشرح:

يعني: يدعو الله أن يعيذه من جميع الشرور.

قال النووي: **قَالُوا**: مَعْنَاهُ: مِنْ شَرِّ مَا اكْتَسَبْتُهُ مِمَّا قَدْ يَقْتَضِي عُقُوبَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ يَقْتَضِي فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ.

(١) حديث رقم: (٢٧١٦).

١٤٧٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ مِن دعاءِ رسُولِ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا حديث عظيم.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ) كم من إنسان أنعم الله عليه بالزوجة، أنعم الله عليه بالولد، أنعم الله عليه بالمال، أنعم الله عليه بالعلم، أنعم الله عليه بالأمن والأمان، كل ذلك ذهب، فالإنسان يسأل الله الثبات، ويسأل الله استقرار النعمة، واستقرارها بشكرها؛ لأن النعمة إذا شُكرت قرت، وإذا كُفرت فرَّت.

(وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ) سواء العافية البدنية أو العافية الدينية.

(وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ) بحيث يفاجئه بالنقمة، لا يستطيع أن يتوب ولا يستغفر ولا يرجع.

(وَجَمِيعِ سَخَطِكَ) جميع ما يؤدي إلى أن تسخط على العبد، وإذا سخط الله على العبد فسدت دنياه وأخراه.

١٤٧٩ - وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، والبُخْلِ والهَرَمِ، وَعَذابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا». رواه مسلم[2].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٢٧٣٩).

(٢) حديث رقم: (٢٧٢٢).

وهذا حديث عظيم، من جوامع الدعاء.

(أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ) وقد تقدم الكلام عليه.

(وَالكَسَلِ، والبُخْلِ والهَرَمِ، وَعَذابِ القَبْرِ) تقدم الكلام عليه.

(اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا) يعني: ارزقني المراقبة لك في السر والعلن، بفعل المأمور وترك المحظور.

(وَزَكِّها): طهرها من الذنوب والمعاصي، وزكها بالإيمان، والأعمال الصالحة، وزكها بكل فضيلة، وزكها بالبعد عن كل رذيلة.

(أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا): أنت المتصرف فيها، خلقا، وإيجادا، وإعدادا، وإمدادا، لا حول لي ولا قوة إلا بك.

(أَنْتَ وَلِيُّهَا): ناصرها، حافظها، مؤيدها، **(وَمَوْلَاهَا)**: مالكها.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ) كم من ناس يعلم ولا ينتفع بعلمه؛ لعدم عمله به، أو علم لا نفع فيه من أصله، أو علم مضرة، كعلم النجوم، وعلم السحر والشعوذة.

(وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ): لا يتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بتعظيمه، والخوف منه، والخشية منه، وهكذا الخشوع والبكاء والتباكي.

(وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ) سواء لا تشبع من أكلها، أو لا تشبع من تطلعها إلى ما في أيدي الناس، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة طه: ١٣١].

(وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا): تبقى تدعو، تدعو، تدعو، تنتظر الفرج، ولا يستجيب الله لك، ربما هذا الأمر إذا تأخر يؤدي بك إلى القنوط والله المستعان، ويؤدي بك إلى تأخر الفرج، وإلى استمرار الشدة.

فأنت تدعو الله أن يستجيب دعوتك، وتستعيذ بالله من دعوة لا يستجاب لها، كأنك تقول: اللهم أعذني من أسباب عدم استجابة الدعاء، تستعيذ من أكل الحرام، تستعيذ من الاعتداء في الدعاء، تستعيذ من التغذية بالحرام، إلى غير ذلك.

١٤٨٠ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ».

زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ» متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا الحديث كان يقوله النبي ﷺ في قيام الليل.

(اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ) نفسي، واستسلمت وانقدت.

(وَبِكَ آمَنْتُ): أقررت، واستجبت، (وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ): اعتمدت.

(وإِلَيْكَ أَنَبْتُ): رجعت من ذنوب ومعاصي.

(وَبِكَ خَاصَمْتُ) إن خاصمني أحد، «أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل».

(وإِلَيْكَ حَاكَمْتُ) إن وقع مني خطأ أو زلل.

(فَاغْفِرْ لِي) يا رب (مَا قَدَّمْتُ) من الذنوب، (وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ) من الذنوب (وَمَا أَعْلَنْتُ)؛ لأنك (أَنتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ).

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

(وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ): لا حول لي ولا تحول من خير إلى شر ومن شر إلى خير إلا بالله، فليستعذ الإنسان من الشرور، ويستعين بالله على فعل الخير، ومسببات الحبور، والله المستعان.

١٤٨١ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيّ ﷺ كَانَ يدعو بِهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وهذا لفظ أَبي[1].

الشرح:

بل جاء في الصحيح: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر».

١٤٨٢ - وعن زياد بن عِلَاقَةَ عن عمه، وَهُوَ قُطْبَةُ بنُ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبيّ ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ، والأَهْواءِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

وفي رواية: «والأدواء»، هذا حديث عظيم.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ): كل عمل سيء تستعيذ بالله من شره.

(وَالأَعْمَالِ) أي عمل سيء، أي خلق سيء.

(والأَهْوَاءِ): البدع والخرافات، ومسببات الفتن.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٤٣)، والترمذي (٣٤٩٥).

(٢) حديث رقم: (٣٥٩١).

فهي كلمات جوامع، وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير بيديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت ربنا وتعاليت**».

١٤٨٣ - وعن شَكَلِ بن حُمَيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قلتُ: يَا رسولَ الله، علِّمْنِي دعاءً، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

انظر إلى هذا الحديث أيضا جامع، (**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي**) لا يسمع غيبة، ولا نميمة، ولا لا بهتًا، ولا كذبًا، ولا شيئًا، مما يسبب سخط الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي**): لا ينظر إلى مسببات غضب الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا إلى أفلام، ولا إلى نساء، ولا إلى تطلع لما في أيدي الناس، ولا غير ذلك.

(**وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي**) من الكلام البذيء، من السب، من القذف، من غير ذلك.

(**وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي**) من الظنون الفاسدة، والأهواء الكاسدة، والحقد، والحسد.

(**وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي**) لا يضعه إلا في زوجة، أو في ملك يمين، فيحافظ على نفسه من الزنا واللواط، والعادة السرية، وغير ذلك.

١٤٨٤ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الأَسْقَامِ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[2].

الشرح:

وقد ذكرت لكم أنه أخرجه ابن حبان بأوسع من هذا، تضمن ثمانية عشر مسألة.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢).

(٢) حديث رقم: (١٥٥٤)، وهو في صحيح شيخنا رحمه الله.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ): مرض يكون في الجسم يجعله أبيضا، لكن هذا المرض بسبب تغيرات في البطن، فيسبب ربما كثيرا من الأضرار، عدم قبول الحر، عدم قبول البرد، وعدم تحملهما، وهكذا حكة، وربما يؤثر على النظر، وعلى السمع، وغير ذلك.

(والجُنُونِ) الجنون: ذهاب العقل.

(والجُذَامِ): مرض معدي، والناس يفرون من صاحبه، حتى جاء في الحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد».

(وَسَيِّيءِ الأَسْقَامِ): الأمراض السيئة التي لا علاج لها، الأمراض السيئة التي قد تؤدي إلى بعد الناس عنك، الأمراض السيئة التي قد تكلفك العلاجات الكثيرة، والأموال الكثيرة، والديون الكثيرة، إلى غير ذلك.

فهذه أدعية جوامع، يحتاجها الإنسان في حياته العلمية، وفي حياته العملية، يحتاجها الإنسان في حضره، وفي سفره، في كبره، وفي صغره، وفي جميع شأنه.

ما على طالب العلم إلا أن يفرغ نفسه في حفظ مثل هذه الأدعية التي يحتاج أن يدعو بها في ليله ونهاره، وفي سره وجهاره، وربما إذا اعتمر يحتاج إليها كثيرا، وإذا حج يحتاج إليها كثيرا، وفي رمضان وفي أوقات الإجابة يحتاج إليها كثيرا؛ لأنك مهما أبلغت في المسألة لن تأتي بمثل أدعية النبي ﷺ الجوامع التي فيها أسباب صلاح الدنيا وصلاح الآخرة.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ): مرض يصيب الجلد فيغير لونه، وربما بدأ بالشفتين، وبعض الأصابع، والكف.

(والجُنُونِ): زوال العقل، يصير الإنسان أسوأ من البهيمة.

(والجُذَامِ): مرض تتساقط معه بعض الأطراف.

(وَسَيِّيءِ الأَسْقَامِ) كما في الحديث الآخر: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء، والأدواء»، فتدعو الله بالسلامة من أسباب الذل والمهانة، سواء كانت الأسباب حسية أو معنوية.

وهذا الحديث كما أشرت لكم حوى ثمانية عشر استعاذة، إلا أنه ذكر هنا اختصاره، إذ أن الحديث بطوله أخرجه ابن حبان.

١٤٨٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وأعوذُ بِكَ منَ الخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ».
رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

(أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ) وهو ما يأخذ الإنسان من نقص الطعام، وربما عجز الإنسان عن القيام من مكانه، وإذا كان فيه بعض الأمراض ربما مات من الجوع، ولذلك أباح الله للمضطر أن يأكل الميتة.

(فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ) ما يخليك تنام، إذا البطن ما فيه شيء ما تنام.

(وأعوذُ بِكَ منَ الخِيَانَةِ) الخيانة: ضد الأمانة.

(فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ): بئست الخصلة، بطانة الرجل هي التي تحثه على الخير وتدله عليه، أو تحثه على الشر وترشده إليه، فبطانة الخير مرغوب فيها، وبطانة شر مرغوب عنها، فإذا كان الإنسان من أهل الخيانة ما تفرح به، ما أكثر ما يجر من البلاء على نفسه وعلى غيره!.

---

(١) حديث رقم: (١٥٤٧).

١٤٨٦ - وعن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ مُكَاتبًا جاءهُ فَقَالَ: إِنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهنَّ رسُولُ الله ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

وفيه الدلالة على الخير، ودعاء الله عَزَّوَجَلَّ لرفع ما ينزل بالإنسان من البلايا والرزايا.

وفيه أن الله لا يعجزه شيء إذا استجاب لك مثل هذه الدعوات.

وفيه أن دعوات النبي ﷺ مباركات عظيمات، إذ أنه بعث بجوامع الكلم.

وفيه أن الإنسان إذا أراد الله أن يقضي دينه قضاه وإن كثر، وإذا أراد الله أن لا يقضيه لم يُقض وإن قل، وكانت ميمونة تستدين، فقيل لها في ذلك قالت: قال النبي ﷺ: «(اللهم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفها الله)».

(اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ) أي: بالرزق الحلال عن الرزق الحرام.

(وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ) الزائد من العطاء ونحو ذلك (عَمَّنْ سِواكَ)، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة البقرة: ١٠٥]، لا يعجزه شيء ولا يكرثه شيء، فالجنة فضله، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

---

(١) حديث رقم: (٣٥٦٣)، والحديث يحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي بعض رواته كلام.

والعلم فضله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٣]، والهداية فضله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور: ٢١].

١٤٨٧ - وعن عِمْرَانَ بن الحُصَينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيّ ﷺ عَلَّمَ أَبَاهُ حُصَيْنًا كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما: «اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

(اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي): يدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يلهمه ويوفقه للرشد: الصواب.

(وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي): شرور النفس والآثام، بعضهم لو قيل له: أعوذ بالله من شرك يغضب، مع أن النبي ﷺ يقول: «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا**»، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر لساني، ومن شر منيي»، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [سورة الفلق: ١-٢]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [سورة الناس: ١-٤].

شرور النفس كثير، إن لم يعذك الله منها هلكت وأهلكت، ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [سورة القيامة: ١ -٢]، ما أشد هذه النفس! النفس اللوامة تلعب بالإنسان لعب الطفل بالكرة بين يديه، إن عمل الخير لامته على فعله، وإن عمل الشر لامته على فعله، إن ترك الخير لا مته على فعله، وإن ترك الشر لامته على تركه، المهم تشغله شغل كما يقال: أعوج، ما يستقر الإنسان، يبقى في قلق بسبب هذه النفس اللوامة.

---

(١) حديث رقم: (٣٤٨٣)، في سنده شبيب بن شيبة التميمي المنقري، ضعيف، وفيه انقطاع بين الحسن وعمران، وله شاهد.

فلذلك إذا نصرك الله عليها أنت منصور؛ لأن النفس ثلاثة: لوامة، أمارة بالسوء، مطمئنة، وهي خيرها، المطمئنة: الساكنة، المرتاحة الهادئة في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، منشرحة، والأمارة بالسوء تحثك على الشر، وتحضك عليه، وترغبك فيه، واللوامة تلعب بالإنسان يمنة يسرة.

فأنت تستعيذ بالله من شر نفسك، وشرها أعظم من الشرور الخارجية؛ لأن النفس إذا فسدت تسلط عليها الأعداء الذين هم من خارجها، وإذا صلحت عجز عنها الأعداء، عجزوا، انظروا إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إني لأحسب الشيطان يفرق منك يا عمر**»، لماذا يفرق منه؟ لقوته، لعظيم إيمانه، لعظيم صدقه.

١٤٨٨ - وعن أَبي الفضل العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله عَلِّمْني شَيْئًا أَسْأَلُهُ الله تَعَالَى، قَالَ: «سَلوا الله العَافِيَةَ» فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلتُ: يَا رسولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ الله تَعَالَى، قَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول اللهِ، سَلُوا الله العَافِيَةَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

حديث عظيم هذا الحديث، والعافية قد سألها النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يسألوها: «**لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية**»، وهنا يقول: (**سَلُوا الله العَافِيَةَ**)، وفي صباحه ومسائه يقول: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية، في ديني ودنياي، وأهلي ومالي**».

هكذا أبو بكر يقول: ما أوتي أحد بعد اليقين خير من العافية.

وفيه سؤال النبي ﷺ، وسؤال العالم فيما يشكل؛ للدلالة على الخير.

---

(١) حديث رقم: (٣٥١٤).

وفيه الحرص على جوامع الدعاء.

قال: (سَلوا الله العَافِيَةَ) أي في الدنيا والآخرة، في الدين، في الدنيا، في البدن، العافية كلمة جامعة، أنت لما تقول: اللهم إني أسألك العافية كأنك تقول: اللهم عافني في سمعي، وفي بصري، وفي لساني، وفي عظمي، وفي عصبي، وفي جسمي، وفي بشري، اللهم عافني في ديني، وعافني في أبنائي، وعافني في جيراني، وعافني في مالي، وعافني في دنياي، وعافني في أخراي، فهو سؤال عظيم، فيبقى المرء يدعو الله عَزَّوَجَلَّ به يرجو الإجابة لحصل على خير.

(يَا عَبَّاسُ) ناداه باسمه، ثم قال: **(يَا عَمَّ رسول اللهِ)** ناداه بوصفه؛ ليكون أوقع في القبول، **(سَلُوا الله العَافِيَةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ)** العافية في الآخرة: السلامة من عذاب القبر، السلامة من فتنة القبر، السلامة من عذاب النار، السلامة من أهوال القيامة.

١٤٨٩ - وعن شَهْرِ بن حَوشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يَا أُمَّ المؤمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دعاءِ رَسُولِ الله ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قالت: كَانَ أَكْثَرُ دُعائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

وفي هذا دليل على أن الإنسان لا يأمن على نفسه مهما بلغ في عبادته، مهما بلغ في علمه، مهما بلغ في خيره، فإن القلوب بأن أصبعين من أصابع الرحمن، يصرفها كيف يشاء.

---

(١) حديث رقم: (٣٥٢٢)، هذا ضعيف، في سنده شهر بن حوشب كما ترى، لكن يشهد له حديث عائشة عند أحمد، وحديث النواس عند أحمد وابن ماجه، وفي مسلم عن عبد الله بن عمرو: «يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

١٤٩٠ - وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «كَانَ مِنْ دُعاءِ دَاوُدَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَأَهْلِي، وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

ومع ذلك إذا رزقك الله عَزَّوَجَلَّ حبه وحب ما يحبه أنت في خير عظيم، وحب الأعمال الصالحة، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [سورة غافر: ٧-٨].

وفيه فضيلة الماء البارد، يذهب العطش، ويروي، خلاف الماء الحار، وإن كان كثير من الأطباء ينصحون بالماء المعتدل، وبعضهم ينصح بالماء الحار المتوسط الحرارة، لا سيما في الصباح.

لكن الصحيح أن الماء البارد أمرأ وأروى للجسم، ولذلك كان الحوض أبرد من الثلج؛ لأنه يذهب العطش، أما الماء الحار تبقى تشرب، تشرب، تشرب، ولا تجد له أثرا، والله المستعان.

١٤٩١ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَلِظُّوا بِـ (يَاذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ)». رواه الترمذي، ورواه النسائي من رواية ربيعة بن عامِرٍ الصحابي، قَالَ الحاكم: حديث صحيح الإسناد[(٢)].

---

(١) حديث رقم: (٣٤٩٠)، في سنده عبد الله بن ربيع الدمشقي، مجهول، فهذا حديث لا يثبت.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٢٥) عن أنس، وأخرجه النسائي في (الكبرى) (٧٧١٦)، والحاكم ١/ ٤٩٨ - ٤٩٩) عن ربيعة، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(أَلِظُّوا): بكسر اللام وتشديد الظاء المعجمة، معناه: الزَمُوا هذِهِ الدَّعْوَةَ وأَكْثِرُوا مِنْهَا.

الشرح:

يعني: تكثر من قولك: يا ذا الجلال والإكرام، اغفر لي، ارحمني، اهدني، ارزقني، ثبتني، وفقني، سددني.

(يَاذا الجَلَالِ والإكْرام) أي: يا صاحب الجلال: العظمة، والإكرام: صفة الكرم والجود والإحسان.

وهكذا كان كثير دعاء النبي ﷺ: «يا حي يا قيوم»، حتى قيل: بأنه الاسم الأعظم.

١٤٩٢ - وعن أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دعا رسُولُ الله ﷺ بدُعاءٍ كَثِيرٍ، لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا؛ قُلْنَا: يَا رسول الله، دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: «ألا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ محمَّدٌ ﷺ، وأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وأنتَ المُسْتَعانُ، وَعَلَيْكَ البَلَاغُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

وفيه كثرة دعاء النبي ﷺ؛ لعظيم فضل الدعاء، ولعظيم منزلته.

(قُلْنَا: يَا رسول الله، دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا) لكن قد يجعل الله عَزَّوَجَلَّ للإنسان جوامع.

(ألا أدُلُّكُمْ): أخبركم.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ محمَّدٌ ﷺ) من خير، والنبي ﷺ سأل بأسئلة كثيرة.

---

(١) حديث رقم: (٣٥٩١)، في سنده ليث بن أبي سليم، ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله، وجاء عن عائشة بدون قوله: «وأنت المستعان». أفاده المحقق.

(وأنتَ المُسْتَعانُ) ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٨].

(وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ) عظيمة هذه الكلمة، كنز من كنوز الجنة، حافظ عليها، لا تفرط فيها، ومع ذلك إذا حافظت على بعض الأذكار وأنت تقولها سبحان الله دون تكلف!.

لو كنت تردد خلف المؤذن في الستة الأذانات في اليوم والليلة كم ستقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ ثمانية وأربعين مرة، كل أذان ترددها أربع مرات، حي على الصلاة: لا حول ولا قوة إلا بالله، مرتين، حي على الفلاح: لا حول ولا قوة إلا بالله، مرتين.

وهكذا دبر كل صلاة: «**لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله**»، الحديث، خمس مرات.

وهكذا إذا خرجت من بيتك: «**بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»، كلما خرجت، لا يلزم السفر، إذا خرجت، وهكذا في مواطن تأتي بلا حول ولا قوة إلا بالله، وتؤجر إن شاء الله.

١٤٩٣ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: كَانَ من دعاءِ رسُولِ الله** ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ**». **رواه الحاكم أَبُو عبد الله، وقال: حديث صحيح عَلَى شرط مسلمٍ**[1].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٥)، في سنده حميد الأعرج الكوفي القاضي، متروك، وهو ضعيف جدًّا، وقد ضعفه الشيخ الألباني في (الضعيفة).

٢٥١ - باب فضل الدعاء بظهر الغيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [سورة الحشر: ١٠].

وقال تَعَالَى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [سورة محمد: ١٩].

وقال تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [سورة إبراهيم: ٤١].

الشرح:

(﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾) أي الذين جاؤوا بعد الصحابة.

(﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾) لك أجر، «**آمين ولك بمثل**».

أرسل بعضهم بسؤال قال: لماذا إبراهيم دعا لأمه وهي كافرة؟ قلنا: من أخبرك أنها كافرة؟ ما هو داعي لها إلا وهي مؤمنة، أبوه لما كان كافرا نهاه الله عن الدعاء له، ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [سورة التوبة: ١١٤]، أما الأم لعلها مؤمنة إن شاء الله، ما عندنا ما يدل على كفرها.

١٤٩٤ - وعن أَبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنَّه سَمِعَ رسولَ الله** ﷺ **يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يدعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إِلاَّ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ». رواه مسلم**[1].

الشرح:

ما أعظم هذا الحديث! وما أعظم الدعاء للأخ بظهر الغيب! لكن الإنسان قد يكسل، وإلا تدعو لأخيك بالثبات أنت تدعو لنفسك، تدعو له بالرزق أنت تدعو

(١) حديث رقم: (٢٧٣٣).

لنفسك، تدعو له بالعلم أنت تدعو لنفسك، تدعو له بالذرية أنت تدعو لنفسك، تدعو له بكل خير أن تدعو لنفسك، بل إن دعاءك أرجى أن يُجاب، مستجابة، يعني عند رأسه ملك موكل يقول: آمين، ولك بمثل.

١٤٩٥ - وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: «دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ». رواه مسلم[1].

(١) حديث رقم: (٢٧٣٣).

٢٥٢ - باب في مسائل من الدعاء

١٤٩٦ - وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

يجزئ عنه حديث ابن عمر: «من صنع إليكم معروفا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»، ومع ذلك إذا فُعل إليك المعروف قل: جزاك الله خيرا، لا حرج، من أدلة أخرى.

١٤٩٧ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَموَالِكُمْ؛ لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

هذه من المسائل المهمة، كثير من الناس يدعو على ابنه، على زوجته، على ماله، بأدنى سبب، وما يدري لعله أن يستجاب له، فترفع النعمة من بين يديه، قد يموت ولده، قد يخسر تجارته، قد يفقد زوجته، أو قد يلحقهم من المرض والتعب والنصب ما يؤدي إلى فساد حاله، وإلى قلة ماله، فبدل أن تقول: أخذك الله قل: سلمك الله، هداك الله، وفقك الله، ثبتك الله، أعانك الله، أصلحك الله.

---

(١) حديث رقم: (٢٠٣٥)، بل حديث ضعيف، قال أبو حاتم: هذا حديث موضوع، قال البخاري: منكر، وهو في (أحاديث معلة ظاهرها الصحة) لشيخنا مقبل.

(٢) حديث رقم: (٣٠٠٩).

فكثير من الأبناء يفسدون بسبب دعاء الآباء، مع أن من أسباب استجابة الدعاء دعاء الوالد لولده، ودعاء الأم لولدها.

وفيه أن لله فضائل في بعض الأوقات أكثر من بعضها.

١٤٩٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا فيه رد على من يزعم أن السماء قبلة الدعاء، فهنا أجوب الأدعية تكون والإنسان مستدبرا للسماء، (أَقْرَبُ مَا يكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) في حديث ابن عباس: «فقمن أن يستجاب لكم».

ففي الصلاة من مواطن استجابة الدعاء: ما بين تكبيرة الإحرام والفاتحة، وهكذا الدعاء الذي في الفاتحة، وهكذا في الركوع، وهكذا عند القيام من الركوع، وهكذا في السجود، والجلوس بين السجدتين، وقبل الانصراف، كله أوقات استجابة.

١٤٩٩ - وعنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ: يقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي، فَلَمْ يسْتَجب لِي» متفق عَلَيْهِ[2].

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «لا يَزالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإِثْمٍ، أَوْ قَطيعَةِ رحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»، قيل: يَا رسولَ اللهِ مَا الاستعجال؟ قَالَ: «يقول: قَدْ دَعوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يسْتَجِبُ لِي، فَيَسْتحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».

الشرح:

(١) انظر الحديث (١٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

إذًا أردت أن تستجاب دعوتك فاحذر من الاعتداء في الدعاء، واحذر من الاستعجال، واحذر من الدعاء على ولدك ومالك وأهلك، ومن صنع إليك معروفا فادع له، تجازيه على معروفه.

(فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ) يعني: يقع عنده إساءة ظن بالله، ويكسل من الدعاء، لا تيأس من روح الله أبدا، لعل دعوة يغير الله بها من حالك، لا تيأس، العلم ادع الله به، يرزقك علما، لا يعجزه أن يهيأ لك سبل حفظ القرآن والسنة والعمل بهما، الزوجة، الولد، المال، كف الشرور والأعداء، أهم شيء لا تتجاوز، لا تدع بإثم أو قطيعة رحم.

١٥٠٠ - وعن أَبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قيل لِرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

المراد (دُبُرَ الصَّلَواتِ): قبل السلام، ليس المراد بدبر الصلوات بعد السلام، وهذا الذي عليه الشيخ ابن عثيمين وجمع من أهل العلم: ما كان من الأذكار تسبيح تحميد تكبير تهليل هذا بعد السلام، ما كان من دعاء هذا قبل السلام، وهو الأصل.

وأما الدليل على أن جوف الليل الآخر من أسباب استجابة الدعاء حديث النزول: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، يقول: من يسألني فأستجيب له؟ ومن يستغفر فأغفر له؟ ومن يدعوني فأستجيب له؟ ون يسألني فأعطيه» الحديث.

وأيضا حديث عمرو بن عبسة: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر».

---

(١) حديث رقم: (٣٤٩٩).

١٥٠١ - وعن عُبَادَةَ بنِ الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللهُ إِيَّاها، أَوْ صَرفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَومِ: إِذًا نُكْثِرُ قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

ورواه الحاكم من روايةِ أَبي سعيدٍ وزاد فِيهِ: «أَوْ يَدخِرَ لَهُ مِن الأَجْرِ مثْلَها».

الشرح:

(مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ) أما الكافر وإن استجاب الله بعض دعائه لكن لا يؤجر على دعائه، أما المسلم يؤجر على دعائه، وقد يستجيب الله له الدعوة، وقد يصرف عنه من الشر مثلها، وقد يدخر له الأجر على الدعاء، إذًا ما عليك إلا أن تكثر، والله أكثر.

فإذًا لا يلزم من استجابة الدعاء أن يقع ما طلبت، استجابة الدعاء له ثلاث حالات: إما أن يقع ما طلبت، وإما أن يصرف عنك من الشر مثل ما طلبت، وإما أن تدخر لك الحسنات إلى يوم القيامة، فهذا كله استجابة للدعاء.

١٥٠٢ - وعن ابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» متفق عَلَيْهِ[2].

الشرح:

هذا حديث عظيم، من أدعية الكرب، وهكذا حديث عائشة: «الله الله لا أشرك به شيئا»، وهكذا حديث ابن مسعود: «اللهم أسألك بكل اسم هو لك»، الحديث، أخرجه الحاكم.

---

(١) حديث رقم: (٣٥٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

(لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ): التوحيد.

(العَظِيمُ) في ذاته، العظيم في ملكه، العظيم في أفعاله، العظيم في صفاته.

(الحَلِيمُ) لا يعاجل عباده بالعقوبة.

(لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ): الواسع الكبير.

(لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ) هذا ظاهره الذكر، متضمن للدعاء، فأنت تتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بألوهيته وبربوبيته لهذه المخلوقات العظيمات أن يجلي همك ويكشف كربك، وأن يصلح حالك ومآلك، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

٢٥٣ - باب كرامات الأولياء وفضلهم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٣].

وقال تَعَالَى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝٢٦﴾ [سورة مريم: ٢٥-٢٦].

وقال تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران: ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦ * وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [سورة الكهف: ١٦-١٧].

الشرح:

(﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾) هذا هو تعريف الولي باختصار: من كان لله تقيا كان لله وليا، فالولي هو المؤمن التقي، ولا تُنال الولاية إلا بذلك.

(﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾) مما سلف من شأنهم، أو مما يقدم عليهم.

(﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) على ما فاتهم، وكأن إجابة السؤال: من هم الأولياء؟ (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾)؛ حتى لا يدعي الولاية من ليس منها، زد

على ذلك (﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) بالنصر والعز والتمكين، وحسن الحال والمآل.

(﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾) بالسلامة من العذاب المهين، والرفع للدرجات العلا.

(﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾) الكونية، هذه كلمة كونية، هذا حكم كوني، أن أولياء الله لا خوف عليه ولا هم يحزنون، وأيضا لا تبديل لكلمات الله الشرعية في وعده، إلا ما كان من الأحكام فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينسخ ما شاء بما شاء.

(﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾) الذي يتحصل عليه الأولياء.

(﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾) هذا دليل على كرامات الأولياء، وذلك أنها نخلة كبيرة، ما عسى هزها أن يعمل بها؟ لكن هو سبب، فالأمور تُربط بمسبباتها.

(﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾) يعني: رطب، ليس بتمر يابس يتعبها في أكله.

(﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾) كلي من التمر، واشربي من الماء السائل من السري.

(﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ﴾) زكريا نبي من أنبياء بني إسرائيل، كان زوجا لخالة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

(﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾) هذا من كرامات الأولياء.

(﴿* وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾) هذا أمر رحمة الله بهم، وهذا من كرامات الأولياء، عاشوا ثلاثمائة وتسع سنين، لم يأكلهم قمل، ولا ذر، ولا نمل، ولا حيوان، ولم تتأثر أبدانهم، أنت الآن لو خرجت بين الشمس يوما تهلكك، يتغير لونك، وأنت بينها من الصباح إلى

الليل ربما تمرض، ولو بقيت في الظل أياما تتعب وتنصب، وهؤلاء هيأ الله لهم من أمرهم مرفقا، في ليلهم وفي نهارهم، وهذا من أعظم كرامات الأولياء.

ومع ذلك تجد أن المعتزلة ومن إليهم ينكرون كرامات الأولياء، يقولون: لو أثبتنا كرامات الأولياء؛ لالتبس الأمر مع خرافات الأشقياء، وهذا من سوء قولهم واعتقادهم، وإلا فكرامات الأولياء في القرآن وفي السنة.

فإخراج يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ من بطن الحوت كرامة، كرامة عظيمة، وأعظم كرامة كما قال شيخ الإسلام: دوام الاستقامة، وهكذا شفاء أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كرامة، وهكذا تسخير الريح لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كرامة، وكم هو باب عظيم واسع!

١٥٠٣ - وعن أبي محمد عبد الرحمان بن أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ**»، أَوْ كما قَالَ، وأَنَّ أَبَا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، وانْطَلَقَ النبيّ ﷺ بعَشَرَةٍ، وأَنَّ أَبَا بَكرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النبيّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ، فجاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ، قالت امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قالت: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَذَهَبتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، فَقالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وقالَ: كُلُوا لَا هَنِيئًا وَاللهِ لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، قَالَ: وايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إلا ربا من أسفلِها أكثرَ منها حتى شبعوا، وصَارَتْ أكثرَ مما كانَتْ قبلَ ذلكَ، فنظرَ إليها أبو بكر فقالَ لامرأتِهِ: يا أختَ بني فراسٍ ما هذا؟ قالت: لا وقُرَّةِ عيني لهي الآنَ أكثرُ منها قبلَ ذلكَ بثلاثِ مراتٍ! فأكل منها أبو بكرٍ وقال: إنَّما كانَ ذلكَ مِنَ الشيطانِ، يعني: يمينَهُ، ثم أكلَ منها لقمةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ. وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَمَضَى

الأجَلُ، فتَفَرَّقْنَا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ لا يَطْعَمُهُ، فَحَلَفَت المَرْأَةُ لا تَطْعَمُهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ، - أَو الأَضْيَافُ - أَنْ لَا يَطْعَمُهُ أَوْ يَطْعَمُوهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَدَعَا بالطَّعَامِ فَأَكَلَ وأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلاَّ رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةِ عَيْنِي إِنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا.

وَفِي رِوايَةٍ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمانِ: دُونَكَ أَضْيَافَكَ، فَإِنِّي مُنْطلقٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَافْرُغْ مِنْ قِراهُم قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمانِ، فَأَتَاهُمْ بما عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا؛ فقالوا: أين رَبُّ مَنْزِلِنا؟ قَالَ: اطْعَمُوا، قالوا: مَا نحنُ بِآكِلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا، قَالَ: اقْبَلُوا عَنْا قِرَاكُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا، لَنَلْقَيَنَّ مِنْهُ فأبَوْا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحمانِ، فَسَكَتُّ: ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمانِ، فَسَكَتُّ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوتِي لَمَا جِئْتَ، فَخَرَجْتُ، فَقُلْتُ: سَلْ أَضْيَافَكَ، فقالُوا: صَدَقَ، أَتَانَا بِهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا انْتَظَرْتُمُونِي واللهِ لا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ الآخَرُونَ: واللهِ لَا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ مَا لَكُمْ لا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ؟ هَاتِ طَعَامَكَ، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، الأُولَى مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا. متفق عَلَيْهِ[1].

قَوْله: (غُنْثَرُ) بغينٍ معجمةٍ مَضمُومَةٍ ثُمَّ نُونٍ ساكِنَةٍ ثُمَّ ثاءٍ مثلثةٍ وَهُوَ: الغَبِيُّ الجَاهِلُ.

وقولُهُ: (فَجَدَّعَ) أَيْ شَتَمَهُ، والجَدْعُ القَطْعُ.

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٠٢) و(٦١٤٠)، ومسلم (٢٠٥٧).

قولُه (يَجِدُ عَلَيّ) هُوَ بكسرِ الجِيمِ: أيْ يَغْضَبُ.

الشرح:

(الصُّفّةِ) مثلما تقول: صرح المسجد، إلا أن فيه مثل الظلة يجلسون تحته، يقيلون، ينامون.

(وَمنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ)؛ لأن طعام الواحد يكفي الاثنين.

(قَالَ: فَذَهَبتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ) يعني عبد الرحمن بن أبي بكر؛ لأنه يخشى من عتب أبيه، والعتب أحيانا يكون أشد من السوط، لكن في حق من ما زال قلبه حيا، أشهد بالله أن الوالد الله يرحمه كان في عتابه لنا نتمنى الضرب ولا العتاب، نتمنى أن يأخذ عصا يعطيك ثنتين ثلاثا تبكي منها وتمشي، فإذا عاتبك يقسى قلبك، أولا: من معصيتك له، ثانيا: من تحقيرك، ثالثا: من أنك ما سلكت المسلك الطيب الذي يرضيه، وهكذا أشياء، فالإنسان الذي ما يتأثر بالعتاب هذا يحتاج إلى مراجعة نفسه.

(فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وقالَ: كُلُوا لَا هَنِيئًا) لشدة غضبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَاللهِ لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا) يمين كفرها كما سيأتي.

الإنسان أحيانا قد يغضب، هذه ليست بنقيصة في حق أي إنسان إذا كان غضبه بسبب شرعي، إنما النقيصة أن يخرج الإنسان عن الاعتدال، إذا خرج الإنسان عن الاعتدال أساء في حق نفسه وأساء إلى غيره، وإلا اغضب غضبا شرعيا، تؤدب به زوجتك، تؤدب به ولدك، تؤدب به طالبك، لكن لا تخرج عن الاعتدال.

كأن يكون الطالب أخطأ في آية، أو أخطأ في حديث، أو أخطأ خطأ لا يستحق عليه، وتقوم تطرده وتهجره، هذا قد هو عدامة، يعني تحرم الإنسان الخير من أجل خطأ

يسير؟ بل كل مسألة بقدرها، لا تخرج عن الاعتدال في شيء من أفعالك وأقوالك واعتقاداتك، لازم الاعتدال.

(فنظرَ إليها أبو بكر فقالَ لامرأتِهِ: يا أختَ بني فراسٍ ما هذا؟) انظروا لم يخرج عن الاعتدال، هو غضب غضبا مشروعا، ولذلك بسرعة يتكلم مع امرأته ولان جانبه، هكذا الإنسان، أما بعضهم إذا غضب غضبه غضب جمل يحتاج أياما حتى يتنفس ويذهب عنه ذلك الغضب.

والله مرة أقول لبعضهم: نسعى في صلح بين اثنين، قال: الحق أنا إذا قد في قلبي شيء ما عاد يزول، هذا ما هو صحيح، هذا خروج عن الاعتدال، وإلا يمكن أصيح على امرأتي الآن وبعد قليل ونحن أصحاب، أصيح على الولد الآن وبعد قليل ونحن أصحاب، أصيح على الطالب من أجل خطإ ارتكبه وما يلزم أنه يصارمني وأصارمه، بل إن أخطأت عليه فأنا أب، وإن قصر فهو ابن.

صحيح، إن أخطأ الشيخ على طالبه فهو أب، يحتاج إلى أن يُحتمل، وإن قصر أو أخطأ الطالب على شيخه فهو ابن، يحتاج أن يُصبر عليه، تطرد ولدك من البيت من أجل خطأ؟ يذهب إلى المخزنين، يذهب إلى أصحاب الحشيش، يذهب إلى أصحاب الفسق يفسدونه عليك، لا احتوه، إلا إذا قد بلغت مبلغا لا صبر لك عليه، لا قدرة للصبر ولا يجوز الصبر فهنا تعامل مع كل مسألة بحسبها.

احرصوا - هكذا احرصوا - يا طلاب العلم على طاعة مشايخكم في طاعة الله، والتواضع لهم، ولين الجانب لهم، وليحرص المشايخ على طلابهم، وليعرفوا لهم قدرهم، جزاه الله خيرا أن اختارني على بقية العلماء، وكان عند كرسي للسماع والاستفادة.

فينبغي أن يُعرف للطالب هذا الفضل؛ حتى لا يهدر حقه، ونرى الفضل فقط لنا عليهم، إذا كنا نرى الفضل فقط لنا عليهم سيهدر حقوقهم، وإذا كانوا يرون الفضل منهم علينا ستهدر حقوقنا، والمثل عند العامة: البِّر مقسوم، يعني إذا أراد الأب من ولده أن يبره يبر، وإذا أراد الابن من والده أن يحسن إليه يبر، فالبر مقسوم.

والله يسوءني حين يتخلف طالب علم عن الدرس، وربما إذا علمت أنه مصارم سواء علمت بلسان الحال أو المقال، ربما أذهب إلى بيته، وأنصحه وأوجهه، وأرفق به، لعل الله يصلح حاله.

الدعوة تحتاج إلى لين جانب أكثر منه إلى شده؛ لأننا إذا نظرنا إلى حال النبي ﷺ مع أنه أشد الناس تميزا، أعظم الناس طاعة، أعظم الناس إقبالا، أعلم الناس، كم نقول في حقه ﷺ بأكثر مما وصفه الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤] ! ومع ذلك غضبه في أمور يسيرة: إذا انتهكت حرمات الله، وإلا الأصل لين الجانب، الأصل التجاوز، الأصل العفو، الأصل الصفح.

أما بعضه يرى السلفية فقط الشدة والغلظة والفضاضة، هذه ما هي السلفية والله، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، عفى عنهم عن تقصير، فلا يكن قلبك قاسيا على طلابك، كما لا يكون قلبك قاسيا على أبنائك.

وأيضا في حق الأبناء استخدموا الوعد أكثر من الوعيد، لا تقل له: إذا ما صليت سأضربك، قل له: صل، ولك من الله الأجر والمثوبة، وأنت طيب وأنت بطل، ما إذا فعل شيئا تقول: أنا سأهينك وأدعسك يا ابن الكذا، قل له: مثلك لا يفعل هذه الأفعال، أنت بطل، هذه أفعال اللعابين، أنت طالب علم، أنت نريدك تكون كذا،

فوالله أن هذا أمر نحتاجه، تغليب جانب الوعد على الوعيد، تغليب الرفق واللين والصفح والتجاوز على الشدة والقسوة.

هذه السلفية، لين الجانب، لين العريكة، حسن المنطق، الكرم، ليس فقط الكرم إطعام الطعام، الكرم بأنواعه، بعدم الخروج عن الاعتدال في غضب، أو في انتقام، وهكذا في جميع شأنك.

جرنا إلى هذا أن أبا بكر غضب وسب ولده، وجدعه، يسير وهو يضحك معهم: يا أخت بني فراس ما هذا؟

(قالت: لا وقُرَّةِ عيني) انظر، هذا أيضا من لين الجانب عندها، ها الآن أنا بنت فلان، أما أول ما عرفت لي قدرا ولا منزلة، يا كذا يا كذا، بعض النساء عقلها صغير كما يقول العامة، إذا لنت لها الجانب قامت عليك، لكن خلونا نرفق بهن ويرفقن بنا، نتعاون على البر والتقوى جميعا.

(فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ) الله أكبر، هذه كرامات الأولياء.

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيب بماء فصار بعد أبوالا

الطاعة لله، رفعهم الله بها، رأوا المكارم بسبب طاعاتهم رأوا المكارم بأعينهم، نحن الآن ربما في بعض الأشياء ربما نعمل أعمالا من حيث الكثرة أكثر من بعضهن، ما نقول مثل كلهم، أو مثل السابقين منهم، لكن ربما أكثر من بعضهم، ربما بعضنا يحافظ على قيام الليل، بعضنا حفظ القرآن، بعضنا يحفظ من السنة الأحاديث الكثيرة، بعضنا ربما يتصدق بعضنا ربما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لكن الفرق بيننا وبينهم العمل، أولئك يعملون، أولئك يتقون، أولئك يراقبون، فرأوا المكارم بأعينهم.

(مَا نحنُ بِآكِلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا) فيه أن الضيف يحتاج إلى رعاية؛ لأنه قد يتحسس إذا ما رأى صاحب البيت، ويقع في نفسه.

(قَالَ: اقْبَلُوا عَنْا قِرَاكُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا، لَنَلْقَيَنَّ مِنْهُ فأبَوْا) يعني قد هم يعرفون أن أبا بكر رجل حازم.

١٥٠٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ في أُمَّتِي أحدٌ فإنَّهُ عُمَرُ». رواه البخاري، ورواه مسلم من رواية عائشة[1].

وفي روايتهما قَالَ ابن وهب: «مُحَدَّثُونَ» أيْ مُلْهَمُونَ.

الشرح:

(نَاسٌ مُحَدَّثُونَ) يعني: تحدثهم الملائكة.

هذا دليل على فضيلة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان وليا محدثا، وقد وافق القرآن في كثير من الآي، حتى ذكر السيوطي منها عشرين آية، وهو من أولياء الله المتقين، وثاني أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ وأبي بكر، ثم يأتي رويفض وباطني قرمطي يطعن فيه، ألا شاهت وجوههم، وساءت حالاتهم.

١٥٠٥ - وعن جابر بنِ سُمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا يعني: ابنَ أَبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَزَلَهُ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعَمُونَ أَنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، فَقَالَ: أَمَّا أنا واللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رسولِ الله ﷺ لا أُخْرِمُ عَنْها، أُصَلِّي صَلَاتَي العِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ في الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٩)، وأخرجه مسلم (٢٣٩٨).

وأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا - أَوْ رِجَالًا - إِلَى الكُوفَةِ يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ، فَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكَنَّى أَبَا سَعْدَةَ، فَقَالَ: أَمَا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بالسَّرِيَّةِ وَلَا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لأَدْعُونَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبدُ الملكِ بن عُمَيْرٍ الراوي عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ: فَأنا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوارِي فِي الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ. متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا من كرامات الأولياء، حيث استجاب الله عَزَّوَجَلَّ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعوته كما دعا، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [سورة الحج: ٣٨].

وفيه فضيلة الصحابة، ومتابعتهم لرسول الله ﷺ، يصلي كصلاة النبي ﷺ.

وفيه أن أهل الباطل لا يرعوون عن اتهام أهل الحق بالتهم الباطلة، فانظر كيف طعنوا في صحابي مبشر بالجنة، حتى أنه لا يحسن يصلي، نسأل الله السلامة والعافية.

وفيه التثبت، وفيه الحذر من دعوة المظلوم «**فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»، وفيه جواز الدعوة على الظالم، لكن بما لا يصل إلى الإثم وقطيعة الرحم.

١٥٠٦ - وعن عروة بن الزبير: أَنَّ سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَاصَمَتْهُ أَرْوَى بِنْتُ أَوْسٍ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، وادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ شَيئًا مِنْ أَرْضِهَا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رسول الله ﷺ!؟

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣).

قَالَ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ سعيد: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَها، وَاقْتُلْهَا في أَرْضِها، قَالَ: فَما ماتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَما هِيَ تَمْشِي في أَرْضِهَا إذ وَقَعَتْ في حُفْرَةٍ فَماتَتْ. متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ لِمُسْلِمٍ عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عُمَرَ بِمَعْنَاهُ، وأنه رآها عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ تقولُ: أصابَتْنِي دَعْوَةُ سَعيدٍ، وأَنَّها مَرَّتْ عَلَى بِئرٍ في الدَّارِ الَّتي خَاصَمَتْهُ فِيهَا فَوَقَعَتْ فِيهَا، وكانتْ قَبْرَها.

الشرح:

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وفيه الشاهد كرامات الأولياء، وفيه التحذير من الظلم.

١٥٠٧ - وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أُحُدٌ دعَانِي أَبي من اللَّيلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلاَّ مَقْتُولًا في أَوْلِ مَنْ يُقْتَلُ من أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، وإِنِّي لا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رسول الله ﷺ، وإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ في قَبْرِهِ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فإذا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذنِهِ، فَجَعَلْتُهُ في قَبْرٍ عَلَى حِدَةٍ. رواه البخاري[2].

الشرح:

هذا من كرامات الأولياء، حيث حفظ الله عَزَّوَجَلَّ جسده، وقد رأينا هذا الأمر بأم أعيننا بحمد الله عَزَّوَجَلَّ في إخواننا الذين قُتلوا في دماج ظلما وعدوانا، قتلهم الرافضة،

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠).

(٢) حديث رقم: (١٣٥١).

أعداء الله وأعداء رسوله، وأعداء القيم والمبادئ، ومع ذلك رأينا أجسامهم طرية، كأن لم تتغير شيئا، بل كانوا في الجمال بما تتعجب منه، والله إن الأخ سيف العودي كأنك تقول: صبغ لحيته البارحة، وجعل عليها الزيتون، ووجه أبيض، سبحان الله!

وهكذا ابنة الأخ أحمد بن صالح الوادعي حين أُخرجت من قبرها والدم يقطر، يا أخي لو جلست ساعة الدم يتجلط، وهذه دمها يقطر بعد سنة ونصف، وهكذا أخونا سفيان الفرنسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مسست في أذنه ما أطراها! طرية، أذن حي، دون أنه بين أيدينا ميتا، ومجموعة كثيرة رأيناهم على هذا الحال.

والله نرجو لهم من الله العظيم الأجر والمثوبة وعظيم الرفعة، هذا في الدنيا فكيف بالآخرة؟ يذكرون: أن الإنسان ينفجر بعد أيام في قبره، وهؤلاء لم تجد فيهم رائحة، انظر بعضهم إذا جاءوا به من الثلاجة حق المستشفى بعد أيام نصلي عليه نجد رائحة، وهؤلاء يُخرجون وينبشون من الأرض، لو هي حبة بطاط أنها يلحقها النتن، إنسان طرية، ولا إله إلا الله، نسأل الله أن يكرمنا بكرامات الصالحين في الدنيا والآخرة.

١٥٠٨ - وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رجلين مِنْ أصحاب النَّبِيِّ ﷺ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا. فَلَمَّا افْتَرَقَا، صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ، رواهُ البُخاري مِنْ طُرُقٍ، وفي بَعْضِهَا: أَنَّ الرَّجُلَيْنِ أُسَيْدُ بنُ حُضير، وَعَبّادُ بنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[1].

الشرح:

يعني ما هناك لا ما يسمى بالقناديل، ولا بالكشافات، ولا بشيء، خرجوا في ليلة مظلمة، أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ مصباحا يسيرون به، فلما تفرقوا صار مع كل واحد

(١) حديث رقم: (٤٦٥).

مصباح، هذه من كرامات الأولياء، ثم يأتي هؤلاء الصم البكم من المعتزلة وغيرهم ينكرون هذه الأحاديث.

وكرامات الأولياء هي من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لم يُكرموا بهذه الكرامات إلا لمتابعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٥٠٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بعث رسول الله ﷺ عَشْرَة رَهْطٍ عَيْنًا سَرِيَّة، وأَمَّرَ عَلَيْهَا عاصِمَ بنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فانْطلقوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بالهَدْأةِ - بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ- ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْل يُقالُ لَهُمْ: بَنُو لحيانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَريبٍ مِنْ مِئَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وأَصْحَابُهُ، لَجَأُوا إِلَى مَوْضِعٍ، فَأَحاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ أَنْ لا نَقْتُلَ مِنكُمْ أَحَدًا، فَقَالَ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا القَوْمُ، أَمَّا أنا فَلَا أَنْزِلُ عَلَى ذِمَّةِ كَافِرٍ: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ فَرَمُوهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَى العَهْدِ والمِيثاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وَزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبطُوهُمْ بِهَا، قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ واللهِ لا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي بِهؤُلاءِ أُسْوَةً، يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرُّوهُ وعَالَجُوهُ، فأبى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، وانْطَلَقُوا بِخُبَيبٍ، وزَيْدِ بنِ الدَّثِنَةِ، حَتَّى بَاعُوهُما بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ؛ فابْتَاعَ بَنُو الحارِثِ بن عامِرِ بنِ نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنَافٍ خُبيبًا، وكان خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أسيرًا حَتَّى أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ، فاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ، فَوَجَدتهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَالموسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعَتْ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أن أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ، قالت: واللهِ مَا رَأَيْتُ أسيرًا خَيرًا مِنْ خُبَيْبٍ، فواللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يومًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ في يَدِهِ وإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا، فَلَمَّا خَرَجُوا

بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ: واللهِ لَوْلَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بِدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وقال:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ للهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وكان خُبَيبٌ هُوَ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ. وأَخْبَرَ - يعني: النبيّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بنِ ثَابِتٍ حِيْنَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أن يُؤْتَوا بِشَيءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وكَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ الله لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِروا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا. رواه البخاري[1].

قولُهُ: (الهَدْأَةُ): مَوْضِعٌ، (والظُّلَّةُ): السَّحَابُ، (والدَّبْرُ): النَّحْلُ، وَقَوْلُهُ: (اقْتُلْهُمْ بِدَدًا) بِكَسْرِ الباءِ وفتحِهَا، فَمَنْ كَسَرَ قَالَ هُوَ جمع بِدَّةٍ بكسر الباء وهي النصيب ومعناه: اقْتُلْهُمْ حِصَصًا مُنْقَسِمَةً لِكُلِّ واحدٍ مِنْهُمْ نَصيبٌ، وَمَنْ فَتَحَ قَالَ معناهُ: مُتَفَرِّقِينَ في القَتْلِ واحدًا بَعْدَ واحِدٍ مِنَ التَّبْدِيد.

وفي الباب أحاديث كثيرةٌ صَحيحةٌ سَبَقَتْ في مَوَاضِعِها مِنْ هَذَا الكِتَابِ، مِنْهَا حديثُ الغُلامِ الَّذِي كَانَ يأتِي الرَّاهِبَ والسَّاحِرَ، ومنْها حَدِيثُ جُرَيْج، وحديثُ أَصْحابِ الغَارِ الذين أَطْبَقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ، وَحديثُ الرَّجُلِ الَّذِي سَمِعَ صَوْتًا في السَّحَابِ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَالدلائِل في البابِ كثيرةٌ مشهُورةٌ، وباللهِ التَّوفيقِ[2].

---

(١) حديث رقم: (٣٩٨٩).

(٢) انظر الأحاديث: (١٤) و (٣٠) و (٤٥٩) و (٥٦٠) و (٩٦٧).

الشرح:

(الغُلامِ الَّذِي كَانَ يأتِي الرَّاهِبَ والسَّاحِرَ) أكرمه الله بكرامات، جعل على يديه يشفي الله به المرضى، ويداوي الأعمى، وهكذا سلمه الله منهم مرارا.

(جُرَيْج) أكرمه الله بكلام الغلام.

(أصْحابِ الغَارِ الذين أطْبِقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ) سلمهم الله مما هم فيه.

١٥١٠ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَا سَمِعْتُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ لِشَيءٍ قَطُّ: إِنِّي لأَظُنُّهُ كَذَا، إِلاَّ كَانَ كَمَا يَظُنُّ. رواه البخاري[1].

الشرح:

هذه أحاديث كلها ساقها المصنف؛ لبيان كرامات الأولياء، وهذا هو الشاهد، ولو أردنا أن نمر على فوائدها وعلى ما فيها من الحكم والأحكام لطال المقام، ولكن هذه إشارات:

فيه جواز بعث السرايا لتبليغ دين الله عَزَّوَجَلَّ.

فيه شدة بغض الكفار للمسلمين، وتقصد الكفار لقتل المسلمين.

فيه أن لا أمان لكافر، فانظر كيف أمنوهم ثم قتلوهم.

فيه التأسي بمن سلف في الخير من هذا الذي قال: لي بهم أسوة، وعالجهم حتى قتلوه.

وفيه الوفاء بالعهود والوعود، انظروا إلى خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو أراد أن يسلم منهم لسلم، لما كان الولد بين رجليه لو أراد أن يقول: إما أن تطلقوني وإلا قتلت ولدكم لأطلقوه وخلوا سبيله، لكن منعه المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ، قال: ما كنت لأفعل.

---

(١) حديث رقم: (٣٨٦٦).

وفيه صبرهم من أجل دين الله، نحن نرى الكرامة في السلامة، وهم يرون الكرامة بالطاعة، كيف ما كان، كيف ما كان يرون الكرامة في الطاعة، انظروا إلى هذا القول جاء في بعض الروايات قالوا له: أتحب أن يكون رسول الله ﷺ مكانك وأنت في سلامة؟ قال: والله ما أحب أن يكون فيه شوكة وأنا في سلامة، محبة لرسول الله ﷺ في قلوبهم، يفدونه بأرواحهم.

وانظر إلى هذين البيتين التي ينبغي لطالب العلم أن يحفظهما ويعمل بهما:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ للهِ مَصْرَعِي

لأنك مكرم عند الله، أما إذا مت كافرا أو مت مشركا منددا، أو مت مبتدعا، على خطر.

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

يعني: قتلي في ذات الإله، من أجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع، بعد أن يتفرق يبارك الله.

وفيه أن الموفق من وفقه الله، انظر إلى خبيب وفقه الله لهاتين الركعتين، ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، ثم جعل النبي ﷺ هاتين الركعتين شرعا لمن قُتل صبرا أن يصليهما، فانظر كم الذين يقتلون صبرا في كل عام، والمراد بقتل الصبر غير قتيل المسايفة، مثلا يحكم عليه بالإعدام، القتلة، أو من يفعل حدا يستوجب القتل، وهكذا يأخذه لقتله صبرا بدون مسايفة بدون كذا، فيصلي ركعتين، له أجرها.

والغالب أن هذه الصلاة يكون فيها الإخلاص، الغالب، يعني ما عاد هو وقت رياء، ولا هو وقت عجب، ولا هو وقت شيء، هو وقت أن تقف بين يدي الله وتقول: يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب تجاوز عني، وربما يدعو بأرجى الدعوات، أن تقبل، وربما تتضمن التوبة والاستغفار.

المهم أن الله أكرم خبيبا بهذه الكرامة العظيمة، وبهذه السنة الشريفة، نكتفي بهذه التعليقة المختصرة على هذا الباب، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

كتاب الفضائل..... ٧

١٨٠ - باب فضل قراءة القرآن..... ٧

١٨١ - باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير عن تعريضه للنسيان..... ١٨

١٨٢ - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها..... ٢٠

١٨٣ - باب الحث عَلَى سور وآيات مخصوصة..... ٢٤

١٨٤ - باب استحباب الاجتماع عَلَى القراءة..... ٣٥

١٨٥ - باب فضل الوضوء..... ٣٧

١٨٦ - باب فضل الأذان..... ٤٧

١٨٧ - باب فضل الصلوات..... ٥٦

١٨٨ - باب فضل صلاة الصبح والعصر..... ٦٢

١٨٩ - باب فضل المشي إلى المساجد..... ٦٦

١٩٠ - باب فضل انتظار الصلاة..... ٧٢

١٩١ - باب فضل صلاة الجماعة..... ٧٤

١٩٢ - باب الحث عَلَى حضور الجماعة في الصبح والعشاء..... ٨٠

١٩٣ - باب الأمر بالمحافظة عَلَى الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهنّ ٨٢

١٩٤ - باب فضل الصف الأول والأمر بإتمام الصفوف الأُوَل وتسويتها والتراصّ فِيهَا..... ٩٥

١٩٥ - باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما ١٠٤

١٩٦ - باب تأكيد ركعتي سنّةِ الصبح ١٠٦

١٩٧ - باب تخفيف ركعتي الفجر وبيان مَا يقرأ فيهما وبيان وقتهما ١٠٨

١٩٨ - باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر عَلَى جنبه الأيمن والحث عليه سواءٌ كَانَ تَهَجَّدَ بِاللَّيْلِ أمْ لا..... ١١١

١٩٩ - باب سنة الظهر ١١٤

٢٠٠ - باب سنة العصر..... ١١٨

٢٠١ - باب سنة المغرب بعدها وقبلها..... ١١٩

٢٠٢ - باب سنة العشاء بعدها وقبلها ١٢١

٢٠٣ - باب سنة الجمعة..... ١٢١

٢٠٤ - باب استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أَو الفصل بينهما بكلام..... ١٢٣

٢٠٥ - باب الحث عَلَى صلاة الوتر وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته..... ١٢٦

٢٠٦ - باب فضل صلاة الضحى وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث عَلَى المحافظة عَلَيْهَا..... ١٢٩

٢٠٧ - باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إِلَى زوالها والأفضل أن تُصلَّى عِنْدَ اشتداد الحر وارتفاع الضحى ١٣٣

٢٠٨ - باب الحث عَلَى صلاة تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلَّى ركعتين بنية التَّحِيَّةِ أَوْ صلاة فريضة أَوْ سنة راتبة أَوْ غيرها ١٣٤

٢٠٩ - باب استحباب ركعتين بعد الوضوء ١٣٦

٢١٠ - باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لَهَا والطّيب والتبكير إِلَيْهَا والدعاء يوم الجمعة والصلاة عَلَى النبي ﷺ، وفِيهِ بيان ساعة الإجابة، واستحباب إكثار ذكر الله تعالى بعد الجمعة ١٣٧

٢١١ - باب استحباب سجود الشكر عِنْدَ حصول نعمة ظاهرة أَو اندفاع بلية ظاهرة..... ١٤٧

٢١٢ - باب فضل قيام الليل ١٤٩

٢١٣ - باب استحباب قيام رمضان وَهُوَ التراويح ١٦٥

٢١٤ - باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها ١٦٧

٢١٥ - باب فضل السواك وخصال الفطرة..... ١٧٠

٢١٦ – باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وَمَا يتعلق بِهَا ١٧٧

٢١٧ – باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وَمَا يتعلق بِهِ ١٩٤

٢١٨ – باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذَلِكَ في العشر الأواخر منه ٢٠٣

٢١٩ – باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إِلاَّ لمن وصله بما قبله أَوْ وافق ٢٠٦

عادة لَهُ بأن كَانَ عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه ٢٠٦

٢٢٠ – باب مَا يقال عند رؤية الهلال..... ٢٠٩

٢٢١ – باب فضل السحور وتأخيره مَا لَمْ يخش طلوع الفجر ٢٠٩

٢٢٢ – باب فضل تعجيل الفطر وَمَا يفطر عَلَيْهِ، وَمَا يقوله بعد الإفطار ٢١٢

٢٢٣ – باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها ٢١٥

٢٢٤ – باب في مسائل من الصوم ٢١٧

٢٢٥ – باب فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم..... ٢٢٠

٢٢٦ – باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة..... ٢٢٢

٢٢٧ – باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء ٢٢٤

٢٢٨ – باب استحباب صوم ستة أيام من شوال ٢٢٦

٢٢٩ - باب استحباب صوم الإثنين والخميس..... ٢٢٧

٢٣٠ - باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر..... ٢٢٩

٢٣١ - باب فضل من فطَّر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده ٢٣٢

كتاب الاعتكاف..... ٢٣٧

٢٣٢ - باب الاعتكاف في رمضان..... ٢٤٢

كتاب الحج..... ٢٤٧

٢٣٣ - باب وجوب الحج وفضله ٢٥٦

كتاب الجهاد..... ٢٧١

كتاب الجهاد..... ٢٧١

٢٣٤ - باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة ٢٧٥

٢٣٥ - باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار..... ٣٤٢

٢٣٦ - باب فضل العتق ٣٤٧

٢٣٧ - باب فضل الإحسان إِلَى المملوك ٣٥٢

٢٣٨ - باب فضل المملوك الَّذِي يؤدي حق الله وحق مواليه..... ٣٥٧

٢٣٩ - باب فضل العبادة في الهرج..... ٣٥٩

٢٤٠ - باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان، والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسِر المُعْسِرَ والوضع عَنْهُ..... ٣٦٠

كتاب العلم..... ٣٦٩

٢٤١ - باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله ٣٨٠

كتاب حمد الله تعالى وشكره..... ٣٩٩

٢٤٢ - باب وجوب الشكر ٣٩٩

كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ..... ٤٠٧

٢٤٣ - باب الأمر بالصلاة عَلَيْهِ وفضلها وبعض صيغها ٤٠٧

كتاب الأذكار..... ٤١٩

٢٤٤ - باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه..... ٤٢٠

٢٤٥ - باب ذكر الله تَعَالَى قائمًا أَوْ قاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إِلاَّ القرآن فَلا يحل لجنب وَلا حائض ٤٤٣

٢٤٦ - باب مَا يقوله عِنْدَ نومه واستيقاظه ٤٤٧

٢٤٧ - باب فضل حِلَقِ الذكر والندب إِلَى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر ٤٤٨

٢٤٨ - باب الذكر عِنْدَ الصباح والمساء..... ٤٥٤

٢٤٩ – باب مَا يقوله عِنْدَ النوم..... ٤٥٩

كتاب الدعوات..... ٤٦٥

٢٥٠ – باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ..... ٤٦٧

٢٥١ – باب فضل الدعاء بظهر الغيب..... ٤٩٣

٢٥٢ – باب في مسائل من الدعاء..... ٤٩٥

٢٥٣ – باب كرامات الأولياء وفضلهم..... ٥٠٠

الفهرس..... ٥١٧